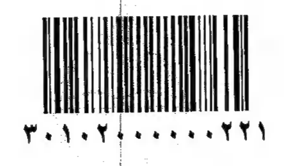
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



الجنة والنار والآراء فيهما

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد
فيصل عبد الله

إشراف
الدكتور / عبد العزيز عبيد

١٣٩٩ هـ ١٤٠٠

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله رب العالمين • والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آلــــه وصحبه أجمعين •

أما بعد : فقد قال تعالى : " ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان اللــه غنى حميد • "

فانني أشكر الله العلى القدير على ما منّ علىّ بما لا أحصيه من النعم، وما منحنى من الهداية والتوفيق معترفا بكل التقصير وراجيا منه سبحانه العفو عن ذلك •

ثم أتقدم بخالص التقدير للقائمين على جامعة الملك عبد العزيز وخاصة القائمين على الدراسات العليا الشرعية ، كما أتقدم بالتقدير العميق لرابطة العالــم الاسلامى التى أعطتنى منحة ساعدتنى على مواصلة الدراســة •

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور عوض الله حجازى الذى كان مشرفا على هــذه الرسالة مدة سنة كاملة ، ثم أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير العميق لشيخى الفاضــل الدكتور عبد العزيز عبيد صاحب الصدر الرحب المشرف على الرسالة الذى منحنــى الكثير من توجيهاته القيمة وأوقاته الثمينة ، ولم يبخل علىّ بشئ من علمه الواسع، ووسعنى بحلمه وصبره ، فلا يسعنى الا أن أتضرع الى المولى تبارك وتعالى أن يمن عليــه بالعفو والغفران ، وأن يجعله وايانا من أهل الجنة •

ثم أتقدم بالشكر لكل من ساعدنى من الزملاء والاخوان على انجاز مراحــل الرسالة • وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

فيصل عبد اللـــه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

" وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين • الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين • والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين • "

سورة آل عمران آية ١٣٣ ـ ١٣٦

المقدمة

الحمد لله الذى جعل الجنة للمؤمنين نزلا ، وجعل النار للكافرين حصيرا ، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد بن عبد الله الذى أرسله الله الى الناس كافة ، بشيرا ونذيرا ، وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته الأبرار الأخيار ومن سلك طريقه واستن بسنته الى يوم الدين .

أما بعد : فان الله تعالى لم يخلق الانسان بيده ، وينفخ فيه من روحه ، ويفضله على سائر خلقه ، ويسخر له مافى السموات ومافى الأرض ، بدون هدف عال ، ولا غاية سامية ، لأن هذا لا يتفق مع حكمته العليا ، وكماله الأقدس .

ولذلك فالقرآن الكريم يلفت الأنظار بأن هذه الحياة الدنيا ليست هى آخر المطاف لهذا الوجود ، فلا يمكن لأحد أن يركن اليها ، ويتكالب على متاعها دون أن يفكر فيما اذا كان هناك حياة أخرى تتحقق فيها العدالة الالهية ، وينال فيها الانسان جزاء أعماله بلا جور ولا ظلم . " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم . " (١)

فهذه الحياة الدنيا انما هى ميدان العمل والكد ، ومزرعة يزرع فيها الانسان ليحصد ثمارها فى الدار الآخرة التى كتب الله لها البقاء والخلود بلا نهاية . وفيها دار يطلق عليها " الجنة " التى هى مصير الأخيار ، ودار أخرى تسمى " النار " التى هى منتهى الأشرار . " والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . " (٢) " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . " (٣)

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥ ـ ١١٦
(٢) " البقرة آية ٨٢ (٣) نفس السورة آية ٣٩

ومن ثم فالايمان بالجنة والنار يمثل جانبا هاما من الايمان باليوم الآخر الذى هو ركن من أركان الايمان ، وجزء من أجزاء العقيدة ، فلا يقوم الايمان على صورته الكاملة بغيره ، وهو العنصر الهام الذى يلى الايمان بالله تعالى لأن الايمان بالله سبحانه ، يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكائنات والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى تنتهى اليه هذه الكائنات.

وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير ، يستطيع الانسان أن يحدد هدفا ينشده ، ويرسم غاية ترمى اليها أفكاره ، ويتخذ من الوسائل ما يوصله الى ذلك الهدف ، وتلك الغاية ، فحينئذ احتفظ بطاقاته التى وهبها الله اياه ، وصان ما قدر له من الأوقات التى يعيشها فى الدنيا ، فلا تتكسر هذه الطاقات على صخرة الحياة بلا فائدة تنتظر ، ولا تمضى هذه الأوقات المقدرة بلا جدوى مأمولة.

أما الانسان الذى فقد هذه المعرفة ، فان حياته سوف تظل حياة بلا هدف ولا غاية ، فحينئذ يفقد سموه الروحى وفضائله العليا ، فيعيش كما تعيش الأنعام تسيرها غرائزها الطبيعية واستعداداتها الفطرية من غير قيود ولا حدود . وهذا هو الانحطاط الروحى الخطير الذى يهدد شخصية الانسان ، فيصده عن سواء السبيل الموصل الى تلك الغاية المقصودة . " والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم. " (١)

ونحن ما نزال نشاهد اليوم ما بلغ اليه مجتمعنا الاسلامى من الفساد الذى يشمل كل جوانب الحياة من جراء طغيان المادة ، وسيطرتها على القلوب والمشاعر حتى وصل بها الحد الى اهمال كثير مما جاء به ديننا

---

(١) سورة محمد آية ١٢

الحنيف من تعاليم السماء التى لن تتحقق للانسان حياة طيبة رفيعة الا بها •

ونحن لانزال كذلك نشاهد اليوم أقواما منا قد أفتتنوا بالمذاهب المادية الحديثة التى قذفنا بها الغرب ، والتى أبت أن تجعل لله وللآخرة مكانا فى الحياة ، ولا تعترف بالدين الا باعتباره أداة يمكن استخدامها ـ عند الضرورة ـ لاسترضاء الجماهير المتدينة أو الهائها أو استثارتها لغرض موقوت• (1)

وليس لذلك سبب سوى أن ايماننا قد ضعف فى قلوبنا ، وأن عقيدتنا قد تزعزعت فى نفوسنا مما أتاح الفرصة لدعاة المادة أن يبثوا دعاياتهم الملوثة فى مجتمعاتنا ، وينفثوا أفكارهم المسمومة فى قلوب الجماهير ، فيتقبلونها بقبول حسن بدون وعى منهم ولا شعور •

وهذا الدكتور ليون وتى ، يصف لنا مدى تأثير الأفكار المادية فى قلوب الناس ، وخطرها على المجتمع ، فيقول :

" والمذهب المادى ينفثه فى صدر الانسان نظرياته التى تقرر له أنه سيفنى بعد الموت ، يطلق فيه شهواته من قيودها ، ويوجد فيه نهما حيوانيا لتوفيتها • وهذا المرض الاجتماعى الخطير المؤلف من الهستيريا ، وعدم الشعور ، يعمل على ايقاع الانسانية فى انحلال لا علاج له•

والانسان فى هذا الحضيض من الانحلال ، يشعر بكدر عظيم ، ويتألم متمنيا أن تكون له حياة أفضل مما هو عليه ، ولكنه لا يجد العون الضرورى لانقاذه مما وقع فيه ، فالعقلية التى تساورنا اليوم سم ناقع تجتاح انسانيتنا ، وأن تسرب هذا السم القاتل يلوث كل ما بقى فى نفوسنا من جليل ونبيل وعظيم ، والقوانين البشرية تعجز عن كبح أى جماح انسانى مادامت الأخلاق قد فقدت سلطانها على القلوب ، فنحن اذن نغرق فى انحطاط ، فاذا لم نعمل على استرداد

---

(1) أنظر الايمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٤ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م•

وجودنا فسنسير قدما الى هلاكنا لأن الشر يستدعى العقاب ." (١)

اذن فما هو السبيل الى الخلاص ، وكيف ننقذ هذه الأمة التى افترستها المادة ، من ذلك المرض الخطير الذى يهددها بالهلاك والدمار ؟ فهل ننقذها بما يسمى "التقدم العلمى المادى" ؟

كلا ، ان العلم المادى ـ وان امتد رواقه ، واتسعت ميادينه ـ لايستطيع أن يقدم لهذا الداء الفتاك علاجا مناسبا يرجى له الشفاء ،لأن هذا النوع من العلم انما يرقى الجانب المادى للحياة ، ولكنه لا يحقق الطمأنينة والسعادة للناس ، وهو ـ وان هيأ لهم وسائل الحياة ،وزين لهم ظواهرها ، ولكنه لم يهدهم الى غايتها المرجوة ، كما لم يصلهم بأعماقها .

نعم ، لقد أعطى العلم المادى للانسان الحديث أدوات كثيرة ، ولكنه لم يعطه قيمة كبيرة ، أو هدفا رفيعا يحيا له ،ويموت عليه ،لأن هذا ليس من وظيفة العلم المادى ، ولا من اختصاصه ، وانما ذلك من اختصاص الدين والعقيدة والايمان .

ومن أجل ذلك ، فليس هناك أى سبيل الى الخلاص من تلك الهاوية المهلكة ،ولا طريق لانقاذ هذه الأمة من ذلك المرض القاتل سوى أن نحيى الدين ، ونثبت الايمان فى القلوب ، ونغرس روح العقيدة فى النفوس ، وعلى وجه الخصوص العقيدة فى اليوم الآخر الذى هو مصير الخلق ، ومنتهى الوجود ، على الوجه الذى جاء به الوحى السماوى .

---

(١) روح الدين الاسلامى ، لعفيف عبد الفتاح طبارة ص١١٨ الطبعة الثانية عشر نقلا عن كتاب (الى الذين يأملون الى الأرواح المعطلة) ترجمة الاستاذ محمد فريد وجدى فى مجلة الأزهر . م ١٣ ص٤٥٢ ، ٤٥٣ .

ولذلك لما كان من نظام قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبدالعزيز أن يقدم الطالب بحثا علميا ذا موضوع معين له علاقة بتخصصه لينال به درجة (الماجستير) ، وكان تخصصي في فرع العقيدة ، بأخذت أفكر في موضوع مناسب يمكن أن أساهم به في خدمة ديننا الحنيف ، ومعالجة المشاكل التي تحيط بمجتمعنا الاسلامي ، فاهتديت - بتوفيق من الله تعالى - الى هذا الموضوع "(الجنة والنار والآراء فيهما)" واخترته عنوان بحثي لما فيه من تأثير قوي في توجيه الناس وخاصة الجيل الحاضر الذي يعيش في عصر قد خيمت فيه الأفكار المادية على كل المجتمعات البشرية في مختلف بلدان العالم .

ان الايمان بالجنة والنار يدفع الانسان للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي يعلم أنه مناط العوض والجزاء في الآخرة . وهذا عمير بن الحمام - رضي الله تعالى عنه - الذي قدم نفسه رخيصة في سبيل الدفاع عن الحق بعد أن سمع قائده الأعلى محمدا صلى الله عليه وسلم حين يحرض المسلمين على القتال في غزوة بدر الكبرى واعدا بالفوز بالجنة لمن يقتل فيه اذ يقول صلى الله عليه وسلم : " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة " فقال عمير ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . (1)

وهكذا الانسان الموقن بالجنة ، وجعلها هدفا يسعى اليه ، يقدم كل غال ونفيس بل والنفس في سبيل الحق والخير الذي يوصله الى ذلك الهدف الأعلى والغاية الرفيعة ، فلا يترك الأوضاع تسوء ، والأنظمة

---

(1) انظر تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون . ص ١٦٥

تنحرف ، والمجتمع يفسد لأنه يعرف أن تركه لاصلاح فسادها ، وابتعاده عن تقويم اعوجاجها هو التخلى عن المسئولية العظمى الذى يصرفه عن صف المسلمين ، والاعراض عن عمل الخير الذى يحول دون أن يصل الى ما يرجوه من الحياة الطيبة والسعادة الأبدية فى الدار الآخرة.

وان اليقين بالجنة والنار ضرورية فى تكوين النفس البشرية ، وضبطها عن شهواتها وأهوائها لتصلح أن تتحمل ما عساه أن يلقاه الانسان فى حياته من الابتلاءات والمتاعب والمشاكل التى لا يقوى الانسان على مواجهتها الا وفى نفسه رجاء الجنة وثوابها للمحسن ، وخوف من النار ، وعقابها للمسىء والا ابتغاء وجه الله تعالى والتطلع الى رضاه فى الآخرة ، والذى يحرم هذا الايمان ، وهذا اليقين فانه يعيش — بلا شك — فى العذاب كما يعيش فى الضلال ، وهو حى على هذه الأرض قبل أن يلقى عذاب النار الذى لايعلم ضخامته الا الله . " ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون . " (١)

كل ذلك وغيره من أسباب أخرى منها :

أولا : الرغبة فى ابراز صورة حقيقية للجنة والنار ، وما فيهما من ثواب وعقاب — كما رسمها الاسلام — حتى تكون واضحة جلية عند أناس قد استبهمت على عقولهم ، وادلهمت على بصائرهم.

ثانيا : الحرص على تصحيح العقيدة فى الجنة والنار والثواب والعقاب لدى أناس انحرفت تصوراتهم عن هذه العقيدة الهامة.

ثالثا : الرغبة الشديدة فى ايقاظ الضمير البشرى الذى يغفل عن هذين المصيرين العظيمين ليعود الى الأذهان أن وعد الله ووعيده حق ، فلا تغرنهم الحياة الدنيا ولا يغرنهم بالله الغرور .

كل هذه الاسباب هى التى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع . فقد بذلت ما وسعنى من جهد فى جمع مادته ، واستقصاء معلوماته من المراجع المختلفة

---

(١) سورة القلم آية ٣٣

ثم ترتيبها وتبويبها ،فان أكن قد وفقت فى اعطاء هذا البحث حقه ، ونقلت للقارئ الكريم صورة صادقة له ، فذلك ما قصدت وأردت ،وأشكر الله تعالى عليه ، لأن التوفيق لذلك انما هو من عند الله سبحانه ، والا فحسبى أننى مهدت الطريق أمام اخوانى طلبة العلم ، وفتحت لهم باب هذا الجانب من العلم ،وشاركت مخلصا لوجه الله الكريم فى خدمة ديننا الحنيف، فأسأله تعالى أن يجعلنى من أهل الجنة ، كما أسأله سبحانه أن ينجينى من النار وعذابها .

واننى مع ذلك كله لمرحب بحسن التوجيه والتصويب أو استدراك سديد .

خطة البحث :

لقد قسمت هذا البحث الى أربعة أقسام : مقدمة وتمهيد ، وأبواب ثلاثة ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع ، والأسباب التى دفعتنى لاختياره ، وعرضت فيها الطريقة التى سلكتها فى كتابته.

أما التمهيد :

فهو عبارة عن مدخل الرسالة ،وقد أوضحت فيه تعريف كل من الجنة والنار فى اللغة والشرع وما بينهما من علاقة ، ثم تحدثت فيه عن حاجة الناس الى الايمان بالثواب والعقاب فى الآخرة وأثر هذا الايمان فى سلوك الانسان بل وفى حياته كلها .

أما الباب الأول :

فقد تحدثت فيه عن أفكار الديانات القديمة حول الجنة والنار ،وقسمته الى أربعة فصول :

الفصل الأول :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانة المصرية القديمة .

الفصل الثانى :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانة الهندوسية .

الفصل الثالث :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانة البوذية .

الفصل الرابع :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى ديانة الفرس الزرادشتية .

أما الباب الثانى :

فقد تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانتين السماويتين السابقتين للاسلام ، وقسمته الى فصلين :

الفصل الأول :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانة اليهودية .

الفصل الثانى :

تحدثت فيه عن الجنة والنار فى الديانة المسيحية .

أما الباب الثالث :

فقد أفردته للحديث عن الجنة والنار فى الاسلام ، وجعلت فيه تمهيدا وخمسة فصول :

أما التمهيد :

فقد تحدثت فيه عن تصور الاسلام فى الانسان والحياة ، واهتمامه بتصحيح الآراء والتصورات المنحرفة عن الحقائق السماوية ، وعلى وجه الخصوص الأحوال الأخروية .

أما الفصل الأول :

فقد تحدثت فيه عن مسألة وجود الجنة والنار الآن ، وما ورد فيها من خلاف بين العلماء ، وذكرت فيه المقارنة بين رأى الجمهور ورأى المعتزلة فى المسألة .

أما الفصل الثانى :

فقد تحدثت فيه عن صفة الجنة ونعيمها ، وما جاء فى بعض المسائل المتعلقة بهذا النعيم ، وبينت من خلاله الأقوال الراجحة فيها ، وعرضت فيه لطبيعة الثواب الأخروى كما هى فى تصور الاسلام .

أما الفصل الثالث :

فقد تحدثت فيه عن صفة النار وعذابها ، ونوهت فيه بطبيعة العقاب الأخروى كما هى فى تصور الاسلام .

أما الفصل الرابع :

فقد تحدثت فيه عن مسألة أبدية الجنة والنار أو فنائهما ، وبينت الخلاف الوارد فيها ، ثم ذكرت القول الذى يترجح عندى فى المسألة .

أما الفصل الخامس :

فقد تحدثت فيه عن الآراء المنتسبة الى الاسلام التى انحرفت عن حقيقة الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، وبينت فيه موقف الاسلام منها . ثم جعلت لهذا البحث خاتمة بينت فيها ما بدا لى من النتائج الهامة التى توصلت اليها من خلال الدراسة حول الموضوع .

تمهيد :

ويشتمل على تعريف كل من الجنة والنار لغة وشرعا ــ وحاجة الناس الى الايمان بالثواب والعقاب :

أ ــ تعريف الجنة لغة وشرعا :

١) الجنة لغة :

وردت فى كتب اللغة تعاريف للجنة لا تخلو من اختلاف ، الا أن هذا الاختلاف ليس اختلافا كبيرا يمكن أن يؤدى بالمعرف الى البعد عن المعنى المراد .

وأريد أن آتى ببعض هذه التعاريف لنرى كيفية الاختلاف فيها ، وفى أى شيء اختلفت ، فهل اختلفت فى المعنى المراد أو فى صورة اللفظ فقط ؟

وقد عرفها محمد فريد وجدى فى " دائرة معارف القرن العشرين " فقال :

الجنة : الحديقة ذات الشجر . وقيل : ذات النخل ، جمعها جنان وجنات .(١)

وقال الشيخ أحمد رضا فى " معجم متن اللغة " :

الجنة : البستان التف شجره حتى ستر الأرض بأشجاره ، الحديقة فيها شجر ونخل وعنب ، فان خلت من النخيل أو العنب لم تكن جنة ، بل حديقة .(٢)

وقيل فى كتاب " المنجد فى اللغة والاعلام " :

الجنة : ج جنان وجنات : الحديقة ذات الشجر ، قيل لها ذلك لسترها الأرض بظلالها .(٣)

وقال الامام الفخر الرازى فى تفسيره :

الجنة : البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه .

والتركيب دائر على معنى الستر ، وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنّه اذا ستره ، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها . وسميت

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى . ج ٣ ص ١٩٠ ط سنة ١٩٧١م .

(٢) معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا ج ١ ص ٥٨٤

(٣) المنجد فى اللغة والاعلام ص ١٠٢

دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (١) .

وجاء بتعريفها ابن منظور فى " لسان العرب " فقال :

الجنة : الحديقة ذات الشجر والنخل ، وجمعها جنان ، وفيها تخصيص . ويقال للنخل وغيرها . وقال أبو على فى التذكرة : لا تكون الجنة فى كلام العرب الا وفيها نخل وعنب ، فان لم يكن فيها ذلك ، وكانت ذات شجر فهى حديقة وليست بجنة . (٢)

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا كيفية الاختلاف الذى ورد فى تعريف الجنة ، وكأنها تدور حول ما اذا كانت الحديقة أو البستان ذات شجر مطلقا أو لابد من أن يكون فيها نخل وعنب وشجر ، وهل يشترط فيها أن تكون كثيرة أو لا يشترط ؟

وقبل أن نورد ما نراه من تعريف الجنة ، وكيف نجمع بين هذه التعاريف المذكورة ، يحسن بنا أن نتعرف أولا على أصل اشتقاق كلمة " الجنة " حتى يتبين لنا من خلاله أية مناسبة سميت بها الحديقة أو البستان بالجنة .

فالجنة مأخوذة من جنّ يجن جنّا وجنونا وجنانا " .

يقال : جنه الليل ، وعليه جنا جنونا ، وأجنه أى ستره . وكل ما ستر عنك فقد جن عنك . وجن الليل - بالكسر - وجنونه ، وجنانه : ظلمته واختلاط ظلامه .

والتركيب يدور على معنى الستر والتغطية . والجن انما سميت بالجن لاستتارها واختفائها عن الأبصار . وسمى الولد فى الرحم بالجنين لاستتاره عن الأعين والترس بالمجن لستره ووقايته الوجه ، والرجل الذى غاب عنه عقله بالمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه . (٣)

والجنة اسم المرة الواحدة من مصدر جنّ يجن جنا فكأنها سميت بالجنة لأنها تجن أى تستر الأرض بظلالها . (٤)

---

(١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢ ص ١٢٨

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ٥١٨ - (٣) انظر ترتيب القاموس المحيط للاستاذ الطاهر أحمد الزاوى ج ١ ص ٥٤٢ الطبعة الثانية بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، والمنجد الأبجدى ص ٣٣٦ ط دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان الطبعة الثانية .

(٤) انظر دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى ص ٥٥٩ ج ٦

وأقول — جمعا بين هذه التعاريف :—

الجنة فى اللغة : البستان أو الحديقة ذات النخل أو العنب والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه .

قال ابن القيم :

وأصل اشتقاق هذه اللفظة (أى الجنة) من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن ... الخ ، ثم قال : ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم الا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع . (١)

وابن القيم اشترط فى تسمية البستان بالجنة أن يكون فيه أشجار كثيرة تختلف أنواعها ، فالتعريف الذى أوردته هنا يوافق قول ابن القيم — رحمه الله تعالى — كما أن هناك ارتباطا وثيقا بين هذا التعريف وبين أصل اشتقاق كلمة " الجنة " التى اخذت من جن يجن جنا بمعنى الستر والتغطية فكأن الأشجار التى توجد فى البستان أو الحديقة لتكاثفها والتفاف اغصانها تستر ما تحتها من الأرض وتغطيه ولذلك سمى البستان أو الحديقة التى تحوى هذه الأشجار المتكاثفة الملتفة الأغصان بالجنة التى هى المرة الواحدة من مصدر جنه جنا اذا ستره.

٢) الجنة شرعا :

أما الجنة فى لسان الشرع : فهى دار النعيم التى أعدها الله تعالى للصالحين من عباده فى الحياة الآخرة مكافأة لهم على صالح أعمالهم وجميل آثارهم فى العالم الأرضى .

قال تعالى : "وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين ." (٢) وقال سبحانه : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون . " (٣)

---

(١) انظر حادى الأرواح لابن القيم ص ٦٥

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٣

(٣) سورة الأحقاف آية ١٣ — ١٤ .

ويلاحظ أن هناك علاقة قوية أيضا بين المعنيين الشرعي واللغوي، وهى أن دار الثواب انما سميت بالجنة لاحتوائها الجنان الكثيرة وهذه التسمية من باب تسمية الكل وهو دار الثواب باسم الجزء وهو الجنة.

٣) النار لغة :

وأصل كلمة " النار " مأخوذة من : نار ينور نورا ونيارا بمعنى أضاء، ويقال : تنور الشيء تنورا أى أضاء ـ وأنار الشيء انارة أى أضاء وظهر. وتنور المكان تنورا أى أضاء ـ واستنار البيت استنارة أى أضاء. وكل هذه الألفاظ تحمل معنى الاضاءة والظهور. (١)

ومعنى النار فى اللغة ـ كما عرفه صاحب " قطر المحيط " ـ : جوهر لطيف مضيء محرق. وهى مؤنثة ، وقد تذكر وتصغيرها نويرة ، وجمعها أنوار ونيران ونيرة ونور ونيار. (٢)

وقال جبران مسعود معرفا لكلمة " النار " فى معجمه اللغوى " الرائد " :

النار : ١ـ عنصر مضيء محرق ناجم عن احتراق بعض المواد ، كالخشب والفحم ونحوهما. وهى مؤنثة وجمعها أنوار ونيران ونيرة. (٣)

وعرفها صاحب " محيط المحيط " فقال :

النار : جوهر لطيف مضيء محرق. وهى مؤنثة. (٤)

وورد تعريفها فى " المعجم الوسيط " وقيل :

النار : عنصر طبيعى فعّال يمثله النور والحرارة المحرقة ، وتطلق على اللهب الذى يبدو للحاسة ، كما تطلق على الحرارة المحرقة. (٥)

وقال الشيخ عبد الله البستانى اللبنانى فى كتابه " فاكهة البستان " :

النار : شيء محرق مضيء ناجم من احتراق المادة. (٦)

---

(١) انظر قواس اللغة مادة نار مثلا المنجد فى اللغة والأدب والعلوم للويس معلوف اليسوعى المطبعة الكاثوليكية بيروت الطبعة الخامسة ص ٩٢٥ ، وفاكهة البستان للشيخ عبد الله البستانى اللبنانى ص ١٥٢٠ المطبعة الأميركافية بيروت سنة ١٩٣٠م. ـ (٢) قطر المحيط للمعلم بطرس البستانى ص ٣١٩

(٣) الرائد (معجم لغوى عصرى) لجبران مسعود ص ١٤٦٦ ط دار الملايين بيروت

(٤) محيط المحيط لالياس ملوك ج ٢ ص ٢١٤٢ ، طبع بيروت سنة ١٨٧٠م.

(٥) المعجم الوسيط لابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد على النجار ج ٢ ص ٩٧١ ـ (٦) انظر عبد الله البستانى نفس المصدر ص ١٥٢١.

فى هذه التعاريف نجد أن هناك اختلافا يسيرا ،فصاحبا " فاكهة البستان " و " الرائد " جعلا احراق النار واضاءتها نتيجة لاحتراق المادة ،وكأنهما قالا : ان النار انما تضيىء وتحرق باحتراق المادة ، بينما غيرهما من علماء اللغة كأصحاب " قطر المحيط " و " محيط المحيط " و " المعجم الوسيط " أطلقوا اضاءة النار واحراقها بدون قيد ولا شرط • بمعنى أنه يمكن أن تكون هناك نار يأتى بها الله تعالى تضيىء وتشتعل وتتلهب وتحرق من غير احتراق أية مادة•

ونحن اذا نظرنا الى طبيعة النار التى يعهدها البشر • فان النار لا تشتعل ولا تتلهب الا بمادة تحرقها ، ولكن لا مانع فى قدرة الله تعالى من أن يخلق سبحانه نارا مشتعلة وملتهبة ومحرقة بدون أية مادة تحرقها •

فالذين جعلوا لاضاءة النار واحراقها شرطا وهو احتراق المادة هم على حق اذا راعينا فى ذلك طبيعة النار التى يعهدها البشر ، وأما الذين اطلقوا اضاءتها واحراقها بغير هذا الشرط فهم على صواب أيضا اذا نظرنا فى القدرة الالهية التى لاتتقيد بشرط من الشروط •

والذى نحن بصدده هو أن نعرف " النار " على طبيعتها المعهودة بين الناس بغض النظر عن خوارق العادة التى يأتى بها الله عز وجل ، فنقول :

النار فى اللغة : جوهر لطيف مضيىء محرق ناجم عن احتراق المادة•

والعلاقة بين هذا المعنى وبين المعنى السابق لمادة " نار " وهو الاضاءة والظهور هى أنه اذا وجدت النار وجد الضوء وظهر حتى يضيىء حولها ويستنيره•

٤ ــ النار شرعا :

أما النار فى الشرع : فهى تقابل الجنة وهى جهنم وما فيها من عذاب أليم أعد للكافرين بعد البعث والحساب والميزان • (١)

---

(١) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨١٤ ط دار الشعب بالقاهرة •

أونقول : النار معناها شرعا : هى دار العقاب التى اعدها الله تعالى للكافريـــن فى الحياة الآخـــرة جـــزاء لهم بكفرهم واقترافهم الآثام فى العالم الأرضى •
قال تعالى : " فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين• " (١)
وقال سبحانه : " قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • " (٢)

ولعل وجـــه تسميـــة دار العقاب بالنار هو كذلك من باب تسمية الكـــل وهـــو دار العقاب باسم الجـــزء وهو النار أو من باب تسمية المحل وهو دار العقاب باسم الحال فيه وهو النار •

١ـ سورة البقره آيـــة ٢٤
٢ـ سورة الاسراء آية ٦٣

ب ـ حاجة الناس الى الايمان بالثواب والعقاب :

الاعتقاد بالجزاء جزء من الايمان باليوم الآخر الذى هو من أركان العقيدة الأساسية التى جاء بها الاسلام ، والذى يقوم عليه بناء هذه العقيدة بعد قضية وحدانية الله تعالى . فلا يقوم هذا الدين ـ عقيدة وتصورا وسلوكا وشريعة ونظاما ـ الا عليه وبه .

ومن ثم فان الاعتقاد بوجود الجزاء المرتقب وراء هذا العالم الحاضر ضرورى من ضروريات الحياة فلا يستغنى عنه كل فرد من أفراد البشر . اذ لا تستقيم الحياة الانسانية على الوجه الذى يريده الخالق جل وعلا بدونه فلا تتحقق للانسان سعادته الدنيويه والأخرويه .

ذلك لأن الله تعالى خلق هذا الانسان لمهمة كبرى يؤديها فى هذه الحياة الدنيا ، ولذلك فقد ميزه سبحانه عن سائر المخلوقات بقوة العقل والادراك والارادة . وهيأ له كل ما يحتاج اليه من وسائل الحياة ليتمكن بذلك من القيام بهذه المهمة الضخمة التى اراد الله سبحانه أن يتحملها هذا الكائن البشرى بما أوتى له من الامكانيات دون غيره من سائر الخلق .

تلك المهمة الكبرى هى استخلاف الله سبحانه لهذا الانسان فى الأرض، وعبادته فيها ، وتعظيمه وتنزيهه سبحانه . قال تعالى : " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ." (١) وقال سبحانه : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ." (٢)
وقال جل وعلا : " انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ." (٣)

١ـ سورة البقرة آية ٣٠
٢ـ سورة الذاريات آية ٥٦
٣ـ سورة الفتح الآيات ٨ـ٩

اذن ، فالله سبحانه أراد لهذا الانسان أن يكون خليفة له في هذه الأرض ووكل اليه القيام بعمارتها ، وتطويرها ، وتنويع الحياة فيها ، يقيم فيها العدل ويقضى على الظلم وينشر الأمن ، ويحارب الفوضى ، ويوجد السلام والأمن ، ويزيل العداوة والبغضاء ، وأمره ربه أن يعبده سبحانه وحده دون أن يشرك به شيئا .

هذه هي الأمانة الكبرى التي حملها الانسان بعد أن أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها حين عرضها الله تعالى عليها . قال سبحانه : " انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . " (١)

قال في هذه الآية صاحب " تفسير المؤمنين " :

هذه الأمانة قد حملها الانسان وقبلها بشيء من الخفة دون تقدير لحقيقة ما تقتضيه فكان ظلوما لنفسه جهولا بالتبعة الهائلة التي حملها . (٢) ؛ وهذه الآية تشير الى ضخامة هذه الامانة وجديتها التي ليس وراءها أمانة ومسئولية ومهمة أخرى تستوجب أن يستنفد الانسان جميع طاقاته في القيام بأدائها لينال فيها سعادته في دنياه وأخراه . ولأجل ذلك فقد سخر الله جلت قدرته لهذا الانسان ما في السموات ومافي الأرض يستعين به في حمل هذه الرسالة العظمى وأدائها على الوجه الذي يرضاه الخالق تبارك وتعالى . قال تعالى : " وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه . " (٣)

ولكن هل يستطيع الانسان وحده بما أوتي له من القوى الادراكية ، والامكانيات المادية أن يؤدي هذه الأمانة على الوجه الذي يريده الله تعالى ؟.

انه ليس ذلك بامكان البشر ، ولا بقدرته . ذلك لأن الانسان مهما

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢
(٢) انظر تفسير المؤمنين لعبد الودود يوسف ص ٣٤١ ، نشره المؤسسة العلمية دمشق .
(٣) سورة الجاثية آية ١٣

بلغ عقله الى قمة الادراك ووصل الى منتهى الاحساس ، فانه يعجز عن أن يصل الى معرفة ما وراء الظواهر المحسوسة ، والله سبحانه يعلم أن هذا الانسان الضعيف ليس من استطاعته أن يقوم بهذه المهمة وهذه الرسالة على الوجه المطلوب الا بتوجيهات الهية وارشادات ربانية ، ذلك لأن هذا الانسان قد ركب فيه ميول وشهوات قد تسيطر على عقله وتفكيره فقد تصرفه عن جادة الصواب ، وتحرفه عن السلوك السوى الذى ينبغى أن يسير عليه ، وينسى تبعا لذلك ربه ، وفضله ، ونعمته التى أكرمه الله بها ، ويطغى على غيره بل على نفسه ، بل يتجاوز ويتمادى فى طغيانه فيشرك بالله سبحانه ، ويجعل له أندادا فيورد نفسه للهلاك والدمار • وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : " كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى • " (١) وقال سبحانه : " فاذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار • " (٢) • وقال تعالى : " واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون • " (٣) وقال سبحانه : " واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ، أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ، واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون • " (٤)

هذه الآيات الكريمة تشير الى طبيعة الانسان قبل أن يتأثر بالتوجيهات الالهية التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام • فالانسان حين يكون فى حال السىء والشر ، فانه يخاف ربه ، ويتوجه اليه بالدعاء الخالص أن يفرج ويزيل عنه هذا الشر ويحول حاله العسر الى حال اليسر أو يبدل مرضه ان كان

١ـ سورة العلق آية ٦
٢ـ سورة الزمر آية ٨
٣ـ سورة يونس آية ١٢
٤ـ سورة الروم الآيات ٣٣ ـ ٣٦

مريضا بالصحة والعافية أو يغنيه من بعد فقره ، أو يرزقه قوة بعد ضعفه ، أو يخوله نعمة بعد ضر أصابه.

وهكذا يدعو ربه سبحانه ويتضرع اليه بقلب مفعم بالخشوع والخوف ويلح فى دعائه مخلصا خائفا حتى اذا فرج الله تعالى عنه كربته ، وأزال عنه شره ، وأنزل عليه بعد ذلك نعمته وفضله ، نسى ربه وفضله ورحمته ، فكأنه لم ينزل عليه نازل ولم يصبه أى أذى.

ففى حال اليسر أو حالة النعمة أو حالة الصحة أو حالة القوة أو حال الغناء ، يتصرف هذا الانسان تصرف المستقل المستغنى عن الغير ، فينخدع بما أوتى له من اليسر أو النعمة أو الصحة أو المال أو الجاه فيطغى على الآخرين ، ولا فرق فى ذلك بين قريب وبعيد ، وكثيرا ما يطغى على نفسه فيوردها مورد الهلاك والدمار فى آخر المطاف ، حيث انه قد نسى خالقه ، ونسى فضله ورحمته ، فيشرك بالله سبحانه ، ويتخذ له ندًا من المال أو الجاه أو السلطان. (١)

قال تعالى : "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق." (٢) وقال سبحانه : "ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار." (٣)

تلك سنة الانسان فى حياته وفق طبيعته قبل تأثرها بالتعاليم السماوية ، فلو ترك هو وطبيعته تتحكم فيه ، ويسير الى حيث تقوده هذه الطبيعة دون أن يؤخذ بهذه التوجيهات الربانية ، لما استقر أمور الناس ، ووجدت الفوضى والاضطرابات اذ لا يراعى القوى الضعيف أو الغنى الفقير ، ولا يهتم بأمره.

وحين يشعر بذلك الضعيف من القوى أو الفقير من الغنى فانه لا يحترمه ، ولا يعامله معاملة الاخاء ، بل يحقده ويحسده على غناه وسلطانه ، كما أن القوى أو الغنى ينظر الى الضعيف أو الفقير نظرة الاحتقار والازدراء بدون أن يرحمه ،

١ـ راجع الاسلام فى حياة المسلم للدكتور محمد البهى ص١٤٨
٢ـ سورة الحج آية ٣١
٣ـ سورة المائدة آية ٧٢

ولا يعطف عليه • كل ذلك مما يسبب بين الفريقين العداوة والبغضاء والنزاع والاختلاف مما يؤدى بهم الى تعطيل الواجب الملقى على عواتقهم ، ونبذ ه وراء ظهورهم •

ولكن الله الرحيم — بواسع رحمته وعظم فضله — لم يترك هذا المخلوق الضعيف تتحكم عليه هواه ، وتسيطر عليه شهواته دون أن يؤيده بما يقوى به عليهما • ولذلك أرسل رسله الى الناس بتوجيهاته سبحانه الراشدة ، وتعاليمه الهادية التى ترشد الناس الى معرفة خالقهم تبارك وتعالى وتبين لهم طريق الخير وطريق الشر وترشد عقولهم وتنميها لكى يدركوا ما ينبغى أن يدركوه من ظواهر الكون وأسراره ، وتهذب نفوسهم من أدران الشهوات وأدناس الأهواء ، وتضع لهم حدودا لا يتجاوزونها كى لا يدعون طاقاتهم تتفتت ، وقواتهم تتبدد فى أمر لا خير فى عقباه ، كما توضح لهم كيف يعبدون ربهم سبحانه • وكيف يؤدون تلك المهمة الضخمة والأمانة الكبرى على الوجه الذى يرضاه عنهم ربهم تبارك وتعالى •

وبهذه التوجيهات الالهية والارشادات الربانية ، يستطيع الانسان أن يؤدى واجبه • ويقضى مهمته كما يريده الله تعالى • قال تعالى : " ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم • " (١) وقال سبحانه : " قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل • " (٢)

لنقف هاهنا قليلا ، ونتساءل ، هذا الانسان الذى كلفه الله تعالى على حمل مسئولية الخلافة ، وأوجب عليه القيام بعبادته سبحانه فهل هو مسئول عن ذلك التكليف وهذا الواجب • ومحاسب عليهما ؟

١— سورة آل عمران آية ١٠١
٢— سورة يونس آية ١٠٨

الجـواب :

الله سبحانه وتعالى خلق هذا الانسان لحكمة جليلة ، خلقه ليحمله مسئولية الخلافة في هذه الأرض ، كما أمره أن يعبده وحده دون سواه ولذلك فقد أصدر عليه أوامره ونواهيه على حد سواء ، وهذه التكاليف والواجبات المدعمه بكل أنواع النعم التي يستعين بها الانسان للقيام بأداء تلك التكاليف والواجبات تقتضي أن يكون الانسان مسئولا عنها ومحاسبا عليها كما بين ذلك سبحانه في كتابه الكريم اذ يقول تبارك وتعالى : " ولتسئلن عما كنتم تعملون ." (١) وقال تعالى " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ." (٢) . وقال تعالى : " وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ." (٣) وقال سبحانه : " ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ." (٤)

كل ذلك ابتلاء واختبار من الله تعالى لهذا الانسان ليعلم سبحانه من يؤدى واجبه ، ويأتمر بأوامر ربه وخالقه ، ويجتنب نواهيه المحرمات ، ولذلك قدر لهذا الانسان الحياة كما قدر له الموت ، وضرب له مدة يقضي فيها عمره المحدود ثم يموت . قال تعالى : " الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ." (٥) وقال سبحانه : " انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ." (٦)

فلما كان الانسان مسئولا عما كلفه عليه ربه وخالقه سبحانه ، ومحاسبا عليه فلابد اذن أن يكون هناك جزاء وثواب وعقاب ، حيث ان العدل الالهى يقتضي ذلك كما قال تعالى : " ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ." (٧) وقال سبحانه : " هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ." (٨) .

١ـ سورة النحل آية ٩٣
٢ـ سورة الاسراء آية ٣٤
٣ـ سورة البقرة آية ٢٨٤
٤ـ سورة الغاشية آية ٢٦
٥ـ سورة الملك آية ٢
٦ـ سورة الكهف آية ٧
٧ـ سورة الجاثية آية ٢٢
٨ـ سورة يونس آية ٥٢ .

وقد عنيت الديانات السماوية كلها ببيان ما أعد الله تعالى للطائعين وللعاصين من الثواب والعقاب في الآخرة ، بل انا نرى أن بعض المفكرين وبعض الديانات غير السماوية قد وصلت الى تقرير مبدا الثواب والعقاب ، غير أن هؤلاء المفكرين وتلك الديانات لم تتفق على رأى فى حقيقة الثواب والعقاب .

فالبعض قال بتناسخ الأرواح ، وهو تكرار المولد أو تجوال الأرواح الى أن يستوفى الانسان شهواته وميوله كما يستوفى جزاء أعماله خيرا كانت أو شرا . وحينئذ نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد ، وامتزجت بالبرهما . وذلك كالديانة الهندوسية .

والبعض قال بما يسمى " النيرفانا " وهو الاندماج فى الذات الأقدس أو وصول الفرد الى أعلى درجات الصفاء الروحانى على ما سنبينه — ان شاء الله — من الخلاف فى معنى " النيرفانا " وذلك كالديانة البوذية .

والنيرفانا هذا عند البوذية هو الغاية الأسمى التى يعمل البوذى جاهدا فى سبيل الوصول اليها ، حيث ان كل من أعطى حظا أوفر للبلوغ الى هذه المرتبة العليا فقد نال سعادته ، أما من لم يوفق لنيل هذه المرتبة فانه يكون محروما من تلك السعادة التى يتطلع اليها كل البوذى .

أما قدماء المصريين فكان لهم اعتقاد آخر فى الجزاء ، فهم يقولون : أن الجزاء انما يتم لكل انسان بعد موته فى هذه الدنيا . وذلك بناء على اعتقادهم بسرمدية هذا العالم وعدم فنائه .

وهذا الجزاء — فى نظرهم — يشبه ما يتمتع به الناس فى حياتهم من أكل وشرب ونكاح مثلا ، وذلك فى حق الأخيار . أما الأشرار فهناك أنواع من العذاب تلحقهم بعد أن يتم لهم الحساب . فبعضهم يحبسون فى قبورهم يعانون فيها آلام الجوع وحرقة العطش . وبعضهم يلقون على حيوان مفترس فينهش لحومهم ويمزق أجسامهم . وغير ذلك مما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

أما الديانة الزرادشتية فهى تؤمن بالثواب والعقاب فى الآخرة ، فالزرادشتيون يرون أن هناك عالما آخر يأتى بعد نهاية هذا العالم الذى تعيش فيه ، فيلقى هناك كل انسان جزاء عمله الذى عمله فى الدنيا ، غير أن الصورة التى يكون عليها الجزاء عند هذه الديانة تختلف عما فى الاسلام ، كما سيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى .

أما الديانات السماوية فقد قلنا أنها قد عنيت ببيان الجزاء أو الثواب والعقاب فى الآخرة بدليل أن الاسلام قد بين بيانا واضحا بأن هناك جزاء لكل عمل قد قدمه الانسان ، فان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وقد جاء القرآن الكريم مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة من السماء كالتوراة والانجيل ، قال تعالى : "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ." (١) وقال سبحانه : "وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ." (٢) وقال جل وعلا : " اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فأما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ." (٣)

وكل ما ورد فى القرآن من أخبار الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب يدلنا على أن الكتب السابقة له قد عنيت بما يناله الانسان فى الآخرة من الثواب والعقاب . غير أن تلك الكتب بعد أن حرفت وبدلت بعض نصوصها . اضطربت أفكار المنتسبين اليها فى حقيقة الثواب والعقاب فى الآخرة حتى آلت ببعضهم الى الاعتقاد بأن هذا الثواب والعقاب انما يتمان فى الدنيا لا فى الآخرة اذ ليس لهم فكرة فى البعث يوم القيامة ، فهم يجهلون حياة غير الحياة الدنيا ، وذلك كاليهودية المحرفة .

١ـ سورة النساء آية ٤٧
٢ـ سورة المائدة آية ٤٨
٣ـ سورة آل عمران آية ٥٥ ـ ٥٧

يقول أرتور هيرتزبيرغ :

" ان الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان ، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة ونار " (١)

ان الايمان بالثواب والعقاب من العوامل الأساسية التي تكيف سلوك الانسان وتسيره على جادة الصواب ، حيث ان هذا الايمان يخلق في نفس الانسان قوة الاتزان بين الخير والشر ، ويهذب النفس على فضائل الأعمال وأسماها ، كما أنه يكبح الشهوات والأهواء فلا تنطلق حيث شاءت .

فالمؤمن الذي وقر في نفسه ، وأيقن أن هناك ثوابا مرتقبا فوق ما يعهده البشر في هذه الحياة الدنيا ، كما أن هناك عقابا أشد بكثير مما يألفه الانسان فانه يلجأ الى الأعمال الصالحات ، فيبذل كل غال ونفيس بل حتى النفس في سبيل ذلك لأنه يعلم أن ذلك هو الذي يؤهله لأن يكون له حظ أوفر من ذلك الثواب المدخر عند الله ، كما أنه لا يسمح لنفسه أن يترك فسادا يراه ينتشر فيهدد مجتمعه الذي يعيش فيه دون أن يقوم باصلاحه ، لأنه يعلم كذلك أن سكوته عنه ، لا يحرمه صلاح الحياة الدنيا وحدها ، ولكنه يحرمه كذلك الثواب العظيم في الآخرة فيخسر الدنيا والآخرة .

ان الانسان الذي يعتقد بأن أعماله تحصى ، وأنه سوف يجازى عليها ، فان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، هذا الانسان يراعى الله ربه وخالقه في كل تصرفاته نحو المجتمع الذي يعيش فيه ، فتزول بذلك أنانيته وأحقاده ، ويكون لبنة صالحة قوية في بناء مجتمع أفضل يسوده الهدوء والأمن والسلام .

أما الانسان الذي يرى أن هذه الدنيا هي منتهى أمله ورجائه وانها هي كل شيء في الوجود فان الأنانية تسيطر عليه ، والأحقاد تتحكم على قلبه ، فلا يكون فردا صالحا في المجتمع لأنه انما يسير حسب رغباته الجامحة ويعيش على شهواته الجارفة ، فهو بالحيوان أشبه ، وبالطين ألصق حيث لا يؤمن بدار آخرة فيها حساب ، وثواب ، وعقاب .

---

(١) — انظر مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور أحمد سلبى ج ١ ص ١٩٩

ولذلك حذر الله تعالى عباده من الاغترار بالحياة الدنيا ، والركون اليها ، والتكالب على متاعها ، والاطمئنان بخيراتها دون أن يفكروا فى لقاء الله جل وعلا يوم تجزى كل نفس بما كسبت من غير ظلم ولاجور ، وتوعد من يفعل ذلك منهم بأن تكون النار مصيره ومأواه.

قال تعالى : " ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور." (١)

وقال سبحانه : " ان الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون." (٢)

١ــ سورة لقمان آية ٣٣
٢ــ سورة يونس آية ٧ ــ ٨

الباب الأول

الجنة والنار فى الديانات القديمة

ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : الجنة والنار عند الديانة المصرية القديمة

الفصل الثانى : الجنة والنار عند الديانة الهندوسية

الفصل الثالث : الجنة والنار عند الديانة البوذية

الفصل الرابع : الجنة والنار عند الديانة الزرادشتية

الفصـــل الأول

الجنـة والنار فى الديانـة المصرية القديمــة

أ ـ تمهيد : يحتوى على فكرة الجزاء ، والبعث عند قدماء المصريين :

١ـ فكرة الجـزاء عند قدماء المصريين :

كان قدماء المصريين يعتقدون بأن للخير والشر جزاء ، فلابد أن يحاسب الانسان ويجازى على ما قدم من عمل . ولما كان الناس يشهدون فى واقع الحياة أن الخير والشر دائما يصطرعان ، وكثيرا ما يغلب الشر على الخير دون أن يقتص للخير من الشر ، أو يذهب الخير قبل أن يجد جزاءه ، أو يمضى الشر من غير أن يلقى عقابه . لما كانوا يشهدون ذلك كله ، أدركوا أنه لابد أن يكون هناك عالم آخر يتم فيه الحساب والجزاء لكل أحد من بنى الانسان .

ولعل قدماء المصريين بنوا على ذلك فكرتهم فى أن الانسان لابد أن يبعث ويحى بعد موته ليجرى عليه ذلك الحساب ويوفى له ذاك الجزاء فى ذلك العالم الآخر .

قال سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ :

فحوالى سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد (أيام الأسرة الخامسة) ـ ان لم يكن قبل ذلك ـ كان هناك عالم آخر يتوقعه المصريون ، وكان للخير والشر جزاء فى هذا العالم الآخر . (١)

٢ـ رأى قدماء المصريين فى البعث :

ولكن هذا البعث الذى جاء فى التفكير المصرى القديم قد مر على مرحلتين فى العقيدة المصريــة القديمة ، ففى عصور ما قبل التاريخ ، كان قدماء المصريين

١ـ مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب ص ١٢

يرون أن البعث بعد الموت انما يكون روحانيا لاجسديا ، وكانوا يعتقدون أن الانسان مكون من أجزاء وهى : الجسم والروح والقلب والقرينة، ورمزوا الأول ب (خت) والثانى ب (با) والثالث ب (ايب) والرابع ب (كا) ، وهذه ال (كا) تأتى الى الوجود فى اللحظة التى يولد فيها الانسان ، وهى هيولية ، ليست عنصرا من عناصر الشخصية . (١)

وحين يموت المرء يوضع جسده فى القبر ، وتذهب روحه (با) لترتبط بالقرينة (كا) فى العالم الآخر حيث تسكن فيه هذه القرينة . وهذه هى المرحلة الأولى التى ظهرت فيها فكرة البعث عند قدماء المصريين وهو للروح فقط .

يقول صاحب كتاب (مصر والشرق الأدنى القديم) :

(والروح هى التى تحى وتصبح خالدة . أما الجسد فلا يبعث بل يظل فى القبر ، ولكن ال (با) التى تعاودها الحياة تتصل بال (كا) ، وتستطيع القرابين أو رسوم القرابين أن تجعل الـ (با) وال (كا) تعيشان الى الأبد . وأما الجسد الميت فى القبر فيحفظ كذلك عن طريق القرابين كما يحفظ بديله فى السماء حيا كذلك ، وتستطيع أن نقرر أنه لم يكن هناك بعث للجسد المادى.) (٢)

ولكن فى أيام الدولة الوسطى التى يرجع تاريخها من ١٧٠٠ الى ٢١٥٠ قبل الميلاد ، جاءت فكرة جديدة فى هذه الديانة أن البعث يشمل كلا من الروح والجسد ، كما يفهم واضحا من قصة محكمة الحساب التى وردت فى كتاب الموتى الذى وجد فى ذلك الوقت.

١- انظر كتاب مصر والشرق الأدنى القديم للدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم ج ٤ ص٢٨٦ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م ، دار المعارف بمصر .

٢- المصدر السابق ج ٤ ص٢٩٠

وهذه هى المرحلة الثانية التى مرت عليها فكرة البعث عند هذه الديانة وهو يشمل الروح والجسد .

ان عقيدة البعث التى أقرتها الديانات السماوية عقيدة موجودة فى الديانة المصرية العريقة ، ولها جذورها فى عقيدتها منذ قديم الزمان ، وأن فكرة الخلود كانت من ضمن الأصول العقائدية لهذه الأمة المصرية القديمة .

يقول صاحب كتاب (قصة الحضارة) :

" كان أهم ما يتميز به هذا الدين توكيد ، فكرة الخلود . فالمصريون يعتقدون أنه اذا أمكن أن يحيا " أوزير " " النيل " ويحيا النبات كله بعد موتهما فان فى مقدور الانسان أيضا أن يعود الى الحياة بعد موته." (١)

ويؤيد هذا القول أنطون زكرى حيث ينقل عن أحد المصريين القدماء قوله :

" أنا لا أموت مرة ثانية فى العالم الثانى." (٢)

ولا شك أن هذا ايمان بالخلود والجزاء فى ذلك العالم الآخر الذى يطمح اليه المصرى القديم.

١ـ قصة الحضارة لول ديورانت ج ٢ ص ١٦٢ ، ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة سنة ١٩٦١م.

٢ـ الأدب والدين عند قدماء المصريين لأنطون زكرى ص ١٠١ ط ١٣٤٢هـ.

ب ـ الحساب ومصير الانسان :

اذا كانت فكرة البعث قد تبعث من الاعتقاد بأن الانسان سوف يحاسب بعد الموت ، ويجازى على أعماله التى عملها فى الحياة الدنيا ، فما هذا الحساب الذى يتوقعه المصريون القدماء فى العالم الثانى ؟ وكيف يتم لكل فرد ؟ وماذا مصيره بعده ؟ .

نأتى الى القصة التى تقص هذا الحساب لتعطينا الصورة التى يكون عليها ولنعرف الى أين يؤول أمر الانسان المحاسب فى آخر الأمر .

تقول القصة (١) أن ساتنى ـ ابن فرعون (أوزيناريس) ـ كان يتوق الى أن يرى ولدا له ، وقد بشره الاله (بتاج) بأن امرأته العاقر ستنجب ولدا يسميه (سنوزيريس) يأتى بالخوارق ، فقد تحققت له فعلا هذه البشارة فأنجبت امرأته العاقر هذا الولد المبشر به .

وبينما كان الأب وابنه معا ذات يوم ، اذ سمعا صوتا يختلط به صوت موسيقى الموت ، فأطل ساتنى من أعلى داره فاذا بمأتم لواحد من الأغنياء يشيعه موكب حافل بالناديات والمشيعين ومظاهر التكريم الى مدافن ممفيس ثم لم تلبث لحظات قلائل حتى جئ بميت آخر ملفوف فى خرقة يشيعه بضعة أفراد من أولاده بغير ما موسيقى ولا احتفال ولا موكب .

ثم هتف الأب رافعا يديه الى السماء قائلا :

" يا أوزير ! يا سيد الأمنت العظيم القدرة فى العالم الآخر ! أكتب لى دخول دار الأموات فى عظمة وجلال كهذا الغنى ولا تحرمنى سبحو الموسيقى وندب الناديين كما حرمت هذا الفقير . "

---

١ ـ انظر قصة الديانات لسليمان مظهر ص١٨ ومشاهد القيامة فى القرآن ص ١٤

فنظر اليه ولده قائلا : يا أبت ! انى لأتمنى لك أن تموت ميتة هذا الفقير المسكين لا ميتة هذا الغنى ، فتألم ساتنى لأمنية ولده له ولكن سرعان ما تدارك الابن تألم أبيه وقال له :

اذا أردت يا أبت فأنا على استعداد لأطلعك على مصير كل منهما في الآخرة . ثم أمسك الولد بيد أبيه . وأخذ يتلو تعاويذ سحرية غريبة ، ثم انطلق به الى جبل ممفيس ، فلما وصلا المكان نزل به الى الدار التى فيها الأموات ، فاذا هما بسبع قاعات واسعة مملوءة بناس من جميع الطبقات فاجتازا ثلاثا من هذه الدور ثم دخلا الرابعة ، فاذا ناس يذهبون ويجيئون بينما حمير تأكل من خلفهم ، ثم ناس غيرهم يثبون الى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه ، فيثبون ويثبون بينما حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا مسافة ما بينهم وبينه .

ثم تحولا ليجتازا القاعة الرابعة الى الخامسة حيث رأى ساتنى باب القاعة يرتكز على عين رجل راح يستغيث ويصرخ ، وخلفه ناس يبكون لعدم السماح لهم بالدخول . وكان لابد لساتنى وابنه كى يدخلا القاعة الخامسة أن يطأ الرجل المنطرح تحت الباب كما يطأه كل الأموات الذين يجتازون القاعات الى مكان السعداء .

وفى القاعة السادسة شاهد ساتنى محكمة الموتى منعقدة يرأسها القاضى الأكبر وسيد الأمنت " أوزير " متربعا على عرش من ذهب وعلى رأسه تاج الجنوب الأبيض المرصع من جانبيه بريشتى نعام رمز العدل والحق . والى جوار " أوزير " " أنوبس " و " توت " متربعين وحولهما شمالا ويمينا اثنان وأربعون قاضيا من الآلهة الذين تكتمل بهم هيئة المحكمة .

وفى وسط القاعة ميزان توزن فيه الحسنات والسيئات و " أنوبس " هو الذى يستجوب الميت ويدون " توت " أجوبته ، فمن رجحت حسناته سيئاته

قاده الآلهة المحيطون بأوزير الى جنة الأموات الصالحين حيث يتمتع بالسعادة الخالدة • وأما من رجحت سيئاته حسناته ،يسلمه الآلهة الى " معات " كلبة سيد الأمنت المفترسة المستلقية تحت قدميها تمزق كل محكوم عليه بالعقاب• أما من تعادلت حسناته وسيئاته ،فلا تفترسه الكلبة ،ولا ينضم الى الآلهة بل يعين للخدمة•

ثم لمح ساتنى رجلا نبيل الطلعة ، يرتدى ثوبا من كتان فاخر يقف الى جوار أوزير ، ثم تساءل عنه فأجابه ولده قائلا : ان هذا هو الفقير الذى رأيته مكفنا بخرقة بالية ، مشيعا بلا موكب الى خارج ممفيس ،وقد حل أمام المحكمة فرجحت حسناته سيئاته ، وكانت عاقبة أمره أن يتمتع بالسعادة السرمدية فى دار السعادة ، وهو الذى تمنيت لك أن تموت ميتته• وقد خلع عنه " أوزير " كفنه الممزق وألبسه كفن الغنى الذى رأيته مشيعا فى حفاوة وتكريم الى مقبرة ممفيس • وهذا الغنى نفسه هو الذى وطئته قدماك عندما ولجت القاعة ،وكان محور الباب مرتكزا فى عينه اليمنى يخربها كلما فتح أو أغلق • فقد حوكم هو فرجحت سيئاته حسناته ، وحكم عليه بالعقاب الصارم•

وسأل الأب ابنه : من هؤلاء الذين رأيناهم مولين ، وعلى ظهورهم تأكل الحمير ؟ ومن أولئك الذين لا يملكون سبيلا للحصول على الزاد بسبب الحفر التى تحفر تحت أقدامهم ؟

أجاب الولد أباه فقال : الأولون هم أبناء هذه الأرض الذين لعنتهم الآلهة لكثرة سيئاتهم فتحولت نساؤهم الى الحمير النهمة ،وتنهب أموالهم وتأكل على ظهورهم • أما الذين يمدون أيديهم الى الطعام دون أن يتناولوا منه شيئا ،فهم أولئك الذين استأثروا بخيرات الأرض ، وتمتعوا بمتاعها فعوقبوا بالحرمان جزاء حرمانهم للآخرين•

هذه القصة لتؤكد ما ذكرنا سابقا من أن قدماء المصريين كانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت ، والحساب والجزاء • وهى تعطينا كذلك صورة لهيئة

المحكمة التى تتولى محاسبة الأموات فى ذلك العالم الآخر الذى يصير اليه كل بنى الانسان.

وتتكون هيئة هذه المحكمة من أربعة وأربعين قاضيا من الآلهة الذين يرأسهم القاضى الأكبر " أوزير " ويشرف على هذه المحكمة . وهناك ميزان منصوب أمامهم يوزن فيه قلب الميت الذى يمثل أعماله فى الحياة الدنيا ، ويوضع فى كفة الميزان تقابله فى الكفة الأخرى ريشة — وهى رمز الحق والعدل — ليتأكد بذلك من صدق قوله. (١)

والذى يتولى استجواب الميت (أنوبس) ، ويدون أجوبته ونتيجة الحساب (توت) ومن ثقلت حسناته على سيئاته سيق الى جنة الأموات حيث يتمتع بألوان النعيم . ومن رجحت سيئاته حسناته تلقته الآلهة المحيطون الى دار العقاب التى يلقى فيها أنواعا من العذاب الصارم ، وبذلك يتم هذا الحساب لكل ميت.

بيد أن العقيدة الشمسية تقول بأن الاله " رع " هو الذى يقضى الموتى بمعاونة ابنته " ماعة " الهة العدالة والحق . (٢)

ويمكن أن نقول بأن القصة التى تقص الحساب كانت هى المرحلة الثانية التى تدرجت فيها فكرة البعث فى الديانة المصرية القديمة وآلت الى أن الانسان بعد موته سوف يحى ويبعث بجسمه وروحه بعد اعتقادهم بخصوصية البعث للروح فقط دون الجسد .

ج — مقر الثواب والعقاب عند قدماء المصريين :

١) اعتقادهم القديم بأن القبر هو مقر الموتى الأبدى :

كانت الفكرة المصرية القديمة ترى أن مقر الموتى الأبدى كان هو القبر. والحياة فيها لاتختلف عن الحياة الدنيا ، فالميت لا يزال بحاجة الى كل

١— أنظر مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٣

٢— مصر والشرق الأدنى القديم ج ٤ ص ٢٩٩

ما يجلب له الراحة والأمن والسرور من الطعام والشراب واللباس وأدوات الزينة والأسلحة . ولذلك كان لابد لأهل الميت أن يقدموا له كل ما يحتاجه من تلك الأشياء لتتهيأ له بذلك الراحة والسعادة فى ذلك العالم الآخر .

واذا حرم الميت من ذلك ، فانه سوف يعانى آلام الجوع وحرقة العطش ويضره شر أعدائه من الدواب . وهذه الفكرة كانت فى عصر ما قبل قيام الأسرات بزمن بعيد . (١)

٢) اعتقادهم الجديد بأن السماء هى دار الثواب والأرض هى دار العقاب:

ولم تكن تلك الفكرة القديمة قد أصبحت عقيدة من العقائد الراسخة لهذه الديانة ، ولكنها تحولت — بعد فترات من الزمن — الى الاعتقاد بأن مقر السعداء كان فى السماء ، ومقر الأشقياء كان فى الأرض .

قال صاحب قصة الحضارة :

" .. ولكنهم اذا جاءوا الى (أوزير) مبرئين من جميع الذنوب سمح لهم أن يعيشوا مخلدين فى (حقل الفيضان السعيد) أى فى الحدائق السماوية حيث توجد الوفرة والأمن على الدوام ." (٢) .

وقال أيضا :

" .. والذين لم ينجوا فى هذا الاختبار فى النهاية يحكم عليهم بأن يبقوا أبد الدهر فى قبورهم يجوعون ويظمأون ، ويطعمون من التماسيح البشعة ولا يخرجون منها أبدا ليروا الشمس ." (٣)

وقد عينت نصوص الأهرام مقر الثواب فى السماء بأنه كان بجانبها الشرقى أو جانبها الشرقى البحرى . تقول نصوص الأهرام :

١— انظر مصر والشرق الأدنى القديم ج ٤ ص ٢٩٠ — والملل والنحل ج ٢ ص ٣ من ذيل الكتاب .

٢— انظر قصة الحضارة ج ٢ ص ١٦٢

٣— نفس المصدر والجزء والصفحة .

" ان الثواب هو الصعود الى السماء بعد رحلة جمة المخاطر للاقامة فيها مع الآلهة أو للاقامة مع الاله " رع " فى سفينته ، وهؤلاء الذين يثابون بالاقامة فى السماء يسمون " الممجدين " أو " السعداء " • والمكان الذى يقيمون فيه من السماء هو جانبها الشرقى ، أو جانبها الشرقى البحرى ، لأن المصريين كانوا قد لاحظوا فى هذين الجانبين نجوما ثابتة فأطلقوا عليها اسم النجوم الخالدة ، وجعلوا عندها مكان النعيم الخالد للذين يصعدون الى السماء • " (١)

ونلحظ من هذه النصوص أن سبب تخصيص القوم هذين المكانين كدار الثواب الأخروى هو أنهم لاحظوا أن فيهما نجوما ثابتة ، فتخيلوا أنه مادامت تلك النجوم ثابتة فى مكانها دون أن تتغير فلابد أن يكون هذان المكانان هما دار الثواب التى سيقيم فيها الأخيار الصالحون اقامة سرمدية ، ويتنعمون فيها بكل أنواع النعيم التى لاتنقطع أبد الآبدين • وبذلك اهتدوا الى جنتهم التى ترمى اليها طموحهم ، وتصبو نفوسهم •

ثم أخذت هذه النصوص تصف هذه الدار بنوع من التفصيل ، فذكرت أن هناك جزرا فيها حقل يسمى (حقل الطعام) يقيم فيه الصالحون السعداء ، وهناك أيضا حقل آخر يسمى (حقل يارو) فيه شجرة جميز عالية تسمى (شجرة الحياة) يعقد تحتها الآلهة مجلسا ، ويأكلون منها هم والصالحون الذين نالوا رضا الههم " أوزير • " (٢)

د ـ صفة الثواب والعقاب فى هذه الديانة :

١) صفة الثواب :

أما الصفات التى يتسم بها الثواب فى تلك الحقول السماوية ، فقد ذكرنا

١ـ مشاهد القيامة فى القرآن ص١٦ ـ ١٧ نقلا عن نصوص الأهرام •
٢ـ انظر مشاهد القيامة ص١٧

بعضا منها ، فهو يتمثل فى اجتماع هؤلاء الصالحين مع الآلهة فى مأدبة الطعام والشراب ، وربما يتجاذبون أطراف الحديث مع الآلهة ، ويتبادلون الآراء فيما يخص هذا النعيم كما هو حال الأحياء فى هذه الحياة .

ونضيف الى جانب ذلك ما ورد فى نصوص الأهرام من تصوير تلك النعم السماوية ، أن الانسان الصالح الذى فاز برجحان كفة حسناته على كفة سيئاته ، اذا صعد الى السماء ووصل الى تلك الحقول الفردوسية ، يجد أن السماء (نوت) والثعبان الذى يحمى الشمس كانا فى استعداد لأن يعطيا اليه ثدييهما ليرضع منهما حتى اذا فرغ من الرضاع عاد صبيا لا يطرأ عليه الهرم .

وهو يأكل خبزا مع الآلهة ، ويشرب معهم خمرا ، فتزداد صحته تحسنا كلما تتقدم الساعات والأيام ، فهى اليوم أحسن منها أمس ، وتكون غدا أحسن منها اليوم . " (١)

وهناك صور أخرى لتلك النعم وردت فى كتاب الموتى ، قال سيد قطب — رحمه الله تعالى — :

" أما كتاب الموتى فيذكر من مظاهر الثواب أن الميت يجلس فى قاعة أمام " أوزير " ويخرج الى حقل يارو ، ويأكل خبزا وفطائر ، ويكون له حقل من القمح والشعير ، يبلغ علو النبات فيه سبع أذرع ، وخدام " حوريش " يحصدون له هذا الزرع ليأكل منه . وله أن يدخل " العالم السفلى " ويخرج منه . وله أن يقيم فى حقل يارو أو فى حقل الطعام ، وفيهما يكون ممجدا يزرع ويحصد ، وتكون له نساء يتمتع بهن ، ويعمل كل ما كان يعمله على الأرض . " (٢)

تلك هى الصور التى يتمثل فيها ثواب الأعمال الطيبة الذى يضمن سعادتهم الأبدية يوم أن يسمح لهم " أوزير " الدخول فى تلك الجنة السماوية التى لا تختلف الحياة فيها عن حياة الأرض .

١— انظر نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .
٢— نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢) صورة العقاب لدى هذه الديانة :

أما صورة العقاب لدى هذه الديانة فهى متنوعة كذلك ، وقد سبق أن ذكرت لنا قصة " ساتنى " بعضا منها كتعذيب الميت بتركيز محور الباب فى عينه يصرخ من شدة الألم كلما فتح الباب أو أقفل ، وتعليق الطعام فوق رؤوس المعذبين وهم يحاولون الحصول عليه فلا يجدون اليه سبيلا ، اذ كلما وثبوا بعد الطعام منهم . واما أن يلقى المحكوم عليه بالعقاب على كلبة الاله " أوزير " التى تمزق أجساد الموتى وتنهش لحومهم .

ويضاف الى ذلك أن هناك نارا مهيأة يلقى فيها المذنب ، ويحترق بحرارتها كما أن بعض الموتى يعذبون بالحبس فى قبورهم ويبقون فيها أبد الآبدين ، ويقاسون فيها ألم الجوع والعطش . كما أن الآلهة فى بعض الأحيان يضربون المذنبين بسيوفهم . (١)

هـ — موقف الاسلام من تلك الآراء :

علمنا فيما سبق أن عقيدة البعث والحساب والجزاء كانت من أصول العقائد المصرية القديمة . ويمكن أن نقرر بأن هذه العقيدة كانت من بقايا النبوة وآثار الوحى الذى أقام الله تعالى به الحجة على عباده . يقول الله تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) (٢) ويقول سبحانه : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . " (٣)

فهذه الآيات تؤكد أن الله سبحانه لم يترك أمة بلا رسول يقوم بدعوة الناس الى الايمان بالله سبحانه ، وينذرهم سوء المصير للكافرين ، ويبشرهم بحسن المآل للمؤمنين ، ذلك لئلا يكون لهم حجة على ربهم وخالقهم سبحانه بعد ذلك . قال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما . " (٤) .

---

١ — انظر مشاهد القيامة ص١٨   ٢ — سورة فاطر آية ٢٤
٣ — سورة النحل آية ٣٦   ٤ — سورة النساء آية ١٦٥

ولكن هذه العقيدة — بمرور الزمان — قد طرأ عليها زيغ وانحراف الى أن أصبحت شبيهة بالخيال الذى لا يمت الى الحقيقة بصلة •

وقد لاحظنا من خلال النصوص الواردة فى كتبهم أن العقيدة المصرية القديمة ليست فيها فكرة عن اليوم الآخر الذى يعنيه الاسلام ، فان العالم الآخر الذى يقوله قدماء المصريين هو تلك السماء وهذه الأرض اللتان نشاهدهما ونعيش بينهما • وكل ما هناك فى ذلك العالم الآخر من أمر البعث والحساب والجزاء لا يعدو أن يكون داخل هذا العالم الذى نحن فيه •

ومن ثم يمكن أن نقول أن هذا العالم المشهود فى تصورهم أبدى لا يطرأ عليه الخراب والهدم والفناء ، وهذا — بلا شك — زيغ وضلال يتنافى مع تصور الاسلام فيه ، حيث ان هذا العالم فى تصوره ، لابد أن يتخرب وينهدم ويفنى يوم أن تقوم القيامة الذى يحاسب الله فيه الخلائق ، ويجازيهم • قال الله تعالى : (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية •) (١) وقال تعالى : " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب • " (٢)

وكل أمر من أمور الآخرة من البعث والحساب والجزاء بيد الله تعالى ، وهو وحده الذى يتصرف فيه يوم القيامة ، ويتولى أمور جميع الخلق فى ذلك اليوم الرهيب من غير حاجة الى عون من خلقه ، فهو سبحانه لا يعجزه شيىء • قال تعالى : " يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله • " (٣) وقال سبحانه : " وما كان الله ليعجزه من شيىء فى السموات ولا فى الأرض • " (٤) وقال تعالى : " ان الله لغنى عن العالمين • " (٥) •

---

١ — سورة الحاقة آية ١٣ — ١٨
٢ — سورة غافر آية ١٧
٣ — سورة الانفطار آية ١٩
٤ — سورة فاطر آية ٤٤
٥ — سورة العنكبوت آية ٦

وليس هناك من يبعث الموتى سوى الله تعالى ، قال سبحانه : " وان الساعة آتيـة لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور • " (١)
كما أنه عـز وجـل هو وحده الذى يحاسب الخلائق دون غيره سبحانه من الآلهـة المزعومة • قال تعالى : " وان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللـه• " (٢)
وهو سبحانه يتفرد كذلك باثابـة المطيعين الأخيار ، ومعاقبة العاصين الأشرار• قال تعالى : " وجزاهم بما صبروا جنـة وحريرا • " (٣) وقال سبحانه : " فامـا الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا • " (٤)

أما الجنـة والنار ومافيهما من أنواع النعيم ، وألوان العذاب التى يعنيهـا الاسلام فليس لها مكان فى الديانة المصريـة القديمة ، ويكفى بطلان تصوراتهـم فى أمور الآخـرة من البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار التـى سبق أن ذكرناها ، أن عقيدتهم فيها ، وان كانت من بقايا النبوة السابقـة ـ كما سبق تقرير ذلك ـ الا أن هذه البقايا قد انطمست معالمها واندرسـت آثارها حتى أصبحـت من ضمن الخيالات التى يتخيلها العقل بلا دليـل ولا برهان • واللـه سبحانه وتعالى أعلـم•

١ـ سورة الحج آيـة ٧
٢ـ سورة البقرة آية ٢٨٤
٣ـ سورة الانسان آية ١٢
٤ـ سورة آل عمران آية ٥٦

الفصل الثاني

الجنة والنار في الديانة الهندوسية

أ ـ تعريف موجز عن الديانة الهندوسية :

قبل أن نخوض في الكلام على رأى الهنود في الجنة والنار،أود أن نتعرف أولا على الديانة الهندوسية لكى نكون على صلة بمعرفتها حتى لاتشتبه علينا مع الأديان السماوية التي جاءت من عند الله تعالى •

فالهندوسية اسم يطلق على ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن ، وهى ليست دينا سماويا كسائر الأديان السماوية التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وحيا من عند الله عز وجل ، وانما هى دين وضعى شأنه كشأن الأديان الوضعية التي ابتكرها الناس ، واخترعوها لأنفسهم •

وهى مجموعة من المعتقدات والتقاليد والعادات ، وصور الحياة الهندية ، سواء منها ما يرجع الى سكان الهند الأصليين ، أو ما جلبه الى تلك البلاد كل من التورانيين الزاحفين ، والآريين الفاتحين •

وقد أطلق عليها " البراهمية " ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة الى " براهما " وهو ـ عند الهندوس المنتسبين الى هذه الديانة ـ رب الأرباب ، واله الآلهة الذى صدرت منه كل الكائنات • (١)

ومن (براهما) اشتقت منه (البراهمة) لتكون علما على رجال الدين الذين يعتقد الهنود بأنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الالهى • وهم لهذا كانوا كهنة الأمة ، لاتجوز الذبائح الا في حضرتهم وعلى أيديهم • (٢) •

١ـ انظر مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى) للدكتور أحمد شلبي ج ٤ ص ٥٠
٢ـ أنظر نفس المصدر ص ٣٩

وتتسم الهندوسية بأفكار بدائية ، كعبادة قوى الطبيعة ، وعبادة الأجداد وعبادة البقر بصفة خاصة . ومع ذلك فان كونها أسلوبا فى الحياة أكثر مما هى مجموعة من العقائد والمعتقدات . (١)

ب ـ الروح فى تصور الهنود :

الهندوس يرون أن الانسان مركب من جسم كثيف محسوس ، وروح ، وهى عبارة عن جسم لطيف يتركب من القوى الأساسية والحواس ، والقوى الآلية المحركة والعناصر اللطيفة ، والعقل . وتلك التى تحرك الجسم الكثيف وتنشطه وتسيطر عليه . وموت الانسان معناه فساد هذا الجسم الكثيف وعدم صلاحيته للحياة . أما الروح فانها لا تموت بموت الجسم ، لأنها أزلية أبدية غير مخلوقة ، انبثقت عن الروح الأكبر الذى هو " البراهما " الاله . (٢)

ج ـ تصور الهنود فى الجزاء :

ومن المعتقدات التى تقررها العقيدة البرهمية أن أعمال الانسان سواء كانت منها الحسنة أو السيئة لابد لها من جزاء ، فالأعمال سواء كانت صغيرة أو كبيرة تحصى لصاحبها احصاء دقيقا ، وليس لأحد من بنى الانسان أن يتهرب بأعماله من ذلك الجزاء ، حيث ان لهذا الكون نظاما الهيا يقوم على العدل الالهى ، وهذا العدل قد قضى بالجزاء لكل الأعمال التى قدمها الانسان فى حياته ، فالحسنة تجزى بالحسنة ، والسيئة بمثلها .

قال البروفسور أتريا (٣) :

" ان الشهوة أقوى عامل فى حياتنا ، ولكن شهواتنا تؤثر على الآخرين ، فنحن

١ـ تاريخ الاسلام فى الهند لعبد المنعم النمر ص١٨
٢ـ انظر مقارنة الأديان ج ٤ ص٦٧
٣ـ مقارنة الأديان ج ٤ ص٦١ ـ نقلا عن (ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية ص٤٢ ـ ٤٣ .

فى أعمالنا التى تفرضها الشهوات نحسن الى الآخرين أو نسىء فلابد أن ينطبق علينا " قانون الجزاء " المسيطر على سائر الأحياء الحرة فى الكون ، وقانون الجزاء يسمى فى اللغة السنسكريتية (كارما) وليس لأحد أن يتملص منه "

وورد فى كتاب (يوغا باستسها) مايلى :

" ليس فى الكون مكان ـ لا الجبال ، ولا السموات ، ولا البحار ، ولا الجنات ـ يفر اليه المرء من جزاء أعماله ، حسنة كانت أو سيئة . " (١)

وهذا الجزاء يحصل للانسان فى مرحلتين : الأولى : فى حياته . والثانية : بعد موته حين تنتقل روحه الى الجنة أو النار أو الى حيوان أو نبات ، كما سنبينه قريبا .

ونلحظ فى المرحلة الأولى أن الجزاء فيها يكون مشتركا بين الجسم والروح ، بحيث يأخذ كل منهما حظه منه . وفى الثانية أن الجزاء يكون فيها خاصا للروح فقط دون مشاركة الجسد فيه .

ويشهد لذلك ما جاء فى بعض النصوص التى نقلت عن بعض الكتب الهندية كما يأتى :

" وجميع أعمال البشر الاختيارية التى تؤثر فى الآخرين خيرا كانت أو شرا لابد أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقا لناموس العدل الصارم . فنظام الكون الهى قائم على العدل المحض ، وان العدل الكونى قضى بالجزاء لكل عمل ، وان فى الطبيعة نوعا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون احصاء ، وبعد احصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله . ويكون الجزاء فى الحياة . " (٢)

١ـ نفس المصدر ص ٦٢ ـ نقلا عن كتاب يوغاباستسها ج ٣ ص ٩٥
٢ـ نفس المصدر والصفحة ـ نقلا عن تاريخ الفكر البوذى لادوارد توماس ص ١٠٧

د - جنة الهنود وجحيمهم :

لقد ورد فى كتاب (كيتا) الهندى ذكر عن الجنة والنار أو الجحيم. وقد دار الحوار بين أرجنا - زعيم أحد الحزبين المتحاربين ، وبين كرشنا . فقال له أرجنا - وهو واقف بين الصفين ، ينظر الى الذين جاءوا لمحاربته - بعد أن ذكر له عذره عن ملاقاة هؤلاء ، ومقاتلتهم اذ فيهم الأقارب والأحباب والأصدقاء فقال : (١)

" فالذين يتحاربون ويسببون هذا الفساد ، لابد من أن يجازوا بالجحيم وليس هؤلاء وحدهم الذين يصلون بالنار ، بل يدخلها أسلافهم كذلك ، لأنهم قد فقدوا أخلافهم الذين عليهم أن يقدموا لأرواح الأسلاف ما يجلب لهم الراحة والسعادة. وهكذا تفنى الرسوم والعادات ، وهكذا يذهب الدين فيصير نسيا منسيا ، ونحن مازلنا نسمع أن الذين كانت حالتهم هكذا يدخلون الجحيم الأبدى ، ولذلك فمباشرتنا الحرب ، اثم ليس فوقه اثم. "

وقال كرشنا لأرجنا بعد أن حضه على القتال ، وأخبر له أن تركه لايليق برجل شجاع مثله ، وأنه عار لا يمحى سواده على جبينه : " ثم ان تأخرك عن الحرب يا أرجنا ، مناقض لواجبك كرجل من كاشتريا (طبقة المحاربين) ، ان القدر قد ساق اليك هذه الحرب التى ليست الا بابا للجنة ، والسعيد من تسنح له فرصة كهذه ، وأنت ان ضيعتها تبوء باثمك ويعيرك الناس بالجبن ، يظن المحاربون أنك قعدت عن الحرب خوفا وجبنا ، فتسقط من الأعين التى مازالت تبجلك . تفكر أى أسى يكون فوق هذه الأسى ! هل هناك عار على الرجل أكبر من أن يقال أنه جبان ؟ وأنت ان قتلت دخلت الجنة ، وان عشت فزت بملك عظيم ، فوطد نفسك على القتال ، وباشره غير مبال بالعاقبة . "

١- نفس المصدر ص ٨٣ - ٨٥ نقلا عن كتاب (كيتا)

من هذه النصوص يتبين لنا أن الهندوس يرون أن هناك جنة ونارا أو جحيما ولكن تصورهم فى الجنة والنار والثواب والعقاب فيهما لا يتفق مع ما جاءت به الديانات السماوية . فالجنة والنار فى نظر الهندوس انما تمثلا الجزأين من أجزاء العالم الثلاثة اذ العالم فى تصورهم ينقسم قسمة أولية الى علو وسفل ووسط ، فيسمى العالم الأعلى (سفرلوك) وهو الجنة دار الثواب ، والعالم الأسفل (ناكلوك) أى مجمع الحيات ، وهو جهنم دار العقاب ، ويسمى أيضا (نرلوك) أى اسفل الأرضين ، وأما الأوسط فيسمى (مادلوك) و(مانش لوك) أى مجمع الناس الذى تعيش فيه . (١)

واذا مات الانسان الصالح وانفصلت روحه من جسده ، انتقلت هذه الروح الى العالم الأعلى (الجنة) لتستوفى فيها جزاء ما قدمه صاحبها من الأعمال الطيبة فى العالم الأوسط ، وتمكث فيها مدة محدودة حسب أعماله ثم تعود منها الى العالم الأوسط تتقمص جسما آدميا آخر بطريق التناسخ (٢) — لتدخل حياة جديدة كما كانت فى الأولى .

وأما الانسان الطالح الشرير فانه اذا مات انتقلت روحه الى العالم الأسفل (جهنم) لتعاقب فيه على المعاصى التى ارتكبها زمنا مضروبا لها حسب أعماله كذلك ، ثم تعود من ذلك الجهنم الى العالم الأوسط ، اما فى جسم حيوان أو فى جسم نبات على طريق التناسخ أيضا ، حتى تبلغ مرتبة الانس على التدريج . وحينئذ عادت تتجسم جسما آدميا آخر بعد أن كانت متجسدة الجسم الحيوانى أو النباتى .

أما اذا مات الانسان الذى كانت حاله بين الحالتين السابقتين ، وهو القاصر عن البلوغ الى الجنة ، والنزول الى جهنم فان روحه تذهب الى مكان آخر غير الجنة والنار ، وهو ما يسمونه ـ (ترجكلوك) أى النبات والحيوان غير الناطق ، وتتردد

١ـ أنظر الأسفار المقدسة للأديان السابقة للاسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٦١

٢ـ التناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم الى العالم الأرضى فى جسم آخر .

هذه الروح في أشخاصهما على الطريقة التناسخية الى أن تنتقل الى مرتبة الانس على التدريج ، وتتقمص حينئذ جسما انسانيا كما كانت حاله قبل موته • وهكذا دواليك • (١)

الجنة ـ كما في اعتقاد الهندوس ـ ليست هي الهدف الرئيسي الذى يتطلع اليه الانسان • وانما هي مجرد مرحلة من المراحل التى يسعى الانسان جاهدا لاجتيازها لكى يصل الى الغرض الحقيقى المنشود ، وهو الاندماج بالكائن الأعلى (البراهما) حتى يتخلص من الحياة التناسخية ، وينجو من ذلك الجزاء الذى يلحق كل انسان بسبب أعماله فيحول دون الوصول الى تلك الغاية السامية •

كما أن النار ليست هي نهاية المطاف التى يصير اليها الانسان المذنب الظالم ، وانما هي كذلك مرحلة من تلك المراحل التى يجب على الانسان أن يجتازها جاهدا حتى يبلغ الى ذلك المقام الأسمى الذى يحلم به كل الكائن البشرى •

والبرهميون ينظرون الى هذا العالم بأنه ما هو الا " عجلة " تدور معها الولادة والوفاة بلا نهاية فليس هناك دمار ولا خراب ولا هدم يلحق بهذا العالم وليس من ورائه عالم آخر •

واليوم الآخر الذى تدعو الأديان السماوية الى الايمان به • ليس له وجود في التفكير الهندوسى وكل ما أخبرت به الكتب السماوية من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار انما يقع ويتم في هذا العالم المشهود ، وأن ذلك ـ في نظر الهندوس ـ ما هو الا حاجز من الحواجز بين الانسان وبين الوصول الى ما يتطلع اليه البرهمى ويحلم به وهو الاندماج بالههم (البرهما) •

١ـ أنظر الاسفار المقدسة للأديان السابقة للاسلام ص ١٦١

ولذلك يتحتم على كل البرهمى أن يسعى جاهدا لاجتياز تلك الحواجز بالتحرر من الشهوات والرغبات والأهواء ، والانقطاع عن ملاذ الدنيا ، والابتعاد عن الأعمال الحسنة والسيئة التى تستوجب الثواب والعقاب ، حتى ينجو من تكرار المولد لكى تلحق روحه بالذات الأقدس ، وتمتزج به كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم . (١)

ولذلك ترى حياة كثير من الهندوس حافلة بالبؤوس ومحاربة الملاذ والسلبية وتعذيب النفس ، والتسول ، لأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتحطيم جميع الحواجز الحائلة بين الانسان وبين الهه . واذا لم يسلك هذا الطريق ، واتخذ طريقا آخر مخالفا له ، بحيث يقوم بتوفير الوسائل الحسنة للحياة الطيبة السعيدة فى هذه الدنيا فان ذلك مما يجعل تلك الحواجز تتضخم أمامه حتى لا يستطيع تحطيمها وازالتها فى نهاية الأمر .

وفيما يلى بعض الفقرات المقتبسة من كتاب (مانو) كشرائع افترضها هذا الكتاب على الهندوس مما يدل على ذلك : (٢)

" ان الذى أوتى كل شيىء والذى تخلى عن كل ما كان فى يده ، فهذا خير من ذاك . " " على طالب العلم أن يتجنب الحلو واللحوم والروائح الطيبة ، والنساء ، وكذلك يجب عليه ألا يدلك جسده بما له رائحة طيبة ، ولا يكتحل ، ولا يلبس حذاء ، ولا يتظلل بالشمسية ، وعليه أن لا يهتم برزقه ، بل يحصل رزقه بالتسول . " " وعندما تدخل فى الشيخوخة ، عليك بالتخلى عن الحياة الأهليه ، والاقامة فى الغابة ، واذا أقمت فى الغابة فليس لك أن تقص شعرك ولحيتك وشواربك ، ولا أن تقلم أظافرك . " " وليكن طعامك مما تنبته الأرض ، وتثمره الأشجار ، ولا تقطف الثمر بنفسك ، بل كل منه ما سقط من الشجرة بنفسك ، وعليك بالصوم يوما ، وتفطر يوما ، واياك واللحم والخمر . " " عود نفسك على تقلبات الموسم ، فاجلس تحت الشمس المحرقة ، وعش أيام المطر تحت السماء ، وارتد الرداء المبلل فى الشتاء . "

(١) انظر أديان العالم الكبرى لحبيب سعيد ص ٣٣

(٢) انظر مقارنة الأديان ج ٤ ص ٧٠ نقلا عن كتاب مانو .

هـ ـ المقارنة بين رأى الاسلام ورأى الهنود فى الجنة والنار :

وقد قلنا فيما سبق أن ما عند الديانة الهندوسية من الاعتقاد فى الجنة والنار يختلف اختلافا كبيرا عما عند المسلمين . ان هاتين العقيدتين لاتتفقان الا فى مجال ضيق ، وهو اثبات أن هناك جنة ونارا يلقى فيها الانسان ثواب ما عمل من الخير ، أو عقاب ما اقترف من الشر ، ولكن سرعان ما تختلفان حينما ننظر الى الصورة التى تتسم بها كلتاهما وذلك لأن الهندوس يقولون ،

١ـ ان الجنة انما تمثل الطرف الأعلى لهذا العالم والنار تحتل الطرف الأدنى له ، وهما جزآن من الأجزاء الثلاثة لهذا العالم.

٢ـ ان الجنة ليست هى الطموح النهائى الذى يستحق مجاهدة الانسان نفسه وماله فى سبيل الوصول اليها ، وانما هى من الحيلوله التى تحول دون البلوغ الى الهدف الأسمى ، وهو الاندماج بالبرهما رب الأرباب واله الآلهة . كما أن النار ليست هى المصير النهائى للفجار الآثمين ، وانما هى كذلك حاجز من الحواجز التى تمنع الانسان من الوصول الى تلك الغاية العليا التى يتطلع اليها كل كائن بشرى.

٣ـ ان الثواب ـ وان كان من النتائج الطيبة للأعمال الصالحة ـ الا أنه لايعنى التمتع الكامل السرمدى ، والسعادة الأبدية التى لاتقبل الانقطاع وأن العقاب ـ وان كان من النتائج السيئة للأعمال الخبيثة ـ لكنه لا يعنى التعذيب الصارم المستمر .

٤ـ ان كلا من الثواب والعقاب انما يكون للجسد والروح فى الحياة ، وبعد الموت يكون للروح فقط بعد انتقالها الى الجنة أو النار ، وكلتا الحالتين لا تعدو أن تكون فى هذا العالم المشهود .

٥ـ ان كليهما لا يدوم ، بل يكون موقتا بالنسبة للأفراد ، سواء كان فى حياة الانسان أو بعد موته.

هذه الأوصاف التى وصفت بها الديانة الهندوسية كلا من الجنة والنار ليست الأوصاف لهما عند المسلمين ، ولذلك فان الجنة والنار اللتين يقولهما

الهندوس ليستا الجنة والنار اللتين يؤمن بهما الاسلام.

ان الجنة والنار لدى العقيدة الاسلامية منفصلتان عن هذا العالم، وليستا من أجزائه ،فالعالم فى تصور الاسلام لا يدوم دواما أبديا ، بل انه سوف يتخرب ويفنى اذا انتهت المدة المضروبة لبقائه فى علم الله تعالى ،فحينئذ يأتى اليوم الآخر الذى يختلف عن يومنا هذا ،ويكون العالم غير عالمنا الحاضر. قال تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار." (١) وقال سبحانه : " يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ." (٢)

وفى ذلك اليوم يؤتى بالجنة وتزلف للصالحين ، كما يجاء بالنار، وتبرز للمسيئين . قال تعالى : " وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين." (٣) واذا دخل أهل الجنة الجنة فانهم يبقون فيها بقاء بلا نهاية ، ويكون النعيم فيها للروح والبدن على حد سواء ، كما أن الكفار الذين هم أهل النار اذا دخلوها ، فانهم لا يخرجون منها أبدا ، ويكون العذاب فيها للروح والبدن أيضا . قال تعالى : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ." (٤) وقال سبحانه : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ." (٥) وقال تعالى : " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ." (٦) وقال تعالى : " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ." (٧)

فالجنة هى الهدف الأسمى ، والغاية العليا التى يطمح اليها المسلم ، ويسعى جاهدا للوصول اليه ، وهى الفوز الكبير الذى يناله المؤمنون برحمة من الله تعالى بعد رحلة الحياة الدنيا ، ويتمتعون فيها بكل ما تشتهيه الأنفس

١ـ سورة ابراهيم آية ٤٨
٢ـ سورة الجاثية آية ٢٧
٣ـ سورة الشعراء آية ٩٠
٤ـ سورة البقرة آية ٨٢
٥ـ سورة البقرة آية ٢٥
٦ـ سورة البقرة آية ٣٩
٧ـ سورة النساء آية ٥٦

وتلذ الأعين ، ولذلك اذا دخلوها فهم لايريدون غيرها ولا يبغون عنها تحويلا .
قال تعالى : " ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ." (١) وقال سبحانه : " وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ." (٢) وقال سبحانه : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ." (٣)

ولذلك فقد حث الله تعالى عباده على المسارعة اليها بالأعمال الصالحة ، مخبرا بأنها هى الرحمة العظيمة التى أعدها لهم فى الآخرة ، حيث يقول تبارك وتعالى : " وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ." (٤)

أما النار فهى المصير السىء الذى سوف يصير اليه الطغاة وينتهون اليه يوم لا يجدون عنها محيصا ، ولا سبيلا الى التفلت من عذابها .

قال تعالى : " لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ." (٥) وقال سبحانه : " ان عذابها كان غراما ." (٦)

وليس بقاؤهم فيهما مؤقتا بحيث يخرجون منهما فى وقت من الأوقات ، كما يقوله الهندوس ، اذ زعموا أن أهل الجنة وأهل النار انما يدخلون فيهما ليستوفوا فيهما جزاءهم الخير أو الشر الذى يعوقهم عما يسعون اليه ، ثم يخرجون منهما بعد مدة حسب أعمالهم ، ليعودوا الى العالم الأوسط فيدخلون حياة جديدة على الطريقة التناسخية المزعومة .

وهذا — بلاشك — خيال ليس له نصيب من الصحة ، ذلك لأن الوحى السماوى لم يخبرنا بعودة الأرواح الى الدنيا بعد أن فارقتها أول مرة ، وانما الذى أخبر به هو أن الروح لن ترجع الى الدنيا بعد مفارقتها لاستئناف حياة جديدة كما جاء فى حديث جابر بن عبد الله أنه قال : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ـ سورة النساء آية ١٣
٢ـ سورة الزخرف آية ٧١
٣ـ سورة الكهف آية ١٠٧
٤ـ سورة آل عمران آية ١٣٣
٥ـ سورة النور آية ٥٧
٦ـ سورة الفرقان آية ٦٥

فقال لى : ياجابر ،مالى أراك منكسرا ؟ قلت ،يارسول الله ،استشهد أبى قتل يوم أحد ، وترك عيالا ودينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قال ،قلت ،بلى يارسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا ،فقال : ياعبدى تمن على أعطك ، قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل : انه قد سبق منى أنهم اليها لايرجعون .. الحديث (١)

كما أن الوحى قد أخبر بأن أرواح الشهداء تكون فى حواصل طير خضر ترد الجنة ،وأن نسمة المؤمن (أى روحه) طائر يعلق فى شجرة الجنة حتى يرجع الى جسده يوم القيامة . عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه سئل عن قوله تعالى : " ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ." فقال : أما انا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ، وتأوى الى قناديل معلقة بالعرش فأطلع اليهم ربك اطلاعة ،فقال : هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا ربنا وما تستزيد ونحن فى الجنة تسرح حيث شئنا ؟ ثم اطلع اليهم الثانية ، فقال : هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ، فلما رأوا أنهم لم يتركوا قالوا : تعيد أرواحنا فى أجسادنا حتى نرجع الى الدنيا ، فنقتل فى سبيلك مرة أخرى . (٢)

وعن عبد الرحمن ابن كعب الأنصارى أنه أخبره أن أباه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجع الى جسده يوم يبعث . (٣) .

وهذه الأحاديث تنفى عودة الروح الى الحياة الدنيا بعد موت الانسان نفيا صريحا مما يدل على فساد قول الهندوس بعودة الروح الى الدنيا بعد الموت .

١ـ سنن الترمذى ج ٥ ص ٢٣٠ تحقيق وتعليق ابراهيم عطوه عوض.
٢ـ سنن الترمذى ج ٥ ص ٢٣١
٣ـ سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٢٨ ـ تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى ط دار احياء التراث العربى بيروت لبنان .

ومن الغريب جدا فى العقيدة الهندوسية أن الأرواح المعذبة لا تعرف شيئا عن الذنوب التى هى سبب تعذيبها ، (١) وليس هذا من الاسلام فى شيىء حيث يقرر أن الانسان يوم القيامة انما يعذب ويعاقب بعد اعترافه بالذنوب التى اقترفها فى الدنيا ، وأن جوارحه تشهد عليه بذلك ، قال تعالى : " فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ٠ " (٢)

وقال عز وجل : " قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ٠ " (٣) وقال سبحانه : " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ٠ " (٤)

واذا كان شأن العقيدة الهندوسية فى أمر الثواب والعقاب والجنة والنار على النحو الذى ذكرناه فان ذلك كاف فى ابعادها عن ميزان الاعتبار ، فهى الى الخيال أقرب من أن تكون عقيدة جديرة بالالتفات اليها ، فالمسألة الغيبية اذا لم تكن مدعمة بدليل سمعى فانها لا يمكن التمسك والأخذ بها ٠ والله تعالى أعلم ٠

١ـ أنظر مقارنة الاديان السابقة ص ٦٤
٢ـ سورة الملك آية ١١
٣ـ سورة غافر آية ١١
٤ـ سورة النور آية ٢٤

الفصل الثالث

((الجنة والنار فى الديانة البوذية))

أ ـ موجز تعريف عن هذه الديانة :

البوذية هى احدى الديانات فى الهند ،نشأت متأخرة عن البرهمية ،وهى الديانة التى ظهرت فى القرن السادس قبل الميلاد (١) على يد رجل اسمه " سذهاتا " ،وقد أطلق عليه " بوذا " أى العالم المتنور لقباله بعد أن وصل ـ فى زعمه ـ الى معرفة أسرار الكون التى قد قام بعدة محاولات فى سبيل الوصول اليها مدة من الزمان •

وسميت هذه الديانة بـ " البوذية " نسبة الى " بوذا " صاحب الفكرة البوذية ، ومنشئها ،ومؤسسها • و " بوذا " هذا لم يتكلم فى الاله • بل كان يجحد وجود الاله وينكره حتى بلغ هذا الانكار الى السخرية • وكان مما قاله فى ذلك :

" ان المشايخ الذين يتكلمون عن الله ،ولم يروه وجها لوجه كالعاشق الذى يذوب كمدا وهو لا يعرف من هى حبيبته ، أوكالذى يبنى السلم وهو لايدرى أين يوجد القصر ، أوكالذى يريد أن يعبر نهرا فينادى الشاطئ الآخر ليقدم له •" (٢)

وترى البوذية أن هذا الكون أزلى أبدى ليس له مبدأ ولا نهاية ،ومن ثم فان الفكرة البوذية خالية عن الايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء • وأهم ما يسعى اليه البوذى فى حياته هو التطهر النفسى ،والقضاء على جميع الرغبات المادية • والتحرر من تكرار المولد ، وبالتالى الوصول الى " النيرفانا " التى سيأتى بيانها ان شاء الله تعالى •

---

١ ـ انظر مقارنة الأديان السابقة ص ١٣٧
٢ ـ نفس المصدر ص ٢١٢

قال سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ :

" لانجد في الديانات الهندوكية ، ولا في الديانة البوذية ، وهي عقيدة طائفة من الهنود ، وعقيدة أهل سيلان ، ومعظم اليابانيين ، وكثير من الصينيين ، لانجد في هذه الديانات عالما آخر للحساب والجزاء ، انما نجد مكانه " النيرفانا " وهي الفناء في الروح الأعظم ، وان اختلفت وسائل الوصول الى هذه المرتبة بين الديانتين ." (١)

ولكي يصل البوذي الى " النيرفانا " يجب عليه أن يتبع تعاليم " بوذا " ، فهذه التعاليم تنحصر في ثمانية أشياء كما جاء في خطاب ألقاه على رفاقه في " بنارس " وهو أول الخطاب الذي خطبه عقب تلقيه المعرفة ، فيقول : (٢)

" أيها الرهبان : هذه هي الحقيقة المقدسة عن الألم : المولد ألم ، والهرم ألم ، الموت ألم ، الاجتماع بغير المألوف ألم ، الافتراق عن المألوف ألم ، عدم ظفر الرجل بما يهوى ألم .

" أيها الرهبان ، هذه هي الحقيقة المقدسة عن مصدر الألم : الظمأ والشهوة والهوى والرغبة في التلذذ ، في التكون ، في القوة ، ذلك الهوى ، وتلك الشهوة تجر من مولد الى مولد ، ومن ألم الى ألم .

" أيها الرهبان : هذه هي الحقيقة المقدسة عن اعدام الألم : اعدام الشهوة والهوى والظمأ والرغبة اعداما كاملا .

" أيها الرهبان : هذه هي الحقيقة المقدسة عن سبيل اعدام الألم : سلوك الطريق المثمن (ذي الثماني شعب) : الاعتقاد الصحيح ، العزم الصحيح ، القول الصحيح ، العمل الصحيح ، العيش الصحيح ، الجهد الصحيح ، الفكر الصحيح ، التأمل الصحيح .

١ـ مشاهد القيامة في القرآن ص ٢٣
٢ـ مقارنة الأديان السابقة ص ١٦٢

من هذا الخطاب الذى يعد فاتحة تبشير " بوذا " نستطيع أن نستخلص أن السبب الرئيسى لهذه الآلام والمتاعب التى تراود الانسان ليل نهار هو تلك الشهوات والأهواء والرغبات التى تجلب للانسان الشقاء ، وتسبب له تكرار المولد الذى يحجز الانسان عن الوصول الى غايته التى ينشدها . وعلى هذا يتحتم على كل فرد من أفراد البشر أن يحطم تلك الشهوات والأهواء والرغبات ، ويكسرها مستعينا بتلك الوسائل الثمانية التى تعتبر قواعد أساسية لتعاليم البوذية ، حتى يزول أمامه ذلك الحاجز لكى يصل الى تلك الغاية العليا التى هى سر الوجود ، وهى " النيرفانا "

ب ـ معنى " النيرفانا " :

يرى بعض الباحثين أن " النيرفانا " هذه لم يشرحها بوذا ، يقول العلامة رادها كرشنين :

" ان بوذا رفض أن يشرح النيرفانا . وعلى هذا لا يجدى نفعا أن نحاول فهمها ، بل ربما كانت اللغات البشرية لاتستطيع شرح النيرفانا . " (١)

اذن : فالنيرفانا عند بعض الباحثين لاتزال يسودها الغموض ، شأنها كشأن " التثليث " لدى كثيرين من أتباع الديانة المسيحية .

ويؤيد هذا الغموض ما نسب الى " بوذا " من قوله عن " النيرفانا " لمريديه فيقول :

" أيها المريدون : هى طور لا أرض فيه ولا ماء ، لا نور فيه ولا هواء ، لافيه مكان غير متناه ، ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللا ادراك معا ، ليس هو هذا العالم وذاك العالم ، لافيه شمس ولا قمر ، أيها المريدون ، هى طور لا أقول عنه باتيان ولا بذهاب ولا بوقوف ، لا يموت ولا يولد هى من غير أساس من غير مرور ، من غير انقطاع ، ذلك نهاية الحزن . " (٢)

---

١ ـ مقارنة الأديان السابقة ص ١٦٠

٢ ـ مقارنة الأديان السابقة ص ١٦٠ ـ نقلا عن كتاب (ثقافة الهند) ص ١٢٩ سنة ١٩٥٠ م .

بينما يرى البعض الآخر أن " النيرفانا " هى الاندماج فى الذات الأقدس كالانطلاق فى الديانة البرهمية ، ولعل هذه العقيدة مرت بمراحل تاريخية كما فى رأى الباحثين الآخرين .

وقد كان مفهوم " النيرفانا " عند " بوذا " أول الأمر أنها الاندماج فى الله والفناء فيه ، ولكن أفكار بوذا قد تغيرت منذ أن تلقى الاشراقة ، وعرف أسرار الكون ـ كما فى زعمه ـ فلم يعد تفكيره يشغل المسألة اللاهوتية ، بل أنكر وجود الاله كما سبق أن ذكرناه . وعلى ذلك فان مفهوم " النيرفانا " لم يظل أن يكون الاندماج فى الله والفناء فيه .

ولكنها اتخذت مفهوما جديدا مخالفا عن المفهوم الأول ، قال الدكتور أحمد شلبى : (١)

" بناء على هذا الانكار (أى انكار وجود الله) لم تعد " النيرفانا " الاندماج فى الله ، بل اتخذت معنى جديدا أو قل أحد معنيين متلاحقين هما :

١ ـ وصول الفرد الى أعلى درجات الصفاء الروحانى بتطهير نفسه ، والقضاء على جميع رغباته المادية ، أو بعبارة أخرى فناء الأغراض الشخصية الباطلة التى تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة أو ذليلة مروعة ، ويصبح المقياس هو : كل من شاء منا أن ينقذ حياته عليه أن يخسر .

٢ ـ انقاذ الانسان نفسه من ربقة " الكارما " ومن تكرار المولد بالقضاء على الرغبات ، والتوقف عن عمل الخير والشر .

فالمعنى الأول يوحى بأن الانسان يستطيع أن يصل الى " النيرفانا " وهو حى ، والمعنى الثانى يشير الى أنه يمكن أن يحوز الانسان هذه المرتبة بعد الموت بتخلصه من تكرار المولد بالقضاء على رغباته المادية وترك الأعمال الصالحة والسيئة التى تستوجب الجزاء .

ومهما يكن من خلاف فى مفهوم " النيرفانا " فلا نزاع فى أنها هى الغاية

---

١ ـ نفس المصدر ص ١٦١

العليا التى يسعى اليها البوذى ، ويجاهد نفسه فى سبيل الوصول اليها . وهى جنة البوذية التى يعتقد البوذى أنه سيجد فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فهو السعادة الخالدة والسكينة الأبدية.

والذى لم يفز بهذه المرتبة فقد خسر خسرانا مبينا حيث لم يتخلص من ربقة الأهواء وقيود الشهوات التى تسبب المشاكل والمتاعب ، والآلام ، وتكرار المولد وتلك هى الشقاء المحزى ، والعذاب المؤلم ، والعقاب الشديد ، التى يفر منها البوذى ، ويخاف أن يقع فيها .

أما الجنة والنار على النحو المعهود فى الاسلام : فليس لهما ذكر يثير الانتباه فى هذه الديانة التى تأبى الا أن تنكر وجود الخالق سبحانه ، وترفض أن تعترف باليوم الآخر ، وتؤمن بالبعث والحساب والجزاء فى ذلك اليوم الذى يبعث الله فيه الموتى ، ويحاسبهم على ما فعلوا فى الدنيا فمن ثقلت موازينه دخل الجنة ، ومن خفت موازينه دخل النار . والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع

الجنة والنار عند ديانة الفرس الزرادشتية

أ ـ موقف الزرادشتية من الجنة والنار :

تبرز عقيدة الجنة والنار عند الفرس العريقة أول ما تبرز في ديانة "زرادشت" وهى من ديانات الفرس القديمة التى جاء بها مؤسسها الأول زرادشت بن يورشسب الذى قيل انه كان نبيا رسولا ظهر فى زمان كشتاسب بن لهراسب الملك. (١) وقد كانت هذه العقيدة لاتقل أهمية وعمقا عما فى الأديان الأخرى من الايمان بالجنة والنار ، ولذلك كان الفارسى التقى لم ينظر الى الموت فى غير رهبة ولا خوف لما فى اعتقاده الجازم بأن وراءه جنة يرجو أن تكون هى مصيره الأخير ، ونارا يخشى أن تكون نصيبا لحياته الأخروية.

قال صاحب قصة الحضارة :

" ولما كان من طبيعة الأديان أن ترهب وتنذر كما تأسو وتبشر ،فان الفارسى رغم هذا كله لم ينظر الى الموت فى غير رهبة الا اذا كان جنديا يدافع عن قضية " أهورامزدا " (٢) فقد كان من وراء الموت ـ وهو أشد الخفايا كلها رهبة ـ جحيم وأعراف وجنة . " (٣)

وكان الزرادشتيون يرون أن هذا العالم لابد أن ينتهى ، وأن هذه الحياة الدنيا ليست هى آخر المطاف التى ينتهى اليها كل الأحياء ، بل ان هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة الفانية ، وعالما غير هذا العالم المنظور يصير اليه الناس وينتهون اليه ، فهم يعتقدون أن للخير عاقبة طيبة ،وللشر مصيرا سيئا يتمان فى تلك الحياة الأخرى ، ولذلك كان لابد ـ فى الفكرة الزرادشتية ـ أن يبعث الموتى للحساب الذى يتوقف عليه صدور الحكم لتقرير مصائرهم . فالرجل

١ـ انظر الملل والنحل ج ١ ص٢٣٧ والفصل فى الملل والنحل ج ٢ ص ٣٤ ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

٢ـ وهو ـ عند الايرانيين ـ اله الخير وخالق الكون وحافظه من الفساد الذى يحاوله اله الشر " أهرمان ".

٣ـ قصة الحضارة لول ديورانت ج ٢ ص ٤٣٤ .

الصالح هو الذى سوف يفوز بالسعادة الأبدية ، والرجل الفاجر هو الذى سوف يشقى الشقاء السرمدى الذى لاينتهى .

يقول صاحب قصة الحضارة أيضا :

" ويحدثنا الزراد شتيون الصالحون بان العالم يقترب من نهايته المحتومة ، وذلك بأن مولد زرادشت كان بداية الحقبة العالمية التى طولها ثلاثة آلاف سنة ، وبعد أن يخرج من صلبه فى فترات مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه فى أطراف العالم يحل يوم الحساب الأخير ، وتقوم مملكة " أهورامزدا " ويهلك " أهرمان " هو وجميع قوى الشر هلاكا لا قيام لها بعده . ويومئذ تبدأ الأرواح الطيبة جميعها حياة جديدة فى عالم خال من الشرور والظلام والآلام ، فيبعث الموتى وتعود الحياة الى الأجسام وتردد فيها الأنفاس ويخلو العالم المادى كله الى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال . " (١)

وهذا يدل على عمق العقيدة الزرادشتية فى البعث والحساب والحياة بعد الموت وأن هذا العالم الذى لا يزال الخير والشر يتصارعان فيه ويتغالبان ، لابد أن ينتهى حتما ، وينتصر حينئذ الخير على الشر ، ويهلك " أهرمان " اله الشر ، وجميع قوى الشر هلاكا لاقيامة بعده . فهذا هو الذى كان رجال الدين الزرادشتى يعدون به أتباعهم اذ قالوا :

" ان آخر فصل من هذه المسرحية " مسرحية الحياة " سيكون خاتمة سعيدة للرجل العادى ، ذلك أن قوى الشر ستغلب آخر الأمر ويكون مصيرها الفناء بعد أن يمر العالم بأربعة عهود طول كل منها ثلاثة آلاف عام يسيطر عليه فيها على التوالى " أهورامزدا " و " أهرمان " ويومئذ ينتصر الحق فى كل مكان ، وينعدم الشر فلا يكون له من بعد وجود ، ثم ينضم الصالحون الى " أهورامزدا " فى الجنة ، ويسقط الخبيثون فى هوة من الظلمة فى خارجها ، ويطعمون فيها أبد الدهر سما زعافا . " (٢)

١ــ قصة الحضارة ج ٢ ص ٤٣٥
٢ــ ول ديورانت نفس المصدر والجزء ص ٤٣٠

ان هذا الكلام الذى وعد به رجال الدين الزرادشتى أتباعهم يؤكد مدى عمق الايمان الزرادشتى بالجنة التى سوف يسكنها الصالحون فى سعادة أبدية ، والنار التى يدخلها الخبيثون فى شقاء دائم.

ب ـ الحساب مصير الروح فى الديانة الزرادشتية :

كان الزرادشتيون يعتقدون أن الروح وجدت فى ماض لاحد له ، وستظل باقية الى غير نهاية (١) فالانسان اذا مات تظل روحه ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة الى جانب الجسم ، وهى اما منعمة بنعيم جسمها ، واما معذبة بعذابه . وفى فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح معطرة وذلك اذا كان الميت خيرا ، ونتنة اذا كان شريرا ، فتحملها هذه الريح الى موضع يلتقى فيه اما بفتاة جميلة حسناء ، واما بعجوز شمطاء مفزعة ، وليست تلك الفتاة الجميلة فتاة حقيقية ، ولا تلك العجوز المفزعة عجوزا حقيقية ، وانما هى صورة أعمال الميت ، وهى ضميره الذى يقوده الى حيث معبر الحساب والحكم الأخير .

وعلى باب هذا المعبر ثلاثة قضاة ، بينهم " ميتهرا " وهناك ميزان توضع فى احدى كفتيه حسنات الميت ، وفى الأخرى سيئاته ، وبناء على صعود احد الكفتين أو هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت . وعلى اثر انتهاء الوزن ، وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر المنصوب أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذى يتسع أمام الأخيار ، ويضيق أمام الأشرار .

وهؤلاء الأخيرون يهوون فى جحيم ظلم ظلاما كثيفا ، فيتزاحمون فيه كأنهم كمية من الشعر فى معرفة حصان . ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر فى وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة . أما الأخيار فيذهبون الى النور حيث

---

١ ـ انظر تاريخ العالم ، نشره السيرجون ا . هامرتن ، ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية بمصر ج ٢ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .

يستقبلهم " أهورامزدا " بعد أن يمروا فى وسط العمل الصالح والقول الخير والفكرة الطيبة ، وهناك يستمتعون فى كنف " أهورامزدا " بالسعادة الأبدية .

وهذا كله خاص بمن ثقلت موازينه أو خفت . أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم يوضعون فى مكان فسيح بين السماء والأرض ، يقاسون فيه ألم الحر والبرد ، ويحسون بجميع التغيرات الجوية ، ويظلون ينتظرون فى أمل ورهبة الحكم الأخير على مصيرهم الذى يظل مظلما ماداموا فى هذا المكان .

وأشهر أهل هذا الموضع هو " كيريزاشبا " الذى قتل وحشا مرعبا فحسب له ذلك حسنة ، ثم دنس النار المقدسة فحسبت عليه سيئة مساوية للحسنة الأولى ، فظل بين النعيم والجحيم (١) . "

ج — نظرة وتحليل :

نلاحظ من طيات هذه الأقوال أن ما جاء فى الديانة الزرادشتية من الأمور الأخروية كالبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار يبدو كما لو كان شبيها بما جاء فى الاسلام من هذه الأمور .

ولكن هل يمكن أن نقول بأن المقصود من هذه الأمور — بالنسبة لهذه الديانة — هو نفس مقصود الاسلام منها ؟ أو بعبارة أخرى هل يتفق الاسلام والزرادشتية فى حقيقة واحدة تكون عليها هذه الأمور ؟ .

قبل اجابة هذا السؤال ، لابد لنا من التعرف أولا على أى مصدر صدرت منه هذه الأفكار والتصورات التى يبدو فيها نوع من الملامح الحقيقية ، ليتبين لنا بذلك مدى صحتها أو فسادها اذا قلنا أنها صحيحة أو باطلة .

---

(١) انظر مشاهد القيامة فى القرآن ص٢٠ — ٢١ .

وقد قيل أن " زراد شت " مؤسس هذه الديانة كان نبيا رسولا تلقى تعاليمه مباشرة من الله تعالى ، حيث انه قد كلمه ربه مشافهة من غير واسطة ، فاذا صح هذا القول ، فليس لنا حق فى الاعتراض على حقيقة تلك الأمور الموجودة فى هذه الديانة ، فهى نفس الأمور التى جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وحيا من عند الله تعالى ، اذ لا يعقل أن يختلفوا فى أخبار الآخرة لكونهم مبعوثين من الله تعالى .

غير أننا لا نملك دليلا صحيحا يثبت صحة القول بنبوة " زراد شت " كما أن عدم ثبوت هذه النبوة له ، لا ينفى صحة تلك الأفكار والتصورات التى نجدها فى هذه الديانة ، اذ يمكن أن يكون هذا الرجل قد استقاها من بقايا النبوة التى لم تخل منها أمة من الأمم . (١) ذلك لأنه ليس من مقدور الانسان — بطبيعة الحال — أن يبتكر أمرا من الأمور الغيبية ،مهما أوتى بقوة الادراك ، والتفكير بدون خبر السماء ، قال تعالى : " قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله . " (٢) وقال سبحانه : " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو . " (٣)

ونحن انما عرفنا بعضا من هذه الأمور الأخروية بطريق الوحى ، فلولاه لما كان فى وسعنا أن نتوصل بمجرد عقولنا ومداركنا الى معرفة شيىء منها .

وخلاصة القول أن هذه الأمور التى نجدها فى الديانة الزرادشتية كالبعث والحساب والجزاء والجنة والنار ، هى التى نجدها نحن المسلمين فى ديننا بغض النظر عن تفاصيلها التى بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة على لسان خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . وأما اذا رجعنا الى هذه التفاصيل فسوف نجد بين الديانتين فجوة واسعة تجعل احداهما فى واد ، والأخرى فى واد آخر .

---

(١) انظر ص٢٩ من هذا البحث.
(٢) سورة النمل آية ٦٥
(٣) سورة الأنعام آية ٥٩

ولا يفوتني أن الفت نظر القارئ الى أننا لانقصد بهذا الكلام الميل الى الاعتراف بصحة هذه الديانة وكونها من عند الله تعالى . كلا ! اذ ليس لنا دليل قاطع على ذلك ، وانما قلناه بناء على ما رأيناه من التحليل الذى ذكرناه.

نعم ؛ يقول بعض الباحثين أن هذه الديانة كانت ديانة توحيد قبل أن يطرأ عليها زيغ وتحريف ؛ لأن " زرادشت " كان يدعو الناس الى عبادة اله واحد وهو " اهورامزدا " وترك عبادة الآلهة المتعددة التى كان الايرانيون يعبدونها.(١)

ونحن نقول بخلاف ذلك ؛ لأن هذه الديانة ، وان كانت تدعو الى عبادة اله واحد غير أنها تؤمن بوجود خالقين ، خالق الخير وهو " أهورامزدا " وخالق الشر وهو " أهرمان " وهما لا يزالان فى ميدان الصراع حتى نهاية هذا العالم ، فيومئذ يكون النصر لاله الخير على اله الشر .

قال زرادشت ردا على سؤال وجه اليه :

" لقد بدأ " اهورامزدا " روح الخير ، بخلق أرواح طيبة تنسجم مع طبيعته يستعين بها فى مقاتلة روح الشر " أهرمان " ، وعلم " أهرمان " بذلك فخلق أرواحا شريرة من جنسه ليقاوم بها الأرواح الخيرة ؛ ثم خلق " أهورامزدا " النجوم والكواكب ؛ وانتهى من خلق الأرض . وعندما انتهى من ذلك جعل الأرض حاجزا بينه وبين أهرمان وأعوانه ، ولكن أهرمان شق الأرض وأحدث فيها فجوة جمع بداخلها أعوانه الشريرين ؛ ثم صارت ميدانا للصراع بين القوتين . " (٢)

وهذا النص صريح فى أن هناك خالقين ينصب كل منهما للآخر العداء فلا يتغالبان الا بعد نهاية هذا العالم ، فحينئذ يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، فلأهورامزدا الغلبة ولأهرمان الهزيمة.

---

(١) انظر قصة الديانات لسليمان مظهر ص٣٠٩، ٣١٠ ؛ وفجر الاسلام لأحمد أمين ص١٠٣ ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م.

(٢) سليمان مظهر نفس المصدر ص٣٠٠

اذن فوجود خالقين ينفرد كل منهما بحرية الارادة والقدرة الفائقة هو من أبرز سمات الديانة الزرادشتية بنص كلام صاحبها ومؤسسها "زرادشت" وهو أساس عقيدتها الذى يقوم عليه دعائمها وتنبنى عليه تصوراتها فى الخلق .

كل هذا مناف — بلا شك — لما قيل أنها كانت ديانة توحيد ، وهو عين الشرك الذى حاربته الأديان السماوية ، ذلك لأن حقيقة التوحيد لابد أن تتوفر فيها ثلاثة أشياء :

أولا : الاقرار بأن الله هو الرب المنفرد بالخلق والابداع والرزق والتدبير .

الثانى : الاعتقاد بتفرد الله تعالى بالعبادة كلها .

الثالث : الاعتقاد بانفراد الرب جل وعلا بصفات الكمال وأسماءه الحسنى التى ذكرها القرآن الكريم والسنة المطهرة . (١)

واذا نقص شيئ من هذه الثلاثة فليس من التوحيد فى شيئ .

---

(١) انظر كتاب التوحيد لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ص ١٤ — ١٧ ط ٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٤ ط ٣ .

الباب الثانـــى

الجنة والنار فى الأديان السماوية السابقة للاســـلام

الفصـــل الأول : الجنة والنار فى الديانة اليهوديـــة

الفصـــل الثانى : الجنـــة والنار فى الديانـــة المسيحيـــة

الباب الثاني

الجنة والنار في الأديان السماوية السابقة للاسلام

قد جاءت الشرائع السماوية تقرر بأن هناك عالما آخر غير هذا العالم المشهود ، وأن في ذلك العالم حياة تخالف هذه الحياة الدنيا ، فهناك داران يصير اليهما الأخيار والأشرار ، وتسمى دار الأخيار بالجنة ، ودار الأشرار بالنار •

والناس بعد الموت يحيون ويبعثون ليجرى عليهم الحساب الالهي الدقيق الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، فأما من ثقلت موازينهم فأولئك هم في عيشة راضية في تلك الجنة يتمتعون فيها بكل أنواع النعيم الحسي والروحي ، وأما من خفت موازينهم فهم في عيشة ضيقة في تلك النار ، يقاسون فيها كل أشكال العذاب الحسي والروحي كذلك •

ولم يكن نبي أو رسول من أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام الا وقد دعا قومه أو أمته الى الايمان باليوم الآخر وما يصاحبه من البعث والحساب والجزاء والجنة والنار • قال تعالى : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • " (١) وقال سبحانه : " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين • " (٢)

ولكن اليهود والنصارى بعد موسى وعيسى عليهما السلام قد حرفوا كتبهم وبدلوا نصوصها بما ليس منها ، فأصبحت معالم الحق أمامهم مطموسة وأبواب الهداية مغلوقة ، فلم يعودوا يجدون عقيدة صافية لليوم الآخر ، وهي من أهم العقيدة الدينية بعد التوحيد • ولذلك فقد ظلت هذه العقيدة في أفكارهم مضطربة حتى أدت ببعضهم الى انكارها أشد الانكار بحيث لا يفكرون

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٣

(٢) سورة الانعام آية ٤٨ ، وسورة الكهف آية ٥٦

فى حياة بعد هذه الحياة الدنيا ولا يؤمنون بجنة ولا نار • وإليك بيان ذلك على وجه التفصيل بإذن الله تعالى •

الفصل الأول

الجنة والنار فى الديانة اليهودية

أ — التوراة واليوم الآخر :

ومما لا شك فيه أن التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام قبل أن تمسها يد التحريف والتبديل كانت تقرر الايمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، ولكن اليهود بكفرهم وجحودهم لتلك الحقائق الثابتة بالوحى الالهى أعرضوا عنها فحرفوا نصوص التوراة وبدلوها بما يوافق رغباتهم وأهوائهم ، فأصبحت فكرة الدين اليهودى بعد موسى عليه السلام تنحصر على الحياة الدنيا التى لاتعرف الا المادة •

ولذلك كان اليهود بعد موسى عليه السلام لا يعنون بعقيدة اليوم الآخر وما يستتبعه من الأحوال الأخروية من البعث والجزاء والجنة والنار • فكانوا يعتقدون أن الثواب للأعمال الخيرة يلقاه صاحبها فى هذه الحياة الدنيا وكذلك العقاب للأعمال الشريرة•

والتوراة التى بأيدى اليهود الآن قد خلت من فكرة اليوم الآخر ، فالحياة الدنيا هى عالم الانسان وليس هناك عالم آخر يأتى بعده • نعم قد ذكرت الجنة التى سكنها آدم وحواء فى سفر التكوين ، ولكن لم يذكر فى هذا السفر أن هذه الجنة هى دار الثواب فى الآخرة • (١)

يقول أرتور هارتسبارغ :

" ان الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هى عالم الانسان ، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك فى بعث وجنة ونار • " (٢)

---

(١) انظر سفر التكوين ، الاصحاح الثانى
(٢) مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبى ج ١ ص١٩٨

وقالت دائرة معارف لاروس :

" أما الاسرائيليون الأولون فكانوا ماديين ، ويظهر أنهم لم يكن لديهم فكر عن الجنة مقر الأبرار والصالحين . فكانوا يظنون أن المكافأة على الأعمال الطيبة تحصل فى هذه الحياة الدنيا ، وكانوا لا يعرفون عقيدة خلود الروح حتى انهم كانوا يقولون بعدم وجود شيىء فى الجسد يخلد بعد وفاته حتى أنهم خاطبوا ربهم قائلين : " الموتى لا يقومون بحمدك فاستبق حياتنا لتستبقى من يعبدك ." (١)

ويقول ول ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) :

" وقد قامت هذه المشكلة بسبب اهتمام العبرانيين بأمور هذه الدنيا ، ذلك أنه لما كانت الجنة لا وجود لها فى الديانة اليهودية القديمة (٢) فقد كان من الواجب المحتم أن تنال الفضيلة ثوابها فى هذا العالم . والا لم يكن لها ثواب على الاطلاق ." (٣)

ولكن فى العصور الأخيرة بعد عودة اسرائيل الى فلسطين حيث سمح لهم بذلك قورش (ملك الفرس) بعد سنتين من احتلال الفرس على بابل ومملكتى اليهود ، ظهرت أفكار فى الديانة اليهودية تقول بالقيامة والحياة بعد الموت، وأن هناك ثوابا للأخيار وعقابا للأشرار . وهذه الأفكار اذن قد حدثت فى عقيدة الديانة اليهودية المحرفة وطرأت عليها . وليست أصلا فيها .

وقد وردت فى سفر دانيال اشارة الى ذلك فقال :

" فى ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة الى ذلك الوقت . وفى ذلك الوقت ينجى شعبك كل من وجد مكتوبا فى السفر ، وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ج ٣ ص ١٩٢

(٢) نقلا عن دائرة معارف لاروس
ولعل المراد من قوله " فى الديانة اليهودية القديمة " بعد أن دخل فيها التحريف والتبديل .

(٣) قصة الحضارة لول ديورانت ج ٢ ص ٣٩١ ـ ترجمة محمد بدران ط ٣ سنة ١٩٦١

بعضهم للحياة الأبدية ، وبعضهم للعار والرذل الأبدى ، ويضئ العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا الكثيرين أبرارا كالكواكب الى الدهر والأبد ." (١)

نعم ، فى هذا النص اشارة الى يوم كيوم القيامة ، غير أنه ليس هناك ما يجزم بأن المقصود بها هو يوم القيامة الذى تعنيه الأديان السماوية ، ومن الممكن أن يكون ذلك حديثا عن يوم من أيام الدنيا ، وتنبؤة من تنبؤات اليهود فى مستقبل الأيام . (٢)

وورد أيضا فى سفر أشعياء أنه سيأتى يوم يدمر فيه الله تعالى الأرض كما يدمر سكانها ويعاقبهم معاقبة شديدة ، فيقول :

" ها ان الرب يخرب الأرض ويخليها ويقلب وجهها ويبدد سكانها ... فلذلك أكلت اللعنة الأرض وعوقب الساكنون فيها واحترق سكان الأرض فبقى نفر قليل . " (٣)

ومن هذا النص يبدو أن هذا التدمير لا يعنى افناء الأرض واهلاكها كليا بدليل أن من بين المعاقبين أناس قد صاحبتهم العناية الالهية ونجتهم من ذلك المصير السئ . ومهما يكن من أمر فان نصوص التوراة التى تحدث عن القيامة والأحوال التى يكون عليها الناس ، لاتدل دلالة واضحة على أن تكون هذه القيامة هى اليوم الآخر الذى يجمع الله فيه جميع الخلائق للحساب والجزاء .

ب — الفرق اليهودية المنكرة لليوم الآخر :

رغم أن فى بعض نصوص التوراة تلميحات الى القيامة فان هناك بعض الفرق اليهودية التى مازالت متمسكة بفكرة آبائهم الذين كانوا ينكرون البعث واليوم الآخر انكارا باتا . ومن تلك الفرق :

١ — الصدوقيون — وهم فرقة من اليهود التى لاتؤمن باليوم الآخر والبعث والجزاء ، وهى تعتقد أن اثابة المحسنين ومعاقبة العصاة انما تحصلان فى هذه الحياة

---

(١) دانيال : الاصحاح الثانى عشر .
(٢) انظر مشاهد القيامة فى القرآن ص٣٣
(٣) أشعياء : الاصحاح الرابع والعشرون .

الدنيا فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه ، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب والمشاكل فى حياته الدنيوية. (١)

٢ـ الفريسيون : وهذه الفرقة تنكر كذلك اليوم الآخر كالفرقة الأولى ، وهى تعتقد بنشر الموتى من الصالحين ليشتركوا المسيح فى ملكه عندما يأتى فى آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم فى ديانة موسى عليه السلام . (٢)

٣ـ الدوستانية : وهى فرقة من فرق السامرة اليهودية التى تؤمن بنبوة موسى وهارون ويوسع بن نون عليهم السلام ، ولكنها تنكر أن يكون بعدهم نبى سوى نبى واحد (٣) ، وتزعم هذه الفرقة أن الثواب والعقاب انما يتمان فى الحياة الدنيا . (٤) .

وهذه الفرق الثلاث من الفرق اليهودية الشهيرة تمثل الديانة اليهودية فى جانب انكار ما هو من لب العقيدة الدينية الصحيحة الذى جاء به الأنبياء والمرسلون ، وهو الايمان باليوم الآخر . وهذا الانكار أصل فى الديانة اليهودية المحرفة يتداوله اليهود فى العصور الطويلة ، وأن فكرة الحياة الأخرى بعد الموت وما فيها من الثواب والعقاب انما هى مما أحدثوه فيها متأخرا الا أن هذا الاعتقاد الطارئ يحتمل أن تكون تلك الحياة هى الحياة الآخرة التى يعنيها الاسلام أو نوعا من أنواع الحياة الدنيا كما سبق الكلام على ذلك .

ج ـ نظرة وتحليل :

نعود الى الاعتقاد اليهودى المحرف القائل بعدم وجود اليوم الآخر الذى لايزال بعض الفرق اليهودية تتمسك به حتى الآن ، فنقول : ان هذا الاعتقاد بالنسبة الى أصل التعاليم الدينية الذى جاء به موسى عليه السلام وحيا من عند الله تعالى كان طارئا على الديانة اليهودية استحدثه فيها اليهود بعد نبيهم موسى عليه السلام ، واستبدلوا به ما كان ثابتا فيها من الاعتقاد باليوم الآخر وما يرافقه من البعث والحساب والجزاء والجنة والنار .

---

(١) انظر الأسفار المقدسة ص ٥٦ (٢) نفس المصدر ص ٣٤

(٣) لم يعين فى التوراة من هذا النبى الذى يأتى بعد موسى وهارون ويوسع بن نون .

(٤) الملل والنحل لمحمد عبد الكريم الشهرستانى ج ١ ص ٢١٨

وهذا من الأدلة الواضحة على أن التوراة التى بأيدى اليهود الآن قد دخل فيها التحريف والتبديل .

واذا كان هذا هو شأن التوراة التى هى مرجع اليهود فى المسائل الدينية والدنيوية ، فان ذلك مما يجعل طالب الحق يفقد ثقته بها ويعرض عنها فلا يلتفت الى نصوصها كأدلة يعتمد عليها فى اثبات الحقائق ولا سيما الأحوال السمعية التى لا يمكن أن يتوصل الى معرفتها الا بوحى من الله تعالى .

د ـ مظاهر التحريف والتبديل فى التوراة :

ولكى نزيد وضوحا لما آلت اليه التوراة من الانحراف والاضطراب والتبديل نأتى ببعض نصوص أسفارها حتى نكون على علم تام بذلك . جاء فى سفر الخروج ما نصه :

" فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس . " (١)

وورد فى سفر صموئيل الثانى :

" وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها وندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى . " (٢)

---

(١) سفر الخروج ، الاصحاح الحادى والثلاثون .
(٢) صموئيل الثانى ، الاصحاح الرابع والعشرون .

وفى سفر زكريا :

" أسكتوا يأكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه." (١)

وهذه النصوص تصور الرب الاله بصور تأباها العقول السليمة وتشمئز منها النفوس النيرة اذ أن هذه الصفات تتنافى مع عظمة الله تعالى وجلاله وقدسيته.

فالنص الأول يصف الله عز وجل باحتياجه الى الراحة بعد عمل عمله ، والنص الثانى يصف الله تعالى بأنه يندم على فعل فعله ويقر بخطئه ، فهو يفعل الفعل ثم ما يلبث أن يدرك أنه سبحانه أخطأ فيه فيندم عليه ويرجع عنه. والنص الثالث يصور الرب الاله بأنه ينام ويستيقظ ، كل هذه الصفات التى جاءت بها أسفار العهد القديم وتنسبها لله تعالى تدل على أن التوراة التى بأيدى اليهود الآن قد أصبحت محرفة واستبدلت بعض نصوصها بأشياء اخترعها أناس من أحط الناس عقولا وتفكيرا فى ادراك حقائق الصفات التى تجوز على الله تبارك وتعالى ، فهل يتصور ان الخالق القادر الذى لايعجزه شىء يمكن أن يلحقه تعب ومشقة من عمله الذى عمل ؟ وهل يقبل العقل أن يطرأ على أحكم الحاكمين الخطأ ثم يندم على فعلته التى أدرك أنه قد أخطأ فيها ؟ وهل يجوز لله تعالى الذى لا تأخذه سنة ولا نوم أن ينام ثم يستيقظ كما يستيقظ الانسان ؟.

---

(١) زكريا الاصحاح الثانى.

كلا ! أن هذه الصفات التى نسبت الى الله تعالى لا يجوز عقلا أن يتصف بها رب السموات والأرض ، اذ لو جازت تلك على الله تعالى لما يصح أن يكون الها قادرا عليما يتصف بكل صفات الكمال . وهذا شيء واضح لايحتاج الى جدال .

ومن مظاهر انحرافها أنها تعتمد على التفرقة العنصرية ، ذلك انها تجعل اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله من سائر الأمم ، بل هو أفضل من الملائكة عند الله ، بينما الشعوب الأخرى تنظر اليها نظرة الانسان الجبار المتغطرس الذى يحسب غيره عبدا رقيقا يفعل به ما يشاء ، بل لا يهمه أن يريق دمه بغير ما سبب . ذلك أن النطفة التى خلقت منها بقية الشعوب غير اليهود انما هى نطفة حصان ، والشعب المختار جزء من الله - كما يقول به تلمودهم - والفرق بين درجة الانسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب ، ولا قرابة بين اليهود وبين الأمم الأخرى الخارجة عن الدين اليهودى . (١)

فالاسرائيليون محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا ، وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أنه يباح لهم بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف فلا يبقوا أحدا منهم ، ويسترقوا جميع نسائها وأطفالها ، ويستولوا على جميع

---

(١) أنظر قصة الديانات ص ٣٧٦ .

مافيه من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه نهبا • (١)

وجاء في سفر التثنية مانصه :

" حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك • وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك • " (٢)

ومن ذلك أيضا أنه ماكان يجوز للاسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الاسرائيلي ، على حين أن غير الاسرائيلي يجوز أن يتعامل معه الاسرائيلي بأبشع أنواع الربا الفاحش • يقول سفر التثنية :

" لاتقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا • للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لاتقرض بربا لكي يبارك الرب الهك في كل ما تمتد اليه يدك في الأرض التي أنت داخل اليها لتمتلكها • " (٣)

ومن أبشع الانحرافات التي أحدثها اليهود في التوراة ما نسبوه لأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام من أفحش التصرفات وأسوئها مثل الزنا وشرب الخمر والظلم وغير ذلك مما يتعارض مع كرامة الأنبياء عليهم السلام ، فمثلا تقول التوراة أن نوحا عليه السلام

---

(١) أنظر الأسفار المقدسة ص ٣٦

(٢) سفر التثنية ، الاصحاح العشرون •

(٣) سفر التثنية ، الاصحاح الثالث والعشرون •

شرب خمرا فسكر حتى تعرى بدون وعى منه ، ثم ستره ابناه سام ويافث بعد أن أخبرهما أخوهما الصغير حام ، وبعد أن أفاق من سكره وعرف ما فعله به ابنه الصغير حيث أنه رآه عريانا ، لعنه.

" وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم. " (١)

وهناك اكثر من ذلك مما يشهد بأن توراة اليهود الآن قد دخل فيها التحريف ، وبدلت بعض نصوصها مما يضع حيلولة امام الناس دون أن يعتمدوا عليها أو يتمسكوا بها . ولذلك فقد نعى عليهم القرآن الكريم ما صنعت أيديهم بتوراتهم من التحريف والتبديل اذ يقول تبارك وتعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به " (٢) وقال تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. " (٣)

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع
(٢) سورة المائدة آية ١٣
(٣) سورة البقرة آية ٧٩

هـ ـ صفة الجنة والنار فى التلمود :

نعم ، قد ورد فى التلمود ذكر للجنة والنار ، ولكن فى صورة لاتتفق مع الصورة التى يحكيها لنا القرآن عن الجنة والنار ، حيث انها أقرب الى الخيال منها الى حقائق العقيدة ، وهكذا شأن الأساطير التى لاسند لها من الوحى الالهى .

فالجنة فى التلمود تسمى جنة عدن السماوية ، ومساحتها تبلغ احدى القارات الأرضية ، فهى موضوعة فى السماء الرابعة ، ولها بابان يحفظهما ستمائة ألف ملك ، لايدخلها الا اليهود ، واذا جاءتهم الروح الطيبة ألبسوها تاجين ورقصوا وغنوا لها قائلين : " كل خبزك وتمتع " . ثم يوصلونها الى جهة تجرى فيها أربعة أنهار من لبن وعسل وخمر وماء . وفى تلك الجنة ثمانمائة ألف شجرة يستظل تحتها ستمائة ألف ملك يغنون ويترنمون بحمد الله وتقديسه ، وفى وسط هذه الأشجار تقوم شجرة الحياة التى تظل الجنة كلها ومافيها . (١)

وأهل تلك الجنة يأكلون من لحوم الحوت المملح وطير كبير وأوز سمين ، كما أنهم يشربون فيها من نبيذ معتق عصره الله فى اليوم الثانى من الأيام التى خلق فيها العالم . وهذه الجنة خاصة لليهود ، فليس لغير اليهود الحق فى الدخول فيها . (٢)

أما النار فهى انما خلقت لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين ، والشعوب

---

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ١٩٢

(٢) راجع الأسفار المقدسة ص ٣٤

الأخرى من غير اليهود . (١)

ولعل القائلين بذلك هم فرقة من الفرق اليهودية التى يشير اليها القرآن ويرد عليها فى زعمها بخصوصية الجنة لها ، اذ يقول تبارك وتعالى : " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (أى وقالت بعض الفرق اليهودية ، لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وقالت بعض الفرق النصرانية ،لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا) (٢) تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . " (٣)

و — جنة آدم فى التوراة :

وأما جنة آدم التى ورد ذكرها فى سفر التكوين (٤) فليست هى الجنة التى أعدها الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة ، وانما هى جنة فى الأرض مازالت محروسة الآن منذ أن أخرج منها آدم وزوجته عليهما السلام لأن لا يدخلها أحد فيأكل من شجرتى الحياة والمعرفة فيكون مثل الاله.

ذلك لأن هذه القصة من أقدم القصص الاسرائيلية التى دونت فى أحد أسفار التوراة القديمة ، والتى كان اليهود حتى الآن يرجعون اليها فى مسائلهم الدينية ، وهو سفر التكوين ،اذ لو أن هذه الجنة هى جنة الخلد التى يدخلها الصالحون يوم القيامة لتعارض مع ما ثبت أن اليهود بعد موسى عليه السلام كانوا ينكرون اليوم الآخر الذى فيه الجنة والنار.

---

(١) راجع نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٢) راجع نفس المصدر ص ٣٥
(٣) سورة البقرة آية ١١١ — ١١٢
(٤) أنظر سفر التكوين الأصحاح الثانى .

الفصل الثانى

الجنة والنار فى الديانة المسيحية

النصارى فى قضية الجنة والنار ثلاث طوائف : طائفة أثبتت الجنة والنار الحسيتين ، وطائفة تقول بأن الجنة والنار روحانيتان ، وطائفة اثبتت الوعد ونفت الوعيد (١) ، واليك بيان ذلك بالتفصيل.

أ ـ الطائفة الأولى :

يقول ايرينيه : ان هناك ثلاث جنات مختلفة وهى : السماء والجنة وأورشليم الشمالية ، وفى جميعها يظهر المسيح على حسب درجات أهلها من الرقى الروحى.

أما أوريجين فكان يقول بوجود درجات من الجنان مختلفة ، فالقديسيون يكونون تحت نظرة المسيح مباشرة ، وسواهم من متوسطى الحال يكونون تحت سلطة الملائكة ، ولكن الجميع يترقون هناك فى الفضائل وفى المعارف أيضا ، ولا يزالون يترقون الى الله حتى تشفى غلة أنفسهم من الحظوة ببارئهم. (٢)

فكلام ايرينيه يشير الى أن هذه الجنان الثلاث فى الدنيا لا فى الآخرة ، وأن درجات أهلها يمكن أن تعرف بكثرة ظهور المسيح فى هذه الجنان الثلاث ، واذا كثر ظهوره فى احدى هذه الجنان يعلم أن أهل هذه الجنة هم أرفع مكانة وأعلى منزلة من غيرهم.

---

(١) انظر الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٤

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ١٩٣

وأما رأى أوريجين فى صفة هذه الجنان فهى درجات ،فالقديسيون من النصارى يكونون فى درجة تلى الدرجة التى فيها المسيح حيث يكونون على نظرته . وأما متوسطو الحال فيكونون تحت سلطة الملائكة ليست لهم حرية كاملة فى التصرفات ، فلابد أن يكونوا خاضعين لأوامرهم الا أن الجميع يكون لهم أمل فى أن يترقوا الى أعلى منزلة ان هم أحسنوا وازدادوا علما ومعرفة ،وحينئذ يصلون الى الله فتشفى غلة أنفسهم.

ولكن اذا رجعنا الى الأناجيل التى بأيدى النصارى الآن ،نجد فيها " ملكوت الرب " و " الحياة الأبدية " وجاء فى انجيل متى :

" فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم : انه يعسر أن يدخل غنى الى ملكوت السموات . وأقول لكم أيضا : ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله ." (١)

وجاء فيه أيضا :

" متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر،وكل من ترك بيوتا ، أواخوة ، أواخوات ، أوأبا ،أوأما ، أوامرأة ،أوأولادا ، أوحقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية." (٢)

ولعل " ملكوت الرب " أو " ملكوت السموات " هى تعبير عن الجنة التى تكون فيها الحياة الأبدية.

---

(١) انجيل متى ، الاصحاح التاسع عشر .
(٢) نفس المصدر والاصحاح .

كذلك نجد فيها ذكرا عن " جهنم " و " النار " و " الظلمة " للعذاب ، يقول انجيل متى :

" فان أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك ، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى " النار " الأبدية ولك يدان أو رجلان . وان اعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك ؛ خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى " جهنم النار " ولك عينان . " (١) ويصف فى هذا النص أن العذاب فى النار يكون أبديا لا انقطاع له.

أما " الظلمة " فقد ورد ذكرها فى نفس الانجيل أيضا ويقول :

" وأقول لكم : ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ، ويتكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيطرحون الى " الظلمة الخارجية " هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . " (٢)

وجاء فى نفس الانجيل أيضا :

" ... اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته لأنى جعت فلم تطعمونى ، وعطشت فلم تسقونى ؛ كنت غريبا فلم تؤوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضا ومحبوسا فلم تزورونى . حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب ،متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟

---

(١) انجيل متى ، الاصحاح الثامن عشر .
(٢) نفس الانجيل ، الاصحاح الثامن.

فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا ، فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية ." (١)

تلك هى أوصاف الجنة والنار عند الطائفة القائلة بحسية الجنة والنار ، وأنا لا أتعرض لمناقشتها ، وأكتفى بعرض النصوص التى تذكر عنهما ، وأدع للقارئ الكريم التفكير والنظر فيها ، ثم ننتقل الى الطائفة الثانية التى تنكر أن تكون الجنة والنار حسيتين.

ب ــ الطائفة الثانية :

تقف هذه الطائفة موقفا مقابلا للطائفة الأولى القائلة بحسية الجنة والنار ، حيث تقول : ان عاقبة الأشرار فى القيامة غم وحزن الجهل ، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم ، ليس فى الجنة نكاح وأكل وشرب . (٢) ومعنى هذا أن الجنة والنار روحانيتان وليستا حسيتين كما قالت الطائفة الأولى .

قالت دائرة معارف لاروس :

" ان آباء الكنيسة نقحوا فكرة الجنة فجعلها كثير منهم روحانية محضة فى كل لذاتها تنحصر فى النظر الى وجه الله تعالى . " (٣)

ويقول البستانى :

" أما المسيحيون فالجنة عندهم عموما هى عبارة عن السماء التى

---

(١) نفس المصدر الاصحاح الخامس والعشرون.
(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ٢٢٣
(٣) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ١٩٣ ، نقلا عن دائرة معارف لاروس.

تحسب عند هم محل سعادة وراحة أبدية خالية من كل ما يكدّر ، وحاوية لكل ما يلذ النفس ، ويفهمون باللذات والأفراح السماوية معانى روحية عقلية يعبر عنها بطريق المجاز بأشياء محسوسة مطابقة لأفكار البشر وعقولهم بحسب تقلبات أحوالهم وأماكنهم وضروب لذاتهم ، وينفى منها كل شئ حسى شهوانى جسدى حتى ان الأنفس بعد أن تلبس أجسادها بعد الدينونة وتصعد بها الى السماء تتبدل تلك الأجساد بحسب الاعتقاد من حالة طبيعية حسية الى حالة روحية سماوية . " (١)

هذه هى الجنة التى تعنيها تلك الطائفة بأنها عبارة عن السماء التى تحوى جميع ما تستلذه النفس من اللذات والأفراح والشهوات الروحانية حتى ان الأجساد بعد أن عادت اليها أرواحها بعد القضاء والحساب، تتبدل من الحالة الطبيعية الحسية الى الحالة الروحية السماوية .

أما النار فهى كالجنة من حيث كونها روحانية ، تحوى كل أنواع الغموم والأحزان والمشاكل الروحانية .

بيد أن هناك نصوصا من الأناجيل تشير الى حسية النعيم فى الجنة والعذاب فى النار . يقول انجيل متى :

" ولا تخافوا ممن يقتل الجسد ، ولا يستطيع أن يقتل النفس ، بل خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس والجسد فى جهنم . " (٢)

ويقول نفس الانجيل :

" هكذا يكون فى منتهى الدهر يخرج الملائكة ويميزون الأشرار من بين

---

(١) دائرة المعارف ، للمعلم بطرس البستانى ص ٥٥٩
(٢) انجيل متى ، الاصحاح العاشر .

الأخيار ويلقونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصريف الأسنان ." [1]

ويقول دائرة معارف لاروس :

" ورأى أئمة آخرون من أئمة الدين (أى الدين المسيحى) أن فى الجنة ينقطع جميع المنغصات الدنيوية ، وتكثر جميع الخيرات المادية " [2]

ج — الطائفة الثالثة :

تقول هذه الطائفة : " ان الله وعد المطيعين وتوعد العاصين ولا يجوز أن يخلف الوعد لأنه لا يليق بالكريم ، ولكن يخلف الوعيد فلا يعذب العصاة ، ويرجع الخلق الى سرور وسعادة ونعيم اذ العقاب الأبدى لا يليق بالجواد الحق تعالى . (٣) وهذا يشير الى عدم وجود دار العقاب أو وجودها لكنها معطلة لا يعذب فيها أحد .

د — صفة الجنة والنار فى المسيحية غير معتمد عليها :

الذى نلاحظ من هذه النصوص الانجيلية وأقوال علماء الدين المسيحى أن الفكرة حول الجنة والنار مضطربة بحيث لا تطمئن اليها النفس ولا يسكن اليها الوجدان . وهذه النصوص التى تتحدث عن الأحوال الأخروية بما فيها الجنة والنار لا يكاد القارئ يلتفت اليها بأسباب ترجع الى أحوال الأناجيل والرسائل التى هى مجموعة الكتاب المقدس لدى المسيحيين .

ذلك أن الكتاب الدينى الذى ترجع اليه المسائل الدينية لابد أن تتوافر

---

(١) نفس المصدر الاصحاح الثالث عشر .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٣ ص ١٩٣
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٤

عليه شروط تؤهله لأن يكون حجة يجب الأخذ به لكونه وحيا من عند الله تعالى أنزله على أحد انبيائه • فهذه الشروط تنحصر في أربعة أشياء ، وهى :ـ

الأول : أن يكون الرسول الذى نسب اليه الكتاب قد علم صدقه بدون شك فيه ، وأن يكون هذا الصدق مدعوما بمعجزة تتحدى المنكرين المكذبين ، وأن يشتهر أمر ذلك التحدى الذى عجز المنكرون عن الرد عليه حتى أصبح متواترا بين الناس يتوارثونه جيلا بعد جيل بحيث لا يكون للانسان مجال لتكذيبه •

الثانى : أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا ، بل يجب أن يكون جزء منه مكملا للآخر ، ذلك لأن ما كان عند الله تعالى لا يكون مختلفا ومتناقضا •

الثالث : أن يدعى ذلك الرسول بأن هذا الكتاب قد أنزل عليه بوحى من الله تعالى مع اثبات هذا الادعاء بالبراهين الثابتة ، وهى المعجزات التى أيد بها الله تعالى رسله ، ويكون هذا الادعاء ثابتا بالخبر المتواتر أو بالكتاب نفسه •

الرابع : أن تثبت نسبة الكتاب الى الرسول الذى نسب اليه بحيث تكون تلك النسبة ثابتة بالطريق القطعى ، ويتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلا بعد جيل من غير أن يكون فى هذا التلقى مظنة للريب والشك • " (١)

---

(١) أنظر محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٨٦

هذه هى الشروط التى لابد أن يستوفيها الكتاب الدينى اذ هى الأساس الذى يجب أن يكون عليه أى كتاب دينى : والا فلا يكون هناك اطمئنان لصحته والثقة بصدقه ، وبالتالى يتطرق اليه الشك والريب من كل ناحية • ومن ثم لا يقوم الدين على أساس متين بل يتهدم من أساسه فلا يكون شيئا مذكورا فى الأديان •

ثم ننظر هل الكتب المقدسة عند النصارى سواء أكانت من كتب العهد القديم أم العهد الجديد تتوافر عليها هذه الشروط فتكون حجة ؟ وقد تقدم الكلام على كتب العهد القديم ، واثبتنا أنه قد دخل فيها التحريف والتبديل والتغيير مما جعل هذه الكتب مشكوكا فيها فلا يعتبر مرجعا صحيحا يستند اليه فى معرفة حقائق الأمور •

وكلامنا هنا يدور حول كتب العهد الجديد ، فهل كانت هذه الكتب مستوفية للشروط المتقدمة فتكون موثوقا بها ومعتمدا عليها ؟

نقول : ان هذه الشروط لم تتوافر على هذه الكتب : ذلك لأنه ـ أولا ـ لا يقول النصارى أن هذه الكتب كتبها نبيهم عيسى عليه السلام ، وانما يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده كانوا يبشرون الناس بما فيها •

ولكن هل زعمهم هذا كاف فى اثبات الحق ؟ أى أن هؤلاء الرسل المزعومون رسل أرسلهم الله تعالى الى الناس حقيقة ؟ لقد قلنا فيما سبق أن الطريق لتحقيق ذلك هو أن يدعى هؤلاء الرسل تلك الرسالة الالهية ، ويثبتوها بالبراهين الثابتة حتى يصدقهم الناس فيما يقولون ويبلغون من غير أن يشكوا فيه ويرتابوا ، وانه لا يوجد مرجع صحيح قرر أن هؤلاء ادعوا مثل هذه الرسالة مع الأدلة والبراهين التى تثبت صدقها •

وثانيا : بدلا من أن تتوحد نصوص هذه الكتب ، ويتم بعضها البعض الآخر فانه توجد فيها نصوص لاتتفق مع نصوص أخرى منها ، بل تتعارض وتتناقض ويهدم بعضها البعض الآخر .

هـ ـ نماذج الاختلاف والتعارض والتناقض فى الأناجيل :

١ ـ قصة القبض على المسيح ـ كما يزعمه النصارى ـ فقد اختلفت النصوص الواردة فى بعض الأناجيل حول هذه القصة حيث ان انجيل متى قص هذه القصة على هذه العبارة التالية :

" وبينما كان المسيح يحدث أنصاره ، قدم يهوذا وهو واحد من حوارييه الاثنى عشر ، ومعه جمع كبير بسيوفهم وعصيهم ، وقد جاءوا من عند كبار الكهنة ورؤساء الشعب . وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ترشدهم الى المسيح ، وذلك بأن يتقدم اليه فيقبله ، ولما تقدم عليه سلم عليه وقبله . فحينئذ عرفوا المسيح فتقدموا اليه وقبضوا عليه ." (١)

بينما انجيل يوحنا يقص هذه القصة نفسها بطريق آخر اذ يقول :

" فأخذ يهوذا الجند وخداما من كبار الكهنة والفريسيين وجاءوا الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع ـ وهو عالم بكل ما سيحدث ـ وقال لهم : من تطلبون ؟ فأجابوه : نطلب يسوع الناصرى ، فقال لهم : أنا يسوع الناصرى . وكان يهوذا الذى أسلمه واقفا معهم ، فلما قال لهم : أنا يسوع الناصرى ،

---

(١) انجيل متى ،الاصحاح السادس والعشرون.

رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، فأعاد عليهم السؤال قائلا : من تطلبون ؟ فقالوا : نطلب يسوع الناصرى ، فأجاب يسوع ،قد قلت لكم أنى أنا هو ٠٠" (١)

والروايتان مختلفتان فان متى يقول أن يهوذا هو الذى دبر لاعلامهم بالمسيح بالعلامة التى اتفق معهم عليها وهى تقبيله ، بينما يوحنا يقول أن المسيح هو الذى قدم نفسه لهؤلاء٠

وعلى فرض أن احدى روايتين فى حادثة واحدة صادقة والأخرى كاذبة ولم يكن هناك ما يدل على صحة الرواية الصادقة فان الشك يرد على كلتا الروايتين فلا يمكن مع الشك الاعتقاد باحداهما لأن الشك اذا اعترى الأصل زال الاعتقاد ، وعلى هذا فالروايتان فى قصة القبض مشكوكا فيهما فلا تكون احداهما وحيا من عند الله تعالى ٠

٢ـ ومن أمثلة ذلك التناقض اختلاف الخبر عن صحبة شمعون باطرة وأخيه أندرياش للمسيح فى الأناجيل ٠ قال متى فى انجيله :

" فلما بلغه حبس يحى بن زكريا تنحى الى جلجال وتخلى من مدينة ناصرة ورحل وسكن فى كفر ناحوم على الساحل فى رابلون وتفثالى ليتم قول أشعيا النبى حيث قال : أرض رابلون وتفثالى وطريق البحر خلف الأردن ، وجلجال الأجناس وكل من كان بها فى ظلمة يبصرون نورا عظيما ومن كان ساكنا فى ظل الموت بها يطلع النور عليهم ومن ذلك الموضع ابتدأ يسوع بالوصية وقال : توبوا فقد تدانى ملكوت السماء ، وبينا هو يمشى على ريف البحر بحد جلجال اذ بصر بأخوين أحدهما يدعى شمعون المسمى باطرة

---

(١) انجيل يوحنا ، الاصحاح الثامن عشر ٠

والآخر أندرياس وهما يدخلان شباكهما فى البحر فكانا صيادين ، فقال لهما : اتبعانى أجعلكما صيادى الآدميين فتخليا وقتهما ذلك من شباكهما واتبعاه ثم تحرك من ذلك الموضع وبصر بأخوين أيضا وهما يعقوب ويوحنا بن سيذاى فى مركب مع أبيهما يعدان شباكهما فدعاهما فتخليا ذلك الوقت من شباكهما ومن أبيهما ومتاعهما واتبعاه ." (١) هذا نص كلام متى فى انجيله حرفا حرفا .

وقال مارقش فى انجيله :

" فبعد أن بلى يحيى أقبل يسوع الى جلجال ملك الله وقال ان الزمان قد تم وتدانى ملك الله فتوبوا وتقبلوا الانجيل فلما خطر جوار بحر جلجال نظر الى شمعون وأندرياس وهما يدخلان شبكتهما فى البحر وكانا صيادين ، فقال لهما يسوع : اتبعانى اجعلكما صيادين للآدميين فتركا ذلك الوقت الشبكة واتبعاه ثم تمادى قليلا فأبصر يعقوب بن سيذاى وأخاه يوحنا وهما فى المركب يهندمان شبكتهما فدعاهما فتركا والدهما مع العماليين بأجرة فى المركب واتبعاه ." (٢)

وجاء فى انجيل لوقا ما نصه :

" وبينما الجماعات يوما تزدحم عليه رغبة فى استماع كلام الله وكان فى ذلك الوقت واقفا على ريف بحيرة بشيرات اذ بصر بمركبين فى البحيرة قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شباكهم فدخل يسوع أحدهما الذى كان لشمعون وسأله أن يتنحى به عن الريف قليلا

---

(١) انجيل متى : الباب الثالث
(٢) انجيل مارقش : الباب الأول .

فقعد في المركب وجعل يوصى الجماعات منه ، فلما أمسك عن الوصية قال لشمعون لحج وألقوا جرافاتكم الصيد ، فقال له شمعون : يا معلم قد عنينا طول الليل ولم نصب شيئا ولكنا سنلقى الجرافة بأمرك وقولك ،فلما ألقاها قبضت على حيتان كثيرة جليلة فكادت تقطع الجرافة من كثرتها فاستعانوا بأصحاب المركب الثانى وسألوهم أن يعينوهم على اخراجهم لها فاجتمعوا عليها وشخنوا منها المركبين حتى كادا أن يغرقا ، فلما بصر بذلك شمعون الذى يدعى باطرة سجد ليسوع وقال : اخرج عنى ياسيدى لأنى انسان مذنب ، وكان قد جاء وكل من كان معه لكثرة ما أصابوا من الحيتان ، وحار يعقوب ويوحنا ابنا سيذاى ، فقال يسوع لشمعون : لاتخف ، فانك ستصطاد من اليوم للآدميين فخرجوا الى الريف الآخر على مركبهم وتخلوا من جميع ما كان لهم واتبعوه ." (١)

وردت فى انجيل يوحنا بن سيذاى هذه العبارة :

" وفى يوم آخر كان يحى بن زكريا المعمد واقفا ومعه تلميذان من تلاميذه فبصر بيسوع ماشيا فقال هذا خروف الله فسمع ذلك منه التلميذان واتبعا يسوع فالتفت اليهما يسوع اذ رآهما يتبعانه وقال لهما ، ما الذى طلبتما ؟ قالا له : يا معلم ، أين مسكنك ؟ فقال لهما اقبلا فابصرا فتوجها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم وكانا فى الساعة العاشرة ، وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه أندرياس أخو شمعون المسمى باطرة أحد الاثنى عشر ، فلقى أخاه شمعون وهو أحد اللذين سمعا من يحى واتبعاه اذ نظر اليه ، وقال له : وجدنا المسيح ثم أقبل اليه به فلما بصر به المسيح قال له ، أنت شمعون بن يونا وأنت تسمى كيفا وترجمته الحجر ." (٢)

---

(١) انجيل لوقا : الباب الرابع (٢) انجيل يوحنا : الباب الأول .

اتفق متى ومارقس على أن بداية صحبة شمعون باطرة وأخيه اندرياس للمسيح كانت بعد أن سجن يحى بن زكريا ، وذلك حينما وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما فى البحر لاصطياد السمك • ولكن يوحنا قال بأن هذه الصحبة كانت قبل سجن يحى بن زكريا كما هو من مقتضى كلام يوحنا • وهذا الاختلاف كان بالنسبة للوقت الذى تمت فيه هذه الصحبة بين المسيح وبين الأخوين شمعون باطرة وأندرياس•

أما بالنسبة للحال التى حدثت عليها هذه الصحبة أول ما حدث فان متى ومارقس متفقان أيضا على أن هذه الصحبة حدثت عندما وجدهما المسيح يدخلان شبكتهما فى البحر للصيد ، بينما عند لوقا كانت حين وجدهما المسيح قد نزلا من مركبهما لغسل شباكهما وأنهما قد تعبا طول الليل بدون أن يصيدا شيئا •

وقد خالفهم فى كل ذلك يوحنا ، اذ يقول أن هذه الصحبة وقعت أول ما وقعت بعد أن رأى أندرياش المسيح ، وقد صحبه أندرياش حين سمع قول يحى بن زكريا عندما رأى المسيح اذ قال : هذا خروف الله • وبات أندرياش عنده فى تلك الليلة ثم مضى الى أخيه شمعون باطرة وأخبره بما حصل له ثم ذهب معه الى المسيح فصحبه•

وأيضا فقد وقع الاتفاق بين متى ومارقش ولوقا على أن هذه الصحبة حدثت أول ما حدثت لشمعون وأخيه أندرياش فى وقت واحد ، خلافا لما عند يوحنا الذى قال أن هذه الصحبة قد حصلت لأندرياش قبل أخيه شمعون كما مر •

ومثل هذه الاختلافات التى وردت فى حادثة واحدة ومدونة فى كتاب يزعم أصحابه أنه وحى من الله تعالى ، كان من الصعب أن يقبله العقل ، بل لا يمكن البتة أن تكون من عند الله تعالى ولا من عند رسول من الرسل عليهم السلام ، ذلك لأنها مخالفة لما لابد أن يكون عليه الكتاب الدينى الصحيح من عدم التناقض والاختلاف فى أيه مسألة من المسائل سواء كانت عقيدة أو احكاما أو قصصا أو أخلاقا .

و — من نماذج التعارض والتناقض بين التوراة والانجيل :

قد كان من المعلوم أن المسيحية تعتبر التوراة وأسفار النبيين السابقين كتبا مقدسة ، وكان من الواجب بموجب ذلك أن تحترم بشرائعها وتأخذ بجميعها التى نصت عليها التوراة وأسفارها الا ماخالفه المسيح مخالفة قد ثبتت عنه بنص قد أثر عنه ، وذلك بمقتضى قوله فى انجيل متى اذ يقول :

" لا تحسبوا أنى جئت لنقض التوراة وكتب الأنبياء ، وانما أتيت لاتمامها . " (١)

ولكن لم يمض بعد الفصل الأول من نفس الانجيل حتى ذكر متى — صاحب الانجيل — أن المسيح قال :

" قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق ، وأنا أقول لكم : من فارق امرأته الا لزنا فقد جعل لها سبيلا الى الزنا ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق . " (٢)

(١) انجيل متى ، الاصحاح الأول .
(٢) نفس الانجيل والاصحاح .

فكلام المسيح هذا ظاهر فى أنه ناقض لحكم التوراة الذى صرح فى كلامه الأول بأنه ما جاء لنقضه ، ذلك لأن الطلاق ثابت فى التوراة بجوازه واباحته.

واضافة الى ذلك فقد جاء فى سفر الأعمال ما يهدم قاعدة هامة من القواعد الدينية السماوية ، وهى أن شريعة التحليل والتحريم مخصوصة على ما جاء به الوحى من الله عز وجل ، وليس للبشر شأن فيها ، والا فهو مفتر على الله تعالى وعلى رسله عليهم السلام . ولكن السفر المذكور قد جاء فيه ما ينقض تلك القاعدة مما يدل على أنه ليس فى الوحى الالهى من شىء. يقول هذا السفر :

" حينئذ رأى الرسل والمشايخ أن يختاروا رجلين منهم ، فيرسلوهما الى انطاكية مع بولس ، وبرنابا ، وهما يهوذا الملقب برسابا ، وسيلا ، رجلين متقدمين فى الاخوة ، وكتبوا بأيديهم هكذا ، الرسل والمشايخ يهدون سلاما الى الاخوة الذين هم من الأمم فى انطاكية وسورية وكيليكية ، اذ سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجكم بأقوال مقبلين أنفسكم ، وقائلين أن تختتنوا أو تحفظوا الناموس من الذين نحن لم نأمرهم ، وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا وبولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد ارسلنا يهوذا وسيلا ، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها لأنه قد رأى الروح القدس ، ونحن أن لانضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة : أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام

وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا التى ان حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون كونوا معافين ." (١)

يتبين من هذا الخطاب امكان التحليل والتحريم للناس حيث ان هؤلاء الرسل المدعاة والمشايخ قد أحلوا للناس جميع ما قد حرمته التوراة غير الأربعة المذكورة من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر الثابتين تحريمهما فى التوراة ، كما نهى هؤلاء عن الختان الذى كان من أوكد شرائع التوراة .

وهذا — ولا شك — مخالف لتلك القاعدة الجليلة التى لابد أن يستند اليها أى دين سماوى ، وهى حصر التحليل والتحريم على الله تعالى على لسان الرسل عليهم السلام ، كما أن هذا الخطاب الذى أحدثه هؤلاء الرسل والمشايخ المزعومون مخالف لكلام المسيح السالف الذكر من أنه ما جاء لنقض التوراة وانما أتى لاكمالها .

كل هذه الاختلافات والتناقضات والاضافات وما الى ذلك من عدم ثبوت الرسالة للذين نسبت اليهم هذه الكتب اذ ليس هناك سند متصل يصلها بكتابها ، كل ذلك يجعل ما يسمونه بالعهد القديم والعهد الجديد يفقد الثقة بهما ويضعهما بعيدا عن الاعتبار والاعتماد ككتابين دينيين ترجع اليهما المسائل الدينية .

ويكفى بطلان ما جاءت به النصارى من تصوير الجنة والنار ما أوردنا هنا من أحوال كتبهم المقدسة لديهم سواء كانت منها العهد القديم أو العهد الجديد وأسفارهما التى بأيديهم اليوم من كونها مليئة بالتحريف

---

(١) سفر الأعمال ، الاصحاح الخامس عشر .

والتبديل والتغيير والاختلافات والتناقضات مما يجعل الدين — حتما — ينهدم من أساسه ، فلا تكون هناك عقيدة تعتبر ولا أحكام يعتمد عليها ولا أخلاق يتمسك بها ولا قصص تصدق .

وقد سبقت الآيات الكريمة التى نعت على القوم ما صنعت أيديهم بكتبهم (١) ما هو خير شاهد على ذلك مما يجعلنا بعيدا عن التصديق لما فيها ، وعلى وجه الخصوص الأخبار الأخروية بما فيها الجنة والنار .

والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر ص ٦٥ من هذا البحث .

الباب الثالث

الجنة والنار في الاسلام

تمهيد : يتضمن تصور الاسلام فى الانسان ، والحياة : واهتمامه بتصحيح الآراء والتصورات المنحرفة عن الحقائق السماوية •

الفصل الأول : بيان وجود الجنة والنار الآن •

الفصل الثانى : صفة الجنة ونعيمها •

الفصل الثالث : صفة النار وعذابها •

الفصل الرابع : هل الجنة والنار تبقيان أم تفنيان ؟

الفصل الخامس: بيان الآراء المنتسبة الى الاسلام التى انحرفت عن حقيقة الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، وموقف الاسلام منها •

: الخاتمة •

الباب الثالث

الجنة والنار فى الاسلام

تمهيد :

تحدثنا عن فكرة الجزاء فى الأديان القديمة ، والأديان السماوية السابقة للاسلام ، واستعرضنا الأفكار والتصورات التى خاضت فى هذه المسألة ، فأدركنا من خلالها أن فكرة الجزاء كانت عميقة الجذور فى الضمير البشرى على امتداد تاريخ الانسان من لدن آدم عليه السلام حتى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم.

تفاصيل

غير أن هذه الأفكار والتصورات لم تتفق على مبدأ هذا الجزاء (١) ، فمن الطبيعى تبعا لذلك أن تختلف فى المكان الذى يكون فيه وصورته التى يكون عليها . ورغم اختلاف تلك الأفكار والتصورات فى المسألة فانها لم تكن كلها قد صادفت صوابا يمكن أن يثير الانتباه ويشجع على الأخذ به.

والله سبحانه يعلم أن الاعتقاد على هذا النحو ، يستحيل أن تنشأ فى ظله حياة انسانية رفيعة كريمة . ولذلك جاء الاسلام — وهو آخر الأديان السماوية نزولا — ليصحح ما فسد من أمور الدين التى جاء بها الوحى الالهى لتعود الحقائق الى نصابها ، فلا يعيش هذا الانسان على هذه الأرض تائها ضالا لا يعرف المبدأ والمصير.

---

(١) أنظر ص ١٣ من هذا البحث.

جاء الاسلام — وكانت الدنيا يومئذ تزخر باعتقادات وأفكار وتصورات وعادات باطلة وفاسدة ، كتلك التى وجدناها فى تلك الأديان السالفة الذكر — فصححها ورجعها الى أصولها ، فاستقامت حياة أولئك الذين آمنوا بهذا الدين الأخير وتمسكوا بما جاء به من الحق فوجدوا فى حياتهم سعادة تربطهم بالسعادة الأبدية فى الحياة الآخرة •

نعم ، قد أعطى الاسلام لتصحيح الايمان والاعتقاد باليوم الآخر قسطا كبيرا من العناية والاهتمام ، ذلك لأن هذا الايمان عنصر أصيل فى العقيدة فلا تستقيم هذه الحياة — عقيدة وتصورا وشريعة ونظاما وسلوكا وأخلاقا بدون هذا الايمان •

ومن ثم كانت الايقاعات العنيفة العميقة التى نجدها فى القرآن الايقاعات التى يعلم الله أن فطرة الانسان تهتز لها وترجف فتتفتح نوافذها وتستيقظ أجهزة الاستقبال فيها ، وتتحرك وتحيا ، وتتأهب للتلقى والاستجابة ، ذلك كله فضلا على أنها تمثل الحقيقة • (١)

ان الحياة — فى التصور الاسلامى — ليست هى الفترة القصيرة التى تمثل عمر الفرد ، وليست هى هذه الفترة المحدودة التى تمثل عمر الأمة من الناس ، كما أنها ليست هى هذه الفترة المشهودة التى تمثل عمر البشرية فى هذه الحياة الدنيا •

ولكن الحياة — فى التصور الاسلامى — تمتد طولا فى الزمان

---

(١) انظر اليوم الآخر فى ظلال القرآن لأحمد فائز ص ٨

فتشمل هذه الفترة المحدودة المشهودة — فترة الحياة الدنيا — وفترة الأخرى التى لا يعلم مداها الا الله ، والتى تعد فترة الحياة الدنيا بالقياس اليها ساعة من نهار •

وتمتد عرضا فى المكان فتضيف الى هذه الأرض التى يعيش عليها البشر ، دارا أخرى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ، ونارا تسع الكثرة من جميع الأجيال التى عمرت وجه الأرض ملايين الملايين من السنين •

وتمتد عمقا فى العوالم ، فتشمل هذا الوجود المشهود الى وجود مغيب لا يعلم حقيقته كلها الا الله ، ولا نعلم نحن الا ما أخبرنا به الله • وجود يبدأ من لحظة الموت وينتهى فى الدار الآخرة •

وتمتد تنوعا فى حقيقتها فتشمل هذا المستوى المعهود فى الحياة الدنيا الى تلك المستويات الجديدة فى الحياة الأخرى ، فى الجنة وفى النار سواء • وهى ألوان من الحياة ذات مذاقات ليست من مذاقات هذه الحياة الدنيا ، ولا تساوى الدنيا — بالقياس اليها — جناح بعوضة • (١)

تلك هى من الحقائق الكبرى التى تاهت فيها عقول كثير من الناس وضلت عنها أفكارهم وتصوراتهم ، فجاء الاسلام — رحمة من الله تعالى على الناس كافة — فارشد هذه العقول التائهة وأنار لها سبل الهداية بالنور الربانى ، فاهتدى الذين كتب الله لهم الهداية فانتظمت حياتهم واستقامت على هذه الهداية الربانية استقامة لانظير لها

---

(١) انظر اليوم الآخر فى ظلال القرآن لأحمد فائز ص ٣ — ٤ — بتصرف

فى التاريخ ، فكانت مثالا رائعا لكل الأجيال التى تأتى بعدهم ، فوق أنها كانت بمثابة القنطرة التى عبروا فيها الى شاطىء الحياة السعيدة الأبدية فى جنة تجرى تحتها الأنهار .

وأما الذين لم يرفعوا لهذه الهداية رؤوسا ، ولم تستنر عقولهم بهذا النور الالهى ، فمن الضرورى أن لم يكونوا قد وجدوا الطريق الموصل الى الحق . فعاشوا على هذه الأرض تائهين ضالين لا يدرون من أين بدأوا والى أين يصيرون . ومن ثم فهم الى الحيوان أشبه والى الأرض ألصق حيث لم يفكروا غير هذه الحياة الدنيا ، ولم يعرفوا غير متاعها الفانية . وستكون عاقبة أمرهم خسرا ، أعد الله لهم النار التى تحرق فلا تبقى ولا تذر .

وقد سبق أن عرفنا أن تلك الأديان التى تحدثت عن الجنة والنار – وهما دار الثواب والعقاب فى الآخرة – لم تكن قد أصابت فى وصفهما ، ولم تنقل للناس صورتهما الحقيقية التى تتسمان بها . ذلك لأن هذه المسألة غيبية لا تدرك الا بالوحى الالهى ، فليس للدين غير السماوى مجال فى الكشف عنها . ولا للدين السماوى المحرف فى ادراك حقيقتها .

والاسلام قد بين للناس صورتهما الحقيقية أحسن بيان ، وأوضحها لهم أحسن توضيح حتى أصبحت هذه الصورة كأنها تتمثل بين أيديهم وتتراءى أمام أعينهم بحيث لا يعتريها ريب ولا شك . وسنعرض فيما يلى الكلام على ذلك كما هو فى الاسلام ، وما ورد فيها من الآراء ثم ترجيح ما أمكن ترجيحه منها على ضوء الكتاب والسنة ان شاء الله تعالى .

الفصـــل الأول

الكـلام فى خلـق الجنـة والنار ووجودهما الآن

أ ـ الخلاف الوارد فى وجـود الجنـة والنار الآن :

ورد الخلاف بين العلماء حول الجنة والنار ، هل هما مخلوقتـان موجودتان الآن أم ليستا مخلوقتين موجودتين الآن •

كان جمهور العلماء من أهل السنة والحديث ، والفقهاء ، وأهـل التصوف والزهـد ، وعدد من المعتزلـة ،كأبى على الجبائى ، وبشر بـن المعتمر ، وأبى الحسين البصرى ، يرون أن الجنـة والنار موجودتـان الآن •

وخالفهم فى ذلك أكثر المعتزلـة ، كعباد الضيمرى ،وضرار بن عمرو، وأبى هاشم ، والقدريـة ، والخوارج ، وقالوا : انهما غير موجودتـين الآن ،انما ينشئهما الله تعالى يوم القيامة • وقد مال الى هذا الـرأى القاضى عبدالجبار ،والقاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الأندلس[1] •

واليك بيان أدلـة كل فريق على مذهبـه •

ب ـ أدلـة من رأوا عدم الجنـة والنار الآن :

احتج هذا الفريق على رأيـه بأدلـة نقليـة وعقليـة :

١ـ الأدلـة النقليـة :

أما الأدلـة النقليـة التى اعتمد عليها هذا الفريق فى رأيه ، فمنهـا

---

(١) انظر الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٤ ص٨١ ، وشرح مقاصـد الطالبين لسعد الدين التفتازانى جـ ٢ ص٢١٨ وشرح المواقـف للسيد الايجـى ص٥٨٤ جـ ٨ وتفسير ابن كثير جـ ١ ص١٠٨

قوله تعالى : "كل شيء هالك الا وجهه" (١) قالوا : لو أن الجنة والنار قد خلقتا الآن فلابد من هلاكهما لظاهر هذه الآية ، ولكن هلاكهما باطل للاجماع على دوامهما ، وللنصوص الدالة على دوام أكل الجنة وظلها . (٢)

الجواب :

أجيب على هذا بأن الآية مخصصة بالأشياء التى لم يكتب لها الفناء مثل الجنة والنار والعرش ، فلا تشمل عليها آية الهلاك . ذلك لأن الجنة والنار انما خلقتا للبقاء لا للفناء (٣) فلا تدخلان فيما تتضمنه هذه الآية من هلاك الأشياء التى خلقت لأجل الفناء ، مثل الانسان والملائكة ، والسماء والأرض ، وغيرها من سائر المخلوقات التى حكم عليها بالهلاك .

ومنها قوله تعالى فى وصف الجنة : "عرضها السموات والأرض" (٤)

قالوا فى هذه الآية : انه لا يتصور أن يكون عرض الجنة السموات والأرض الا بعد ذهابهما وفنائهما ، اذ لا يمكن أن تتداخل الأجسام . (٥)

الجواب :

أجاب الجمهور بأن المراد ، عرضها كعرض السموات والأرض ، لأنه لا يمكن عقلا أن يكون عرض الجنة عرض السموات والأرض بعينه سواء كانتا

---

(١) سورة القصص آية ٨٨
(٢) راجع شرح مقاصد الطالبين ج ٢ ص ٢١٨
(٣) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٣
(٥) راجع شرح المواقف ص ٥٨٤

فى حال البقاء أو فى حال الفناء ، اذ يمتنع قيام عرض واحد شخصى بمحلين موجودين معا أو أحدهما موجود والآخر معدوم ؛ وللتصريح فى آية أخرى بأن عرضها كعرض السموات والأرض ، كما فى قوله تعالى :

" سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض . " (١)

فتحمل الآية الأولى على الآية الثانية كما يقال : أبو يوسف أبو حنيفة أى مثله . (٢)

ومن أدلة هذا الفريق قوله تعالى عن امرأة فرعون :

" رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة . " (٣) قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لما سألت امرأة فرعون ربها أن يرزقها بيتا فى الجنة ، حيث لم يكن فى الدعاء معنى فى استئناف البناء . (٤) يرى هذا الفريق أن الجنة لو كانت مخلوقة الآن ، فلابد أن يكون كل مافيها من البيوت والقصور والبساتين وغيرها من أنواع النعيم مخلوقة كذلك جميعها فلا تكون هناك باقية لم تخلق بعد .

الجواب :

قد أجيب من قبل الجمهور بأن كون الجنة والنار مخلوقتين انما المراد منه خلقهما ووجودهما على الجملة ، فالله سبحانه لا يزال ينشىء فيهما ما يشاء من الأشياء حسب ما يفعله العبد من أعمال البر أو من أعمال الشر فى الدنيا ، كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان والنباتات والمراكب وغيرها حسب جهود أهلها . (٥)

---

(١) سورة الحديد آية ٢١
(٢) راجع شرح المواقف ص ٥٨٤
(٣) سورة التحريم آية ١١
(٤) أنظر الفصل فى الملل والنحل ج ٤ ص ٨٢
(٥) نفس المرجع والصفحة .

أما الأحاديث التى استدل بها هذا الفريق على مذهبه ، فمنها ما رواه ابن مسعود — رضى الله تعالى عنه — أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى فقال : يامحمد أقرئ أمتك منى السلام ، واخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (١)

وحديث جابر — رضى الله تعالى عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة . (٢)

قالوا : لوكانت الجنة مخلوقة الآن ، مفروغا منها لم تكن قيعانا ، ولم يكن لهذا الغرس معنى ، فما دامت موجودة الآن فلا تحتاج الى احداث شئ فيها . (٣)

وكأنهم رأوا أن الجنة وما فيها من كل أنواع النعيم لوكانت مخلوقة الآن ، انما خلقت جملة واحدة فى وقت واحد فلا تحتاج الى زيادة . واذا ثبت عدم وجود الجنة الآن فكذا النار ، اذ لا قائل بالفصل بينهما . (٤)

الجواب :

ورُد هذا بأنه ان أرادوا بقولهم أن الجنة غير موجودة بل هى معدومة بمنزلة النفخ فى الصور ، وقيام الناس من القبور فهو باطل ، ذلك لأنه

---

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ٥١٠

(٢) نفس المرجع ص ٥١١ ج ٥

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧

(٤) نفس المرجع والصفحة .

يتعارض مع النصوص الصريحة التى تدل دلالة واضحة على وجود الجنة فليس للعقل أن يعترض عليها ، بل يجب التسليم بها • وان أرادوا أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأصحابها ، وأن الله سبحانه لايزال يحدث فيها شيئا بعد شىء سواء كان قبل دخول أهلها فيها أو بعده الى مالانهاية له فهذا حق لانزاع فيه ، وأدلتهم تلك انما تدل على هذا القدر من غير أن تمس ثبوت وجودها بشىء مطلقا • (١)

٢ــ الأدلة العقلية :

وقد أيد هذا الفريق ماتمسكوا به من الأدلة النقلية بأدلة عقلية وهى أن خلق الجنة قبل الجزاء عبث يتنافى مع الحكمة الالهية التى تتنزه عن العبث ، ذلك لأنها تصير معطلة زمنا طويلا بدون أن يكون فيها سكانها ، ومن المعلوم أن ملكا لواتخذ دارا وفيها أنواع من الطعام والشراب ، والآلات الفاخرة ، ولم يمكّن الناس من دخولها • والاستفادة مما فيها من هذه الخيرات والمصالح الطيبة مددا متطاوله ، لم يكن تصرفه هذا مناسبا لتصرفات العقلاء ، بل يتنافى مع الحكمة السامية ، فلا يخلو اذن من الاعتراض عليه من الناس ، فيكون ذلك نقصا لمقامه ومنزلته عند الناس • (٢)

الجواب :

فقد أجاب على هذا الجمهور بأنه فى غاية الضعف ، ذلك لأن افعال الله تعالى لا تقاس على أفعال العباد • فالله عز وجل يفعل ما يشاء

---

(١) نفس المرجع والصفحة •

(٢) أنظر حاوى الأرواح الى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١١

لحكمة أرادها سبحانه ، وقد يدركها العقل اذا شاء الله ذلك ، كما أنه كثيرا مالا يدركها لحكمة من الله تعالى .

فالمعتزلة انما قالت هذه القولة المبتدعة تطبيقا لأصلهم الفاسد الذى ابتدعوه من أنفسهم ، فوضعوا به شريعة فيما يفعله الله تعالى . وقالوا فى هذه الشريعة المبتدعة : ينبغى لله تعالى أن يفعل كذا ، ولاينبغى له تعالى أن يفعل كذا ، ثم قاسوه على أفعال العباد . وهذا عين التشبيه الذى يتنزه عنه الله سبحانه ، والذى جعل هؤلاء مشبهة فى الأفعال ، كما أن التجهم قد دخل فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات . (١)

ولعل هذا يكون كفاية فى توهين هذا الدليل وتضعيفه فضلا عن كونه معارضا للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى تنهار أمامها كل الأدلة العقلية .

ج — أدلة الجمهور القائلين بوجود الجنة والنار الآن :

قلنا أن الجمهور من أهل السنة والحديث ، والفقهاء ، وأهل التصوف والزهد ، وبعض المعتزلة يرون أن الجنة والنار موجودتان الآن ، واستدلوا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة . واليك بيان ذلك بالتفصيل .

١ — أدلة الكتاب :

أما أدلة الكتاب فمنها قوله تعالى عن الجنة : " اعدت للمتقين " (٢) — وقوله سبحانه عن النار : " اعدت للكافرين " (٣)

---

(١) راجع حادى الأرواح ص ١١
(٢) سورة آل عمران آية ١٣٣
(٣) نفس السورة آية ١٣١

ووجـه الاستدلال فى كلتا الآيتين أن الله تعالى عبر فيهما بصيغة تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، وهى كلمة " اعدت " فى الآيـة الأولى والثانية ، فمعنى " اعدت " هيئت وجعلـت معدة أى أن الجنـة هيئت وجعلت معدة لأهلها ، كما أن النـار كذلك ، فهما حاضرتان فى الانتظار لاتحتاجان الى اعداد أو احضار ، وهـذا المعنى هو الذى يتبادر الى الأفهام والأذهان ، وهو ظاهـر المعنى للآيتين الكريمتين .

رد المعتزلـة على هذين الدليلين :

قالت المعتزلـة ردا على هذين الدليلين :

ان هاتين الآيتين لاتنهضان دليلا على وجـود الجنة والنـار الآن لأن صيغة كلمة " اعدت " فى كلتا الآيتين ليس المراد منها ظاهرهـا كما يقول الجمهور ، وانما يراد بهما المستقبل ، فعبر عنه بلفظ الماضـى مبالغة فى تحـقق وقوع الفعل كما دلت عليـه بعض الآيات القرآنيـة كقوله تعالى : " ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . " (١) وقولـه تعالى : " ونفخ فى الصور " (٢)

فكلمـة " نادى " فى الآيـة الأولى فعل ماض أريد به المستقبـل لأن المناداة انما تقع يوم القيامة ، وكذلك كلمـة " نفخ " فى الآيـة الثانية ، فالنفخ المذكور فى الآيـة لا يكون الا فى يوم الآخرة .

---

(١) سورة الأعراف ، آيـة ٧

(٢) سورة الكهف ، آيـة ١٨

جواب الجمهور على هذا الرد :

وللجمهور أن يقولوا : ان هذا التأويل ظاهر البطلان لأنه خلاف الظاهر الذى لا يجوز العدول عنه الى معنى خفى الا بقرينة تدل عليه ، ولا قرينة لذلك . وهذا الرد الذى حاولت به المعتزلة توهين دليلنا مردود عليهم ، فليس له أى اعتبار يحسب له ، كما لا يؤثر فى هذا الدليل القوى على وجود الجنة والنار الآن.

ومما اعتمد عليه الجمهور فى رأيهم قوله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ." (١) وقوله تعالى : " ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ." (٢)

فالآية الأولى صريحة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء رأى سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى ، وهى جنة الخلد التى أعدت للمؤمنين ، ذلك لأن الله تعالى قد أخبر فى الآية الأخرى بأنها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وهى قوله تعالى : " لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ." (٣) فليس لأحد بعد هذا أن يقول انها جنة غير جنة الخلد ولو لم تكن موجودة مخلوقة الآن لما رآها النبى صلى الله عليه وسلم.

وأما الآية الثانية فهى فى غاية الوضوح فى أن جهنم - وهى اسم من أسماء النار - موجودة تترصد الطغاة وتنتظرهم هناك

(١) سورة النجم ، آية ١٣ - ١٥
(٢) سورة النبأ ، آية ٢١ - ٢٢
(٣) سورة السجدة آية ١٩

بكل أنواع العذاب وألوان العقاب.

رد المعتزلة على الآية الأولى :

الآية الأولى ، وان كانت فى غاية الوضوح فى وجود الجنة الا أنها لم تخل من الاعتراض عليها من النفاة ، فقد قيل فى قوله تعالى : " عندها جنة المأوى " انها جنة أخرى يكون عندها أرواح الشهداء وقيل هى جنة للملائكة . وأيضا فالجنة فى هذه الآية قد قرئ بـ " جنّه " بالهاء من جنّ بمعنى أجن ، يقال جن الليل وأجن . وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير فى قوله تعالى " عندها " عائدا على النزلة ، فيكون المعنى ، عند النزلة جن محمدا المأوى.(١)

وعلى هذا التأويل والقراءة ، فالآية لا تنهض دليلا مستقيما على وجود الجنة الآن ، فالجنة المذكورة فى الآية ليست هى جنة المأوى التى يدخلها الصالحون فى الآخرة.

جواب الجمهور على هذا الرد :

قال الجمهور : هذا خلاف الظاهر أيضا ، ونقل عن القرطبى قوله : لا احالة فى ابقاء هذه الأمور على ظواهرها لاسيما على مذهب اهل السنة فى أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا فيرجع الى أن الله تعالى خلق لنبيه صلى الله عليه وسلم ادراكا خاصا به أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما . (٢)

---

(١) راجع تفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢٨ ص ٢٩٢
(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ٢ ص ٥٤١

أما أنها قد قرئ " جنة " فى قوله " جنة المأوى " ب " جنّه " فهذه القراءة شاذة كما قال أبو البقاء ، وقد أنكرت عليها عائشة وجمع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، حيث قالوا : من قرأ به فأجنه الله تعالى أى جعله مجنونا .

وقد اعترض على هذه القراءة أيضا الامام الفخر الرازى ، ورجح القراءة المعروفة التى سجلت فى المصاحف وهى " جنة المأوى " (١) وعلى ذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم قد رأى جنة المأوى التى هى جنة الخلد عند سدرة المنتهى رؤية بصرية كما هو ظاهر الآية .

٢ـ أدلة السنة :

وهناك أحاديث صحيحة أستدل بها الجمهور أيضا على مذهبهم ومنها ما ورد فى الصحيحين والسنن والمسند من حديث الكسوف وفيه : " .. انى رأيت الجنة فتناولت عنقودا ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع . الحديث (٢) .

وهذا الحديث صريح فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى الجنة والنار رأى العين حتى حاول أن يتناول عنقودا من قطافها الا أنه صلى الله عليه وسلم لم يسمح له ذلك .

---

(١) راجع التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢٨ ص ٢٩٢
(٢) واللفظ للبخارى فى صحيحه ج ٢ ص ٤٦ .

وهذا يدل دلالة واضحة على وجود الجنة والنار ، اذ لولم تكونا موجودتين لما أمكن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يراهما .

اعتراض النفاة على الاستدلال بهذا الحديث :

اعترضت المعتزلة على الاستدلال بهذا الحديث على وجود الجنة والنار فقالت : ان الرؤية المذكورة فى هذا الحديث ليست رؤية بصرية ، وانما المراد منها رؤية العلم والبصيرة ، فليس فيه دليل على وجود الجنة والنار الآن .

الجواب :

فيقال : ان هذا من قبيل التأويل لمعنى ظاهر الى معنى خفى من غير قرينة توجب ذلك ، وهذا غير ممكن ، بل الأمر هو كما قلنا أن الرؤية المذكورة فى الحديث رؤية بصرية .

قال ابن حجر فى الفتح فى قوله صلى الله عليه وسلم " انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا " ظاهره أنها رؤية عين ، فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها فرآها على حقيقتها ، وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها ، وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر . (١) ويؤيده حديث أسماء بلفظ " دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطف من قطافها . " (٢)

وهكذا النار ، فقد رآها النبى صلى الله عليه وسلم على الصورة التى بينها هذا الحديث ، فلو لم تكونا موجودتين لما أمكن صلى الله عليه وسلم أن يراهما رؤية بصرية لأن المعدوم لا يمكن — بطبيعة الحال — أن يرى .

---

(١) فتح البارى جـ ٢ ص ٥٤١
(٢) صحيح البخارى ج ١ ص ١٨٠

ومن الأحاديث التى استدل بها الجمهور ما ورد فى السنن والمسند من حديث أبى هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال : فأنظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فجاءها ونظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها ، قال : فرجع اليه ، قال : فوعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها ، فأمر بها فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فرجع اليها فاذا هى قد حفت بالمكاره ، فرجع اليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ، قال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها ، فاذا هى يركب بعضها بعضا ، فرجع اليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال ارجع اليها ، فرجع اليها فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد الا دخلها . (١)

ولا شك أن هذا الحديث صريح وواضح فى أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولا سبيل الى تأويله من ظاهره الى معنى آخر ، حيث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بأن الله تعالى خلق الجنة والنار خلقا لا يحتمل غير ما يدل عليه معنى " الخلق " فهو سبحانه أوجدهما وأخرجهما من حال العدم الى حال الوجود ، فأى نوع من الغموض فى قوله صلى الله عليه وسلم " لما خلق الله تعالى الجنة والنار " فهل يراد به غير ما يتضمنه من أن الجنة والنار قد خلقهما الله تعالى وأوجدهما بعد أن كانتا معدومتين ؟ ثم ماذا يعنى ما بعد هذه الجملة من أن الله تعالى أرسل جبريل الى الجنة لكى ينظر اليها والى ما أعد الله تعالى لأهلها فيها ثم الى النار كذلك ؟ ان الحديث بجملته يدل صراحة على وجود الجنة والنار وخلقهما بدون أى احتمال

---

(١) واللفظ للترمذى فى سننه ج ٤ ص ٦٩٣ - وقال هذا حديث حسن صحيح .

ولهذا لم نعثر على الاعتراض عليه من قبل النفاة .

٣ـ جنة آدم دليل على وجود الجنة :

قال الجمهور : ان الجنة التى دخلها آدم وزوجه عليهما السلام ثم اخرجا منها هى جنة الخلد التى وعد المتقون يوم القيامة (١) وذلك لظاهر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تدل على ذلك . ومن ثم فقصة دخول آدم وزوجته فى الجنة دليل على وجودها من غير شك . ولكن المعتزلة اعترضت على رأى الجمهور وقالت : ان جنة آدم ليست هى جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة وانما هى جنة من جنان الأرض (٢) واليك بيان ذلك بالتفصيل .

١ـ أدلة الجمهور على قولهم بأن جنة آدم هى جنة الخلد :

استدل الجمهور على مذهبهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، أما الآيات القرآنية فمنها قوله تعالى : " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة " (٣) قالوا : الألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى ، وانما لمعهود ذهنى ، وهو المستقر شرعا من جنة المأوى . (٤)

اعتراض النفاة على هذا الدليل :

اعترض النفاة على هذا الدليل فقالوا : والقول بأن الألف واللام فى كلمة " الجنة " فى الآية ليست للعموم ولا لمعهود لفظى وانما لمعهود ذهنى

---

(١) وقد وافق على ذلك بعض المعتزلة كواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وأبى على الرمانى ، وأبى بكر بن الأحشيد . انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٧٥

(٢) انظر أصول الدين للامام أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التيمى البغدادى ص والفخر الرازى ج ٣ ص ٣ ، وحادى الأرواح ص ١٩

(٣) سورة البقرة آية ٣٥ ـ (٤) انظر تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٤

فمسلم ليس عليه اعتراض منا ، ولكن هو مادل عليه سياق الكلام من أن الجنة في هذه الآية كانت فى الأرض ، فان آدم عليه السلام خلق منها ، ولم يذكر أنه عليه السلام رفع الى السماء ، بل خلق هو ليكون فى الأرض ، وقد أعلم الله سبحانه الملائكة بذلك حيث قال تعالى : " انى جاعل فى الأرض خليفة " (١) وهذا كقوله تعالى : " انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة " (٢) فالألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى ، بل هى لمعهود ذهنى ، وهو ما دل عليه السياق وهو البستان . (٣)

الجواب :

وللجمهور أن يقولوا : ان الأمر ليس كما يقوله المعتزلة من أن المعهود الذهنى فى قوله تعالى : " أسكن أنت وزوجك الجنة " تعود على جنة من جنان الأرض اذ هى مدلول سياق الكلام ، ذلك لأن آدم عليه السلام خلق من الأرض ، ولم يذكر أنه رفع الى السماء .

نعم ، ليس الأمر كذلك ، وانما المعهود المعلوم لدى المسلمين هو دار الثواب فى الآخرة ، لأن (الجنة) جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع ، كقوله تعالى : " أسكن أنت وزوجك الجنة " ونظائره ، وهذا الاسم (أى الجنة) قد صار علما عليها بالغلبة كالمدينة ، والكتاب ، والبيت وغيرها ، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف الى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين . (٤)

أما أنه لم ينقل رفعه الى السماء ، فهذا لا ينفى حصول ذلك اذ يمكن أن الله

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠
(٢) سورة القلم آية ١٧
(٣) انظر البداية والنهاية ج ١ ص ٧٥
(٤) انظر حادى الأرواح ص ٢٤

تعالى رفعه اليها ثم أدخله الجنة بدون أن أعلم الناس بذلك . واذا قيل أن آدم عليه السلام انما خلق ليكون خليفة الله فى الأرض ولا حاجة لرفعه الى السماء ودخوله الجنه.

قلنا أن كونه عليه السلام خليفة الله فى الأرض لا ينفى كذلك دخوله الجنة قبل أن يباشر مسئولية الخلافة ويزاولها لحكمة يعلمها الله تعالى .

أما أنها مثل الجنة فى قوله تعالى : " انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة " من أنها بستان من بساتين الأرض اذ هو مدلول السياق فغير مسلم ،لأن الجنة اذا جاءت معرفة بلام التعريف انطلقت الى الجنة المعهودة بين المسلمين وهى جنة الخلد ، وان أريد بها غيرها فانه تجىء منكرة أو مقيدة بالاضافة أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الأرض ، فالأول كقوله تعالى : " جنتين من أعناب " (١) والثانى كقوله سبحانه : " ولولا اذ دخلت جنتك " (٢) والثالث كقوله عز وجل : " انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ".(٣) ومنها قوله تعالى : " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ." (٤) قالوا : فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة الى الأرض من وجهين :

أحدهما من لفظة " اهبطوا " فانه نزول من علو الى اسفل ،والثانى قوله : " ولكم فى الأرض مستقر " عقب قوله " اهبطوا " فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ثم أكد هذا بقوله فى سورة الأعراف " قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ." (٥) ولوكانت الجنة فى الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده . (٦)

---

(١) سورة الكهف آية ٣٢
(٢) نفس السورة آية ٣٩
(٣) سورة القلم آية ١٧
(٤) سورة البقرة آية ٣٦
(٥) سورة الاعراف آية ٢٤
(٦) انظر حادى الأرواح ص٢٢

اعتراض النفاة :

قالت النفاة ردا على هذا الاستدلال بأن الهبوط فى الآية لا يستلزم النزول من السماء الى الأرض اذ يمكن أن يكون هذا النزول من مكان مرتفع فى الأرض الى أسفل منه ، بل هو ما يتضمنه معنى الهبوط فى الآية ، حيث ان جنة آدم عليه السلام كانت فى أعلى الأرض فاهبطوا منها الى أرض أسفل منه ، فلا تكون هذه الآية دليلا على مذهب الجمهور ، وانما هى من أظهر الحجج عليهم.

وأما قوله تعالى : " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين " فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الأرض ، فان الأرض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها الذى لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى : فأهبطوا الى الأرض التى يعرض لهم فيها ذلك كله ، وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور . (١)

الجواب :

وللجمهور أن يقولوا جوابا على قولهم بأن الهبوط فى الآية لا يستلزم النزول من السماء الى الأرض فيمكن أن يكون هذا النزول من مكان مرتفع فى الأرض الى أسفل منه : انه وان كان هذا مما يمكن أن تحتمله الآية غير أنه احتمال غير مدعم بالدليل ، اذ لو كان لهم دليل صحيح على ما زعموا لم يكن فى المسألة نزاع ، بل الذى تدعمه الأدلة هو ما قلنا بأن الهبوط فى الآية نزول من السماء الى الأرض كالآيات السابقة والأحاديث التى سيأتى بيانها ان شاء الله تعالى .

---

(١) راجع حادى الأرواح ص ٣٠

وأما قولهم بأن الآية وهى قوله تعالى : " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين " لاتدل على أنهم لم يكونوا فى الأرض قبل الاهباط ، فان الأرض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها الذى لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ، فدعوى لا تستقيم على ما زعموا ، لأن هذه الصفات لا توجد فى الدنيا ؛ لأن الانسان ولوكان فى أطيب منازلها لابد أن يعرض له فيها ذلك كما هو الواقع . أما عدم التعرض لذلك فانما يتحقق ذلك كله يوم أن دخل المؤمنون الجنة فى الآخرة .

أما الأحاديث التى اعتمد عليها الجمهور فى مذهبهم فمنها حديث أبى هريرة وحذيفة أنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم . الحديث . (١)

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الجنة التى أخرج منها آدم عليه السلام وأبناؤه بسبب خطيئته هو بالأكل من الشجرة هى نفس الجنة التى سيطلب منه المؤمنون يوم القيامة استفتاحها لهم ، وهى جنة الخلد كما يدل عليه السياق ، اذ لوكانت هى غيرها لما تقرر أن الخطيئة قد أخرجت بنى آدم من الجنة أى تسببت فى اخراجهم منها ، وانما التى أخرجتهم منها جنة أو بستان من بساتين الأرض ، وهذا خلاف ما يدل عليه ظاهر الحديث من أن الجنة التى سيطلب منه المؤمنون استفتاحها هى بعينها الجنة التى أخرجتهم منها خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ، لأن الخطيئة — كما هو الواقع — لم تخرجهم من بساتين الأرض .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٦

اعتراض النفاة على هذا الدليل :

قالت النفاة ردا على هذا الدليل : ان استدلالكم بقول آدم فى هذا الحديث وهو " وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم " لا يدل على ما ذهبتم اليه ، وانما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن استقباح للخطيئة التى اقترفيها فى الدنيا ، وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة فليس فيه دليل على كون جنة آدم هى جنة المأوى التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة سواء كان بطريق المطابقة أو التضامن أو الاستلزام.

الجواب :

أجاب الجمهور على هذا الاعتراض بأن هذا المعنى الذى حملوه لهذا الحديث انما هو احتمال بعيد لايقاوم ظاهر معناه ، فلا يمكن الصرف عنه الى ذلك الاحتمال الضعيف المجرد من الدليل.

وحتى لو فرضنا جدلا أن هذا المعنى مما يحتمله الحديث فانه لم يغير شيئا من مدلول " الجنة " التى فى قول آدم عليه السلام " وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم " وهو جنة الخلد ، ذلك لأنه مما يبعد عن الحس والوعى أن يعدل آدم أبو البشر عما يطلبه منه أبناؤه المؤمنون يوم القيامة من استفتاح الجنة لهم الى استقباح خطيئته التى سبقت منه فى الدنيا ، لأنه لا يناسب فى ذلك الموقف العظيم والحالة الحرجة التى يحتاج فيها الناس أشد الحاجة الى العون السريع بدون تريث ولا تمهل عند الامكان.

ولذلك عندما كان آدم عليه السلام يعرف أن هذا الأمر ليس من شأنه حيث لم يؤذن له ، بادر الى التصريح بأن خطيئته هى التى أخرجتنا من تلك الجنة المشاهدة فى ذلك اليوم ، ومن ثم يخشى على نفسه مما سوف يصير اليه

بعض الناس من سوء المصير وعسر العاقبة بسبب خطيئته التى صدرت منه حين كان هو وزوجه عليهما السلام فى تلك الجنة •

ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا ، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة • قال له آدم : ياموسى ، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا • (١)

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الجنة التى أخرجنا منها أبونا آدم عليه السلام بسبب خطيئته هى جنة الخلد ، اذ لو لم يرتكب هذه الخطيئة، وعصى ربه سبحانه بالأكل من الشجرة التى نهى عنه لما اخرج منها هو وزوجه عليهما السلام ، فيتناسلان فيها حينئذ حتى يبقى فيها أولادهما ولايخرجون منها أبد الآباد •

ولو لم تكن هى جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة لأنكر عليه ذلك آدم عليه السلام ، ولكنه لم ينكر ذلك على موسى ، بل اعترف بذلك اعتراف المستسلم لقضاء الله وقدره حيث قال لموسى عليه السلام : أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟ فعدم انكاره على موسى عليه السلام ، وأن آدم عليه السلام كان هو الذى أخرج بنيه من الجنة بخطيئته لا من بساتين الأرض حيث لم يخرجنا منها فعلا ،دليل واضح على ما تقرر من أن جنة آدم عليه السلام هى بعينها جنة الخلد التى وعد المتقون يوم القيامة • ونكتفى بهذا القدر من الأدلة حيث هناك كثير من الآيات والأحاديث التى احتج بها الجمهور على مذهبهم ، ولم نوردها هنا حبا للاختصار •

---

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص١٥٨

٢ـ أدلـة المعتزلـة على قولهم بأن جنة آدم ليست هى جنة الخلد :

استدلت النفاة على رأيهم بأن جنـة آدم ليست هى جنة الخلد بالآيـات القرآنيـة ، منها قوله تبارك وتعالى : " لا لغو فيها ولا تأثيم " (١) وقولـه سبحانه : " لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا " (٢) وقوله تعالى : " لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ." (٣) وقوله جل وعلا : " وما هـم منها بمخرجـين ." (٤)

قالوا : الله تعالى وصف جنـة الخلد فى هذه الآيات الكريمة بأوصـاف لاتوجـد فى غيرها ، منها أنها لا لغو فيها ولا تأثيم ، ومنها أنها لا كـذب يسمعه فيها أهلها ، ومنها أنها لا يخرج منها أهلها بعد الدخول فيهـا ، فلما حصلت فى جنـة آدم هذه الأشياء المنفيـة من جنـة الخلد حيث ان ابليس اللعين قد لغا فيها ، وكذب حين حاول اخراج الأبوين منها باغرائه لهمـا كذبا وبهتانا ، دل ذلك على أن ابليس قد وصل الى الجنـة التى كان فيهـا آدم وحـواء عليهما السلام ، فوصولـه اليها ودخولـه فيها وارتكابه هـذه المعاصى ، وخروج الأبوين منها ، دليل واضح على أنها غير جنة الخلـد التى وعد الله بها عباده يوم القيامة ، لأن جنـة آدم التى أرتكبت فيها هـذه المعاصى تتنافى تمام التنافى مع الجنـة التى يدخلها عباد الله الصالحـون فى الدار الآخـرة بصفتها خاليـة عن اللغـو والتأثيم والكذب ، وكونها لا يخـرج منها أهلها بعد الدخول فيها .

الجـواب :

أجاب المثبتون عن استدلال النفاة بهذه الآيات القرآنية ، بأنه لايستحيـل عقلا دخول ابليس الجنـة لتغرير آدم وزوجـه لتمام الابتلاء من العزيـز

---

(١) سورة الطور آيـة ٢٣ (٢) سورة النبأ آيـة ٣٥
(٣) سورة الواقعة آية ٢٥ (٤) سورة الحجـر آية ٤٨

الجبار ، وان لم يكن ذلك المكان مقعدا له ومستقرا ، وقد كان الشياطين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع ، فيستمعون الى شىء من الوحى ، وهذا صعود الى هناك صعودا عارضا فلا يستقرون فيها ، فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فى قوله تعالى " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ." (١) (٢)

وأما قولهم بأن من دخلها من أهلها لا يخرج منها ، فهذا حق لا نزاع فيه ، ولكن انما يقع هذا يوم القيامة الذى يدخل فيه المؤمنون الجنة جزاء أما فى غير ذلك من الأوقات فيمكن أن يحصل الدخول فيها لمن أراد الله تعالى له ذلك كما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم حيث دخل فى الجنة حين عرج به صلى الله عليه وسلم الى السماء .

وقالت النفاة أيضا : لو كانت الجنة التى اسكنها آدم عليه السلام هى جنة الخلد لما أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين ، وذلك أن آدم عليه السلام لما سمع من ابليس اللعين كلاما طيبا وهو قوله تعالى حكاية عن ابليس اللعين : " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " (٣) لما سمع ذلك منه انخدع به وأطاعه فى دعوته له فأكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين . (٤)

ولو كانت هى جنة الخلد لما أكل من الشجرة بهذا الغرض لأنه كان فى مكان الخلد ، فلا حاجة له اذن الى أن يسعى للحصول على سبب الخلود فيها ، وبذلك تعين أن جنة آدم ليست جنة الخلد .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٦
(٢) راجع حادى الأرواح ص ٣٣
(٣) سورة طه آية ١٢٠
(٤) راجع الفصل فى الملل والنحل ج ٤ ص ٨٢

رد الجمهور :

قال الجمهور : ان أكل آدم عليه السلام من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ، ولا أكله منها كذلك صوابا ، وانما كان ظنا منه ، فلا حجة فيما كان هذه صفته . والله سبحانه لم يخبره بأنه مخلد فى الجنة ، بل كان فى علم الله تعالى أنه سيخرجه منها ، فأكله عليه السلام من الشجرة لم يكن متيقنا لنفسه بأنه سيخلد بذلك فى الجنة ، ولم يضمن له ذلك ، وانما أكل منها رجاء الخلد فقط . (١)

وقالت النفاة أيضا : لاخلاف فى أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام فى الأرض ، ولم يذكر فى قصة الخلق أنه نقل الى السماء ، ولوكان سبحانه قد نقله اليها لكان ذلك أولى بالذكر لأنه من أعظم النعم ، فعدم ذكره دليل على عدم حصوله ، وذلك يوجب أن المراد من الجنة التى قال الله تعالى له " أسكن أنت وزوجك الجنة " جنة أخرى غير جنة الخلد . (٢)

جواب الجمهور :

قال الجمهور ردا على هذا الدليل بأن خلق آدم عليه السلام من الأرض وعدم الذكر بنقله الى السماء صحيح لا نزاع فيه ، ولكن فكما لم يذكر نقله الى السماء كذلك لم يذكر أنه كمل خلقه فى الأرض ، فليس بممتنع أن يكون خلقه قد كمل فى السماء ، وقد جاء فى بعض الآثار أن الله سبحانه وتعالى ألقاه على باب الجنة أربعين صباحا ، فجعل ابليس يطوف به ويقول : لأمر ما خلقت ، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال : لئن سلطت عليه لأهلكنه ،

---

(١) نفس المصدر والصفحة
(٢) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣ ص ٣

ولئن سلط على لأعصينه ، مع قوله سبحانه : " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض " (١)

قالوا : وهذا يدل على انه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء ، والا فهم لم ينزلوا كلهم الى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ، وعلى فرض أن خلقه قد كمل فى الأرض لم يمتنع أن يصعده الله تعالى الى السماء لأمر دبره وقدره ثم يعيده الى الأرض كما أصعد المسيح عليه السلام الى السماء ثم ينزله الى الأرض قبل أن تقوم الساعة ، وكما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى فوق السموات ثم أعيد الى الأرض . " ٢ "

وقالت النفاة أيضا : ان جنة الخلد دار للنعيم والراحة ، وليست بدار التكليف ، وجنة آدم عليه السلام قد كلف فيها الأبوان أن لا يأكلا من الشجرة ، وتكليفهما على عدم الأكل من الشجرة فيها ينافى أن تكون هى بعينها جنة الخلد ، لأنها لاتكليف فيها وانما كلها نعيم وراحة . (٣)

الجواب :

أجاب الجمهور على هذا بأنه انما يمتنع أن تكون الجنة دار تكليف اذا دخلها المؤمنون يوم القيامة ، فحينئذ ينقطع التكليف ، وأما وقوع التكليف فيها قبل ذلك فلا دليل على امتناعه البتة . كيف وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم امرأة فى الجنة تتوضأ كما ثبت ذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال :

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ ـ ٣٣
(٢) راجع حادى الأرواح ص ٣٤
(٣) انظر تفسير " روح المعانى " للألوسى ج ١ ص ٢٣٣

بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب ٠ الحديث (١)

وليس بممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله تعالى ، ويعبده سبحانه قبل يوم القيامة ، بل هذا هو الواقع فان من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم سبحانه لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفا أولم يسم٠ ولكن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والحج والجهاد وغيرها ٠ وكان الذى كلف به آدم وزوجه عليهما السلام هو عدم الأكل من الشجرة وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد ، كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ٠ (٢)

وقالت النفاة أيضا : ان الأوصاف التى وصفت بها جنة الخلد لاتنطبق على جنة آدم كأن يكون عطاءها غير مجذوذ ولا مقطوع ، وقد انقطع ذلك من الأبوين بعد خروجهما منها بسبب العصيان الذى وقع منهما ٠ (٣)

الجواب :

قال الجمهور : قولكم هذا حق لاننازعكم فيه ، ولكن ذلك انما يكون اذا دخلها المؤمنون يوم القيامة لا فى الدنيا ، وكان غير ممتنع أن يحصل ذلك للأبوين كما وقع منهما فعلا ٠ (٤)

٣ـ الرأى الراجح :

الذى يترجح عندى من بين الرأيين ما ذهب اليه الجمهور من أن جنة آدم عليه السلام هى بعينها جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون فى الآخرة

---

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٤٢
(٢) انظر روح المعانى ج ١ ص ٣٢
(٣) انظر تفسير المراغى ج ١ ص ٩٠
(٤) انظر حادى الأرواح ص ٣٢

ذلك لأن قصة الأمر بالسجود لآدم عليه السلام ثم دخوله الجنة ثم اهباطهم الى الأرض ، ظاهرة فى أن تكون هذه القصة قد وقعت فى السماء.

وقد وردت القصة على هذه العبارة القرآنية فى قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين." (١)

اذا تأملنا هذه الحادثة على نسق السياق القرآنى فى هذه الآيات الكريمة ، نجد أن وقوعها فى السماء أقرب منها الى وقوعها فى الأرض كما هو الظاهر فى الآيات. ذلك لأنه :

أولا : لما كان موطن الملائكة فى السماء ، فان الذى يتبادر الى الأذهان أنهم كانوا فيها حين أمروا بالسجود لآدم عليه السلام ، اذ لا دليل على نزولهم كلهم الى الأرض وقتئذ . وهذا يدل على أن آدم عليه السلام كان فى السماء.

ثانيا : لما أمر الله تعالى الأبوين بالدخول فى الجنة ، كان ذلك عقب السجود الذى وقع فى السماء.

ثالثا : الأمر بالهبوط كان بعد خروج الأبوين من الجنة.

رابعا : دلالة السياق فى قوله تعالى : " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين." على عدم وجودهم فى الأرض قبل الاهباط الذى كان بعد السجود ودخول الجنة.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٤ ـ ٣٦

ويفهم من هذه القصة على نحو ما تقدم أن الحادثة كانت قد وقعت في السماء لا في الأرض كما هو ظاهر السياق القرآني • وعلى هذا فالجنة التي دخلها آدم وزوجه عليهما السلام هي نفس الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة لأنه ليس في السماء ما يسمى " الجنة " غير الجنة المعروفة لدى عباد الله تعالى المؤمنين ، وهي جنة المأوى التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى حين عرج به عليه الصلاة والسلام الى السماء•

هذا بالاضافة الى ما ساقه الجمهور من الأدلة القرآنية والحديثية على ذلك • والله تعالى أعلم•

٤- مقارنة بين رأى الجمهور ورأى المعتزلة في وجود الجنة والنار الآن :

من خلال ما استعرضنا من الأدلة التي استدل بها كل من الفريقين ، وما دار بينهما من نقاش ، نستطيع أن نقدر مدى موقف كل منهما من المسألة • فأدلة المعتزلة ومن يجري مجراها - فيما يبدو - قد قصرت أمام أدلة الجمهور سواء كانت من ناحية الكثرة أو من ناحية القوة•

ذلك لأن أدلة المعتزلة محدودة بعدد أقل من عدد أصابع اليدين (١) بجانب كونها واهية ضعيفة لا تسلم من الاعتراض عليها بردود يمكن أن تكون باعثا لاسقاطها من الحساب • وقد رد عليها الجمهور فعلا ، وأجابوا عنها جوابا مقنعا يمكن كذلك أن ينفي جميع الاحتمالات التي دعت المعتزلة لاتخاذها دليلا على زعمهم بعدم وجود الجنة والنار الآن •

---

(١) انظر حادي الأرواح ص ٣٤ - ٣٥

أما أدلة الجمهور فهى كثيرة اذ بلغت ستة وعشرين دليلا من الكتاب والسنة (١) ومع ذلك فهى تتمتع بالوضوح والقوة . وقد حاولت المعتزلة ومؤيدوها توهين هذه الأدلة باعتراضات واهية وردود مردودة من قبل الجمهور مما يشعر بأن هذه الاعتراضات والردود لم تؤثر فيها .

ولنأخذ مثلا قوله تعالى : " واتقوا النار التى اعدت للكافرين " (٢) وقوله تعالى : " وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين . " (٣) ونضيف الى هاتين الآيتين حديث الاسراء وفيه " ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى الى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ماهى ؟ قال : ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك . " (٤)

فالمتأمل المنصف عندما ينظر فى هذه النصوص ويتأملها لا يجد فى نفسه سوى الخضوع لما تتضمنه من كون الجنة والنار مخلوقتين موجودتين الآن كما رآهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخل الجنة باذن من ربه سبحانه فرأى فيها ما رأى وشاهد ما شاهد مما لايستطيع هذا المنصف أن يرده عن نفسه أو يعدل عنه ثم يسلك طريق التأويل الفاسد الذى لا يمت لهذه النصوص بصلة .

نعم ، لقد اعترضت المعتزلة على الاستدلال بالآيتين بأنه ليس المراد من كلمة " اعدت " فيهما ظاهرها ، وانما أريد بها المستقبل ، فعبر عنه بلفظ الماضى مبالغة فى تحقق وقوع الفعل كما دلت عليه بعض النصوص القرآنية . (٥)

---

(١) انظر نفس المصدر ص ١٤ ـ ١٨
(٢) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٣) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٤) سبق ذكرنا لهذا الحديث
(٥) انظر ص ١٠١ من هذا البحث.

ولكن هذا الاعتراض مردود على أصحابه بما تقدم من أن هذا التأويل الذى زعمت المعتزلة بأنه المراد من لفظة " اعدت " فى الآيتين ، عدول عن معنى ظاهر الى معنى خفى بغير قرينة ،وهذا غير جائز كما قدمنا ، ومن ثم فلابد أن نحمل الآيتين على ظاهرهما فنقول بموجب ذلك أن الجنة والنار معدتان موجودتان بعد أن كانتا معدومتين وأيضا فان هذا المعنى الذى فهمه الجمهور من الآيتين مؤيد بأدلة أخرى كحديث أبى هريرة المتقدم (١)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث : لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة .. الخ . وهو فى غاية الصراحة والوضوح فى خلق الجنة والنار ووجودهما الآن حتى عاود النظر اليهما جبريل عليه السلام بأمر من الله عز وجل . وهذا ليس لمنازعيهم رد عليه مما يوحى بأنهم عجزوا عنه حيث لا قبل لهم به.

وهناك أيضا بعض الأحاديث التى اعتمد عليها الجمهور فى مذهبهم (٢) لم نعثر على الاعتراض والرد عليها من قبل النفاة مما يشعر بأن الدائرة كانت على فريق المعتزلة بعد أن اختل توازن قوة الأدلة بين الفريقين حيث أن أدلة الجمهور قد رجحت كفتها على كفة أدلة المعتزلة .

ان الأدلة التى استند اليها الجمهور فى رأيهم هى التى يوافقها العقل السليم الصافى الذى لم يتدنس بأدناس البدع والخرافات : ان النفس البشرية تميل الى الحقيقة الواقعية وتطمئن اليها أكثر من اطمئنانها الى الحقيقة غير الواقعية ، كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام :

---

(١) انظر ص ١٠١ من هذا البحث
(٢) انظر حادى الأرواح ص ١٥ ـ ١٨

" رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن ،قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ." (١)

فشعور الانسان وايقانه بأن الجنة والنار موجودتان الآن ،تنتظران هناك واطمئنان النفس الى هذه الحقيقة الواقعية التى كأنها تتمثل بين يديه له تأثير قوى فى معالجة النفس التى تتعرض دائما للأمراض الداخلية كالكبر والرياء، والحقد والحسد ، والملل والكسل وغيرها من الأمراض النفسية . وعندما يشعر الانسان فى نفسه أنه قد دخل فيها شىء من هذه الأمراض ، وتذكر أن هذا مفض الى النار التى تترصد هناك يتبادر الى محاولة تطهير نفسه من تلك الأمراض الفتاكة خوفا من أن تجره الى عذاب أليم.

كما أن ذلك الشعور ، وذاك الاطمئنان الى هذه الحقيقة الكبرى مما يدفع الانسان المسلم للنهوض بكل ما يوصله الى تلك الجنة من أعمال البر، ويردعه عما يوقعه فى تلك النار المحرقة من أعمال الشر ، فالله تبارك وتعالى أوجد الجنة والنار ، وأعد فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما هيأ فى النار كل ألوان العذاب وأنواع العقاب ،وأعلم بذلك عباده، وأشعرهم بأن هذه من الحقائق الكبرى التى يجب الايمان بها ، لكى ينهضوا كلما ملوا وفتروا ، ويستجدوا انتباههم نحو مستقبلهم اذا غفلوا ، ويزدادون طمعا فى جنات الله تعالى التى فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين . كما أنهم يزدادون خوفا وفزعا كلما يتذكرون أن النار تنتظر هناك ، وتترصد أهلها بألوان العذاب ، فيدفعهم ذلك كله — بلا شك — الى زيادة الطاعة لربهم سبحانه كما يزجرهم من اقتراف محارم الله ونواهيه . ويطهرون نفوسهم من تلك الأمراض القاتلة حتى يصبحوا من عداد المؤمنين الصالحين أصحاب

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

الحق في أن يسكنوا في جنات النعيم.

وهذا أوفق وأنسب وأقرب الى المعقول مما ابتدعته المعتزلة من الآراء الفاسدة ، والأفكار المسمومة بسموم الخرافات والخيالات التى لا نصيب لها من الصحة.

الفصل الثاني

صفة الجنة ونعيمها

لقد ثبت لنا فيما سبق أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، وأن القول بعدم وجودهما ، قول لا يمكن الاعتماد عليه لمخالفته النصوص الصريحة في وجودهما الآن . ونفرد هذا الفصل للحديث عن صفة الجنة ونعيمها فلندع القرآن العظيم والسنة المطهرة ينقلان لنا الصورة الحقيقية لهذا المقام السرمدي وما فيه من أنواع المتع والسعادة الأخروية .

١ـ عدد الجنة وأنواعها :

الجنة اسم الجنس الذي يندرج تحته ما لا يحصى من الجنات الخاصة ولكنها — مع كثرتها — ترجع الى نوعين ، جنتان ذهبيتان بكل ما اشتملتا عليه من آنية وحلى وقصور ، وجنتان فضيتان بكل ما احتوتاه من حلى وآنية وبنيان .

روى البخاري في صحيحه ، عن أنس بن مالك ، أن أم الربيع بنت البراء ، وهي أم حارثة بن سراقة ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، ألا تحدثني عن حارثة — وكان قتل يوم بدر ، أصابه سهم غرب — فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، انها جنان في الجنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى . (١)

وروى في صحيحه أيضا عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٤

آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن • (١)

والحديث الأول يدل على أن الجنة كثيرة لم تتحدد بعدد معين ، ولكنها ـ مع كثرتها ـ ترجع الى نوعين : جنتان من ذهب ، وجنتان من فضة كما فى الحديث الثانى •

وقد تقدم أن دار الثواب ، انما سميت بالجنة لاحتوائها الجنان الكثيرة (٢) وأما تسميتها بأسماء مختلفة ،كدار السلام ، ودار الخلد ، وجنة عدن ، ودار المقامة ، وغيرها ، فليست أسماء لجنات مختلفة ، بل انها أسماء الجنة باعتبار صفاتها التى تدل عليها تلك الأسماء ، فالاضافة فيها من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ، فالمسمى واحد باعتبار الذات • (٣)

٢ـ بناء الجنة وحصباؤها وتربتها :

وقد ورد فى أحاديث أن بناء الجنة انما هو لبنة من ذهب وفضة ، وأن حصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وأن تربتها الزعفران • ومن ذلك حديث أبى هريرة أنه قال : قلنا يا رسول الله ، اذا رأيناك ، رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ،واذا فارقتنا أعجبتنا الدنيا ، وشممنا النساء والأولاد ، قال : لو بقيتم فى كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم• قال ، قلنا يارسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : لبنة ذهب، ولبنة فضة ،ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه• (٤)

---

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ١٨١
(٢) انظر ص ٢ من هذا البحث•
(٣) انظر شرح القصيدة النونية للدكتور محمد خليل هراس ج ٢ ص ٧١٥
(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٥

وهكذا جاء فى هذا الحديث أن ترابها الزعفران ، وورد فى أحاديث أخرى أن ترابها المسك ، كما فى الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، واذا ترابها المسك . (١)

وجاء فى أحاديث أخرى أن تربة الجنة درمكة بيضاء ، كما فى حديث سعيد الخدرى ، ان ابن صياد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة ، فقال : درمكة بيضاء مسك خالص . (٢)

ولا تعارض بين هذه الأحاديث فى كون تربة الجنة زعفرانا كما فى بعض الأحاديث ، وكونها مسكا فى الأحاديث الأخرى ، وكونها درمكة بيضاء كما فى هذا الحديث الأخير ، ذلك لأنه يجوز أن تكون هذه التربه متضمنة للزعفران والمسك معا ، اذ يجوز أن يكون التراب من زعفران ، فاذا عجن بالماء صار مسكا ، والطين قد يسمى ترابا ، أو يكون زعفرانا باعتبار اللون ، ومسكا باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شىء يكون البهجة والاشراق اللون لون الزعفران ، والرائحة رائحة المسك . وأما كونها درمكة بيضاء ، فلعل هذا تعبير عن مشابهتها بالدرمكة فى الصفاء واللينونة والنعومة . (٣)

٣ـ درجات الجنة :

وقد وصف القرآن الكريم ، والحديث النبوى الجنة بأنها درجات من غير تحديد ، قال تعالى : " وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما " (٤) وقال سبحانه : " ومن

---

(١) واللفظ لمسلم ج ١ ص ١٤٩ ، وهو قطعة من حديث أبى ذر .
(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٤٣
(٣) راجع شرح القصيدة النونية ج ٢ ص ٧٢٠ ، وحادى الأرواح ص ٩٤
(٤) سورة النساء آية ٩٥ ـ ٩٦

يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار " (١)

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال بلى ، والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . (٢)

وفى المسند من حديث أبى سعيد مرفوعا " يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة ، اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه " (٣) وفى سنن الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن ، اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ بها . " (٤).

وهذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية تحدثنا عن درجات الجنة من غير تحديد ، ومن ثم لايعلم عددها الا الله . وأما الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ... الحديث (٥) فهذا لا يدل على أن عدد درجاتها محصورة على مائة درجة . وكما يقال : ان لى مائة ناقة . وهذا لا يدل على أنى لا أملك الا مائة ناقة ، بل يمكن أن يكون لى أكثر من ذلك .

---

(١) سورة طه ، آية ٧٥ ــ ٧٦
(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٧٧
(٣) المسند للامام أحمد ج ٣ ص ٤ ــ ٥ ــ و ٣٤٨
(٤) سنن الترمذى ج ٥ ص ١٧٧ ــ قال أبو عيسى فى هذا الحديث هذا حديث حسن صحيح . ــ (٥) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٩

ولعل المراد من هذا العدد هوكما قال ابن القيم فى حادى الأرواح : ان هذه المائة هى نهاية الدرجات ، وفى ضمن كل درجة درجة دونها ، أو المراد بها الدرجات الكبار التى تتخللها درج صغار ٠ (١)

٤ـ مسافة بين كل الدرجتين :

وأما المسافة التى بين كل درجتين منها فهى كما بين السماء والأرض كما فى حديث أبى هريرة المذكور ٠ وقد ورد أن بين كل درجتين مائة عام ،كما فى سنن الترمذى من حديث أبى هريرة أيضا : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مائة عام ٠ (٢) ولعل هذا يكون بحسب سرعة السير أو بطئه ، فلاتتنافى بينهما ٠

٥ـ أعلى الجنة الفردوس :

وأعلى الجنة " الفردوس " وهو وسطها أيضا ، أعده الله تعالى للصفوة المختارة من عباده سبحانه ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما فى حديث البخارى السابق ، وفيه : " فاذا سألتم الله فأسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن : ومنه تفجر أنهار الجنة ٠

قيل بأن المراد بالأوسط فى الحديث السعة ، وقيل هو العلوى الحسى : والصحيح أن المراد به الأعدل والأفضل كما قال به ابن حجر فى الفتح ٠ (٣) وذلك كقوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا ٠ " (٤)

ويؤيد هذا المعنى حديث سمرة أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) راجع حادى الأرواح ص٥٥
(٢) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٧٤
(٣) انظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ٦ ص ١٣ : طبع المطبعة السلفية بمصر ٠ (٤) سورة البقرة آية ١٤٣ ٠

رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء. (١)
وما دام أن الفردوس هو دار الشهداء ، ووصف بأنه دار أحسن وأفضل ، دل ذلك على صحة القول بأن المراد بالأوسط هو الأفضل والأحسن.

وهناك أعلى منزلة فى الفردوس ، وهى الوسيلة التى خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهى خالصة له صلى الله عليه وسلم دون غيره من الناس ، فضلا من الله عز وجل على حبيبه وأكرم خلقه صلى الله عليه وسلم.

عن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ فان من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى." (٢)

٦ـ أبواب الجنة :

وللجنة أبواب كما ورد فى القرآن الكريم من غير تحديد عددها ، قال تعالى : حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها " (٣) ، وقال سبحانه "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب " (٤)

ولكن السنة المطهرة بينت عددها بأنه ثمانية أبواب ، وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٠
(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٨٨
(٣) سورة الزمر ، آية ٧٢
(٤) سورة الرعد آية ٢٣

ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ." (١)

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء ." (٢)

ومن هذه الأبواب ما يسمى باب الصلاة ، وباب الجهاد ، وباب الريان ، وباب الصدقة ، كما فى حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة ، يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام ، دعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة ، دعى من باب الصدقة ، فقال أبوبكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم ، وأرجو أن تكون منهم ." (٣)

٧ـ سعة أبواب الجنة :

وردت أحاديث فى سعة أبواب الجنة ، غير أنها لم تتفق على السعة المعينة التى يكون عليها كل باب من أبوابها ، ففى حديث أبى هريرة المتفق

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠٩
(٢) اللفظ لمسلم ج ١ ص ٥٧
(٣) صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٢

على صحته نص على أن ما بين مصراعى باب الجنة كما بين مكة وهجر . وفيه، قال صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين (١) من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة . (٢)

وعن خالد بن عمير العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فان الدنيا قد أذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يصبها صاحبها ، وانكم منقلبون عنها الى دار لا زوال لها ، فانقلبوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام . (٣)

وفى حديث حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه : ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين . (٤)

نرى فى هذه الأحاديث اختلاف المسافات التى بين مصراعين من مصاريع الجنة ، ولعل هذا يرجع الى اختلاف سعة أبواب الجنة ، ذلك لأن الجنات درجات ، بعضها فوق بعض ، وكلما علت اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة . (٥)

غير أن حديث عتبة ، وحديث حكيم ضعيفان ، فالأول موقوف ، والثانى روايته مضطربة . (٦) أما حديث أبى هريرة فهو أصح أحاديث الباب .

والذى نراه أن كون حديث عتبة وحديث حكيم ضعيفين لا يمنع اختلاف المسافات بين مصاريع أبواب الجنة ، لأن هذا الاختلاف تابع لاختلاف سعة الجنات كما هو رأى ابن القيم ، ولكن فما ورد فى المسألة من دليل

---

(١) المصراعان بكسر الميم جانبا الباب ، وهجر بفتح الهاء والجيم مدينة عظيمة وهى قاعدة بلاد البحرين . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ٦٩

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٨٦

(٣) المسند للامام أحمد ج ٤ ص ١٧٤

(٤) أخرجه أبو داود فى كتابه (البعث) ص ٩٢

(٥) انظر حادى الأرواح ص ٤٤ (٦) انظر نفس المصدر ص ٤٣

صحيح أخذناه ، والا توقفنا فيه حتى تثبت صحته لأن المسألة غيبية لا يعتمد فيها الا على قول مؤيد بدليل صحيح . وهذا هو أسلم طريق والله أعلم.

٨ ـ مسافة ما بين البابين :

وأما المسافة التى تفصل ما بين بابين من أبواب الجنة فهى مسيرة سبعين عاما ، كما ورد فى حديث لقيط بن عامر ، أنه خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . قلت يارسول الله . فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر الهك ، ان للنار سبعة أبواب ، ما منهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وان للجنة ثمانية أبواب ، ما منهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما .. الحديث . (١) وهذا يدل على سعة الجنة التى أكرم الله تعالى بها عباده الصالحين.

٩ ـ الجنة ذات قصور وغرف :

وفى الجنة قصور كما فى حديث أبى هريرة أنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال : بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر ، فقلت لمن هذا القصر ، فقالوا لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبرا فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟. (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من بنى مسجدا لله تعالى (قال بكير (٣) : حسبت أنه قال : يبتغى به وجه الله) بنى الله له بيتا فى الجنة ." (٤)

---

(١) المسند ج ٤ ص ١٤
(٢) فى الصحيحين . واللفظ للبخارى ج ٤ ص ١٤٢
(٣) وهو أحد رواة الحديث
(٤) فى الصحيحين واللفظ لمسلم ج ١ ص ٣٧٨

وعن أبى زرعة ، قال : سمعت أبا هريرة ، قال : أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله : هذه خديجة قد أتتك ،معها اناء فيه ادام أوطعام أو شراب ،فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ، ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب ." (١)

المراد بالبيت هنا القصر كما قال الخطابى ، والقصب اللؤلؤ المجوف كما قال جمهور العلماء ، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر . (٢)

كما أن فى الجنة غرف فى غاية الصفاء والحسن ، قال تعالى : " والذين أمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ." (٣) وقال سبحانه : " لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية " (٤)

قال ابن القيم : فأخبر أنها غرف فوق غرف ، وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل ، وأنه ليس هناك بناء ، بل تتصور النفوس غرفا مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر اليها عيانا ،ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أى لهم منازل مرتفعة ، وفوقها منازل أرفع منها . (٥)

وقد تقدم حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص١٨٨٧ .
(٢) انظر شرح النووى ج ١٥ ص٢٠٠
(٣) سورة العنكبوت آية ٥٨
(٤) سورة الزمر آية ٢٠
(٥) حادى الأرواح ص٩٦

ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم.

وخرج الترمذى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقام اليه أعرابى فقال : لمن هى يارسول الله ؟ قال : هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام . (١)

١٠ — سرر الجنة وأرائكها :

وفى الجنة سرر وأرائك يتكئ عليها أهلها متقابلين ، قال تعالى : " متكئين على سرر مصفوفة " (٢) وقال سبحانه : " ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين " (٣) وقال عز وجل : " فيها سرر مرفوعة " (٤)

أخبر الله سبحانه أن هذه السرر مصفوفة مرتبة بعضها الى جانب بعض ،متقاربة غير متباعدة ، وليس بعضها خلف بعض آخر ، وأنها موضونة أى منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض . قال عطاء عن ابن عباس قال : سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت. (٥)

أما الأرائك ففى قوله تعالى : " متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ." (٦) فالأرائك جمع أريكة وهى السرير مع الفراش فى الحجلة . (٧)

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٧٣
(٢) سورة الطور آية ٢٠
(٣) سورة الواقعة ،آية ١٥ ــ ١٦
(٤) سورة الغاشية آية ١٣
(٥) راجع حادى الأرواح ص ١٤٥
(٦) سورة الانسان آية ١٣
(٧) راجع شرح القصيدة النونية ج ٢ ص ٧٢٤

١١ـ فرش الجنة :

وفى الجنة فرش وما يتبعها من البسط والزرابى والنمارق ، قال تعالى : " متكئين على فرش بطائنها من استبرق . " (١) وقال سبحانه : " وفرش مرفوعة " (٢) وقال جل شأنه : " متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان " (٣) وقال جل وعلا : " فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة " (٤)

فوصف سبحانه وتعالى الفرش بأنها مبطنة بالاستبرق ، وهذا يدل على أمرين : (أحدهما) أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها ، لأن بطائنها للأرض ، وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة . و (الثانى) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة ، كما قال تعالى : "وفرش مرفوعة . "

أما الرفرف فى قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) فهى البسط كما روى عن الحسن ، وأما النمارق فقال الواحدى : هى الوسائد فى قول الجميع ، وقال مقاتل هى الوسائد مصفوفة على الطنافس ، وزرابى بمعنى البسط والطنافس ، واحدها زربية فى قول جميع أهل اللغة . (٥)

ورفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها ، وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد اليها دائما ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت آخر . (٦)

---

(١) سورة الرحمن آية ٥٤
(٢) سورة الواقعة آية ٣٤
(٣) سورة الرحمن ، آية ٧٦
(٤) سورة الغاشية آية ١٣ ـ ١٦
(٥) انظر شرح القصيدة النونية ج ٢ ص ٧٤٠
(٦) انظر حادى الأرواح ص ١٤٤

١٢ أشجار الجنة وثمارها :

وفى الجنة أشجار مثمرة يأكل منها أهل الجنة بلا انقطاع ، ويستظلون تحت ظلالها متمتعين بكل فرح وسرور . قال عز وجل : " وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . " (١) وقال سبحانه : " فيهما فاكهة ونخل ورمان " (٢)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها واقرأوا ان شئتم ، وظل ممدود . " (٣)

وعن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب فى كل نواحيها مائة عام ، فيخرج اليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم ، فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم ،ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا . (٤)

ولهذه الأشجار ثمار فى غاية الحسن واللذة ، فاذا أكل منها أهل الجنة ، وذاقوا طعامها ولذتها ، فانهم لا يتمالكون الا أن يتلفظوا بما يدل على ذلك . قال تعالى : " كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها " (٥)

وقد وصف القرآن الكريم هذه الثمار بأنها كثيرة من غير أن تنقطع عن أصحابها مع أمنهم من مضرتها . قال تعالى : " متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب " (٦) وقال جل شأنه : " يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . " (٧) وقال

---

(١) سورة الواقعة آية ٢٧ ــ ٣٣ (٢) سورة الرحمن آية ٦٨
(٣) اللفظ للبخارى ج ٦ ص ١٨٣
(٤) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للامام الحافظ جلال الدين السيوطى ج ٦ ص ١٥٧ ، نشر محمد أمين دمج ــ بيروت .
(٥) سورة البقرة آية ٢٥ ــ (٦) سورة ص آية ٥١ ــ (٧) سورة الدخان آية ٥٥

عز وجل : " وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . " (١)

وهذه الثمار ـ مع ذلك ـ مذللة قريبة من متناولها اذ يأخذها بسهولة ويسر ، بل يمكن أن يتناولها حيث شاء ، سواء كان قائما أو قاعدا أو مضطجعا . قال تعالى : " فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ،قطوفها دانية " (٢) أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف شاء .

١٣ ـ أنهار الجنة :

قال تعالى : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار " (٣) وقال سبحانه : " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . " (٤)

ذكر الله عز وجل في هذه الآيات الكريمة أنواعا من أنهار الجنة ، ووصفها بأوصاف تختلف عن أوصاف الأنهار في الدنيا ، فأنهار الجنة تجري تحت القصور والمنازل والغرف والبساتين في غير أخاديد بخلاف أنهار الدنيا ، فانها لا تجري الا في الأخاديد . (٥)

وهذه الأنواع الأربعة من أنهار الجنة قد نفى الله تبارك وتعالى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا ، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه ، وآفة اللبن أن يتغير طعمه الى الحموضة وأن يصير قارصا ، وآفة الخمر كراهية مذاقها المنافي للذة شربها ، وآفة العسل عدم تصفيته ، ومثل هذه الآفات منتفية عن أنهار الجنة . (٦)

---

(١) سورة الواقعة آية ٢٧ ـ ٣٣
(٢) سورة الحاقة ، آية ٢١
(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥
(٤) سورة محمد ، آية ١٥
(٥) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص٣٨
(٦) انظر حادي الأرواح ص١٢٢

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة الى أقصى درجاتها ، وقد تقدم حديث أبى هريرة ، وفيه : (وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) وفى حديث معاذ بن جبل عند الترمذى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوق ذلك عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس ٠) (١)

قال ابن القيم : قد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى " جنات تجرى من تحتها الأنهار " (٢) وفى موضع " تجرى تحتها الأنهار " (٣) وفى موضع " تجرى من تحتهم الأنهار " (٤) ثم قال : وهذا يدل على أمور (أحدها) وجود الأنهار فيها حقيقة (الثانى) أنها جارية لا واقفة (الثالث) أنها تحت غرفهم وقصورهم وساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا ٠ (٥)

أقول : وهذا من أكبر الحجج على الفلاسفة وغيرهم من الذين ينفون النعيم المادى فى الآخرة ٠

وهناك نهر أعطاه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو نهر الكوثر ٠ قال تعالى : " انا أعطيناك الكوثر " (٦) فالكوثر نهر فى الجنة كما فى صحيح البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت ،ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فاذا طينه أو طيبه مسك أذفر ، شك هدبة ٠ (٧) وعند الترمذى من رواية عبد الله بن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ،

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٧٥
(٢) سورة آل عمران آية ١٥
(٣) سورة التوبة آية ١٠٠
(٤) سورة الأعراف آية ٤٣
(٥) حادى الأرواح ص ١٢١
(٦) سورة الكوثر آية ١
(٧) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٤٩

وأبيض من الثلج ." (١)

الاختلاف فى الكوثر :

لقد اختلف فى الكوثر الذى أعطيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى بلغ هذا الخلاف الى ستة عشر قولا (٢) ولكن المشهور من هذه الأقوال قولان ، اذ فيهما نصوص ثابتة.

القول الأول ، أنه نهر فى الجنة أعطاه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والقول الثانى ، أنه حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموقف. ولكلا القولين دليل.

دليل القول الأول :

والذى قال بأن الكوثر نهر فى الجنة أعطيه صلى الله عليه وسلم استدل بحديث أنس ، وحديث عبد الله بن عمر المتقدمين ، وهما يصرحان بأن الكوثر نهر فى الجنة ، أعطاه الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ، كما استدل بحديث أنس بلفظ آخر ، وحديث عائشة رضى الله عنهما ، وكلاهما عند البخارى.

أما حديث أنس فقال : لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا ، فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر . (٣)

وأما حديث عائشة رضى الله عنها ، فقد رواه عنها أبو عبيدة ، فقال : سألتها عن قوله تعالى : " انا أعطيناك الكوثر " قالت : نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم . (٤) وهذه الأحاديث

---

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ٤٠٠

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى ج ٣٢ ص ١٢٤ ، ١٢٨ ، والفتح ج ٨ ص ٧٣٢

(٣) صحيح البخارى ج ٦ ص ٢١٩

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

الصحيحة تدل على أن الكوثر المذكور فى كتاب الله الكريم هو نهر فى الجنة أكرم الله سبحانه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو ظاهر الأحاديث المذكورة.

دليل القول الثانى :

والذى قال بأن الكوثر هو حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ،احتج بحديث أنس أيضا الذى عند مسلم ، عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسما ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت على آنفا سورة ،فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر . ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ،فيختلج العبد منهم فأقول : رب انه من أمتى ، فيقول : ماتدرى ما أحدثت بعدك . (١)

ولكلا القولين دليل من الأحاديث الصحيحة ، فلابد من التوفيق بينهما . ووجه ذلك أن يقال : لعل النهر ينصب فى الحوض ، أو لعل الأنهار انما تسيل من ذلك الحوض ، فيكون ذلك الحوض كالمنبع. (٢)

وأما ما قاله ابن عباس بأن الكوثر هو الخير الكثير (*) فلا تعارض بينه وبين ماتقدم ، لأن هذا التفسير الذى فسر به ابن عباس (الكوثر) يعم النهر والحوض ، وغيرهما من الخير الكثير الذى يوجد فى ذلك النهر ، وذاك الحوض، اذ الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، فمن ذلك النهر والحوض وغيرهما . (٣)

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠٠
(٢) أنظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٣٢ ص ١٢٤
(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٨٥
(*) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٠٢

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النهر بأن حافتاه قباب اللؤلؤ وأن آنيته كثيرة كعدد نجوم السماء ، كما فى الأحاديث المتقدمة ، وأن ترابه المسك ، وماءه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ترده طيور كبار .

عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر ، فقال هو نهر أعطانيه الله عز وجل فى الجنة ، ترابه المسك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل : ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر ، قال أبو بكر : يارسول الله ، انها لناعمة : فقال أكلتها أنعم منها . (١)

١٤ ـ خيام الجنة :

وفى الجنة خيام يتمتع فيها المؤمنون مع أهاليهم ، قال تعالى : " حور مقصورات فى الخيام " (٢) وعن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا : للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا . (٣) وفى لفظ آخر عنه " فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن " (٤) وعنه أيضا فى لفظ آخر (الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا) (٥)

فى الرواية الثانية عرضها ستون ميلا ، وفى الثالثة طولها فى السماء ستون ميلا ، ولا معارضة بينهما ، فعرضها فى مساحة أرضها ، وطولها فى السماء متساويان . (٦)

---

(١) المسند للامام أحمد ج ٣ ص ١٠٢
(٢) سورة الرحمن آية ٧٢
(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٨٢
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥) المصدر السابق نفس الجزء ص ٢١٨٣
(٦) راجع شرح النووى ج ١٧ ص ١٧٥ ـ ١٧٦

١٥ — سوق الجنة :

وأن فيها لسوقا ينطلق اليها أهل الجنة ، فيزدادون فيها حسنا وجمالا على أثر الريح التى تحثو فى وجوههم ، أمرا من عند الله تبارك وتعالى .
وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا ، فيرجعون الى أهليهم ، وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ." (١)

ورواه الامام احمد فى مسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان لأهل الجنة سوقا يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك فاذا خرجوا اليها هبت الريح . الحديث (٢)

قال النووى : المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس فى الدنيا فى السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة أى فى مقدار كل جمعة أى أسبوع وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار . (٣)

قال القاضى : وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام ، وبها يأتى سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت فى الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أى المحركة لأنها تثير فى وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها . (٤)

١٦ — طعام أهل الجنة :

ولأهل الجنة طعام يأكلونه كيفما يشاءون ، وهذا الطعام هو كل ماتشتهيه

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٧٨
(٢) المسند للامام أحمد ج ٣ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .
(٣) شرح النووى ج ١٧ ص ١٧٠
(٤) نفس المصدر والجزء ص ١٧١

النفوس من لحوم الطير ، والفواكه المتنوعة التى تشبه بعضها بعضا فى الحسن والبهاء ، وتختلف فى الطعم واللذة.

يقول الله تعالى : " ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون." (١) وقال سبحانه : " وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون." (٢) وقال جل شأنه : " كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها " (٣)

وقد تقدم حديث أنس ، وفيه (ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر قال ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، انها لناعمة ، فقال : أكلتها أنعم منها . وفى المسند من حديث أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة فقال أبو بكر : ان هذه الطير ناعمة ، فقال : أكلتها أنعم منها ، قالها ثلاثا ، وانى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر . (٤)

وعن الحسن فى قوله (ولحم طير مما يشتهون) قال : لا يشتهى منها شيئا الا صار بين يديه ، فيصيب منه حاجته ثم يطير فيذهب. (٥)

وهذه الآيات والأحاديث تصور لنا صفة اللحوم التى يطعمها عباد الله فى دار كرامته ، وهى لحوم الطير الكبار السمان ، لذيذه شهية ناعمة ، تكون أشهى وألذ مما يتصوره العقل البشرى ، وأنعم مما يعتاده الانسان من لحوم الدنيا بحيث يستسيغها الآكل بلذتها ونعومتها . أما تلك الفواكه فقد تقدم ذكرها فى الكلام على أشجار الجنة.

---

(١) سورة المراسلات آية ٤١ ـ ٤٣
(٢) سورة الواقعة آية ١٧ ـ ٢١
(٣) سورة البقرة آية ٢٥
(٤) المسند للامام أحمد ج ٣ ص ٢٢١
(٥) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٥٥

وهذا الطعام يتناولـه أهل الجنـة اما باحضار الولدان هذا الطعـام لهم ، كما قال تعالى : " يطوف عليهم ولدان مخلدون الى قوله تعالى ولحـم طـير مما يشتهون . " ، واما أن يتناولوه هم أنفسهم باقتطاف الثمر من أغصـان الشجـر بأسهل الطريقة كيفما يشاءون . قال تعالى : " ودانية عليهم ظلالهـا وذللت قطوفها تذليلا . " (١) ؛ واما بحضور هذا الطعام نفسه أمام الرجـل بدون سعى منه ولا كد ؛ كما فى حديث عبد الله ابن مسعود ، قال ، قال لـى رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخـر بين يديك مشويا . (٢)

وبجانب ذلك ، فقد ضمن الله سبحانه لأهل الجنـة أن لاينقطع عنهم طعامهم كما ينقطع عنهم فى الدنيا . قال تعالى : " أكلها دائم وظلها . " (٣)

١٧ـ شراب أهل الجنـة :

تقدمت الآيات التى عددت بعض أنواع الأشربـة لأهل الجنـة ، مجموعـة فى قوله تعالى : " مثل الجنـة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . "

وهذه الأشربة خلطت بأشياء تزيد لشاربها استساغا والتذاذا ، كالكافـور والزنجبيل والمسك . قال تعالى : " ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجهـا كافورا . " (٤) وقال سبحانه : " ويسقون فيهـا كأسا كان مزاجها زنجبيـلا عينا فيها تسمى سلسبيلا . " (٥) وقال جلت قدرته : " يسقون من رحيق مختـوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجـه من تسنيم عينا يشرب بهـا المقربون . " (٦)

---

(١) سورة الانسان آيـة ١٤
(٢) ذكره السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) ج ٦ ص ١٥٥
(٣) سورة الرعد آية ٣٥ (٤) سورة الانسان آية ٥
(٥) سورة الانسان آية ١٧ ـ ١٨ (٦) سورة المطففين آية ٢٥ ـ ٢٨

قال ابن القيم : فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ، بالكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فان في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ، ومجيء أحدهما على اثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر ، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة ، والزنجبيل في آخرها ، فان شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله ، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى ، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور ، و (الثاني) مزج بزنجبيل . (١)

وأما قوله تعالى : " يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك " فعن ابن مسعود في قوله " رحيق مختوم " قال : الرحيق الخمر ، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك ، وفي قوله (ختامه مسك) قال : ليس بخاتم يختم به ولكن خلطه مسك ، ألم تر الى المرأة من نسائكم تقول : خلطه من الطيب كذا وكذا . (٢)

وأما قوله تعالى : " ومزاجه من تسنيم " فقال عطاء : التسنيم اسم العين التي تمزج بها الخمر . وقال ابن عباس : التسنيم أشرف شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمقربين ، ويمزج لأصحاب اليمين . (٣) وعن مالك بن الحارث في الآية قال : هي عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة . (٤)

وعندما يؤتى أهل الجنة بإناء من الشراب ، فانما يؤتونه على قدر ريهم بحيث لا يزيد عليه ، ولا ينقص منه . قال تعالى : " قوارير من فضة قدروها

---

(١) حادي الأرواح ص١٢٦
(٢) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص٣٢٨
(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

تقديرا . " (١) قال جماعة من المفسرين : التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه. هذا أبلغ فى لذة الشارب ، فلو نقص عن ريه نقص التذاذ ، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقى . (٢) وقال الفراء : قد روا الكأس على قدر رى أحدهم لافضل فيه ولا عجز عن ريه ، وهو ألذ الشراب. (٣)

وورد فى حديث صحيح أن الرجل من أهل الجنة يعطى مقدار قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة ، وأنه لا يحدث له مثل مايحدث لأهل الدنيا من الأقذار والنجاسات والأذى على أثر هذه الأشياء ، وانما تكون الحاجة بعد الشرب والأكل جشاء ورشحا تفوح منهما رائحة طيبة كريح المسك .

عن جابر قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان أهل الجنة يأكلون فيها ، ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون . قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس . (٤)

وعن زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم ، والذى نفس محمد بيده ان أحدهم يعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال : فان الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه . (٥)

---

(١) سورة الانسان آية ١٦

(٢) حادى الأرواح ص١٣٣ ـ نقلا عن جماعة من المفسرين .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة ، نقلا عن الفراء .

(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص٢١٨٠

(٥) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٣٣ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م .

وقد جعل الله تبارك وتعالى شراب أهل الجنة من الخمر وغيرها من الأشربة المذكورة صافية طهورا ، ونفى عنها كل ما يحدث لشارب خمر الدنيا من الصداع ، ووجع البطن ، وذهاب العقل .

قال تعالى : " وسقاهم ربهم شرابا طهورا . " (١) وقال سبحانه : يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون " (٢) وقال جل وعلا : " يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون . " (٣)

واذا كانت هذه الأشربة والخمر بوجه خاص ، على هذه الصفات التي بينتها الآيات الكريمة ، فلاشك أن شاربها بعيد من أن يصدر منه مثل مايصدر من شارب خمر الدنيا من التصرفات السيئات كاللغو وارتكاب الفواحش . قال تعالى : " يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . " (٤)

تلك هي حال أهل الجنة ، يأكلون ما تشتهيه نفوسهم من اللحوم الشهية ، والثمار اللذيذة ، ويشربون من كل أنواع الأشربة الطاهرة السائغة اللذيذة على قدر ربهم ، ثم يكون ذلك رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك الطيب الرائحة ، فتضمر بطونهم كما كانت ثم يشتهون الطعام والشراب .

١٨ ـ الأواني التي يأكل فيها أهل الجنة ويشربون :

أخبر المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن الأواني التي يأكل فيها أهل الجنة ويشربون ، خلقت من مادة فضية وذهبية ، فالصحاف ـ وهي جمع الصحفة ، هي قصعة مسلنطحة عريضة ـ يأكلون فيها والأكواب والأباريق التي يشربون فيها كانت من الذهب والفضة .

---

(١) سورة الانسان آية ٢١
(٢) سورة الواقعة آية ١٧ ـ ١٩
(٣) سورة الصافات آية ٤٥ ـ ٤٧
(٤) سورة الطور آية ٢٣

قال الله سبحانه : " يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ." (١) وقال تعالى : " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ." (٢)

والأباريق هى الأكواب التى لها خراطيم ، فان لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهى أكواب . وابريق من البريق وهو الصفاء ، فهو الذى يبرق لونه من صفائه ، وأباريق الجنة من الفضة فى صفاء القوارير ، يرى من ظاهرها مافى باطنها . (٣)

يقول المولى سبحانه : " يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير ، قوارير من فضة قدروها تقديرا " (٤)

قال ابن القيم : فالقوارير هى الزجاج ، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة ، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته ، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها ، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال (قوارير من فضة) (٥)

وقد تقدم حديث عبد الله بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، الحديث.

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة ، وفيه " آنيتهم فيها الذهب" (٦) وعن حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافهما ، فانها لهم فى الدنيا ، ولنا فى الآخرة. (٧)

---

(١) سورة الزخرف آية ٧١
(٢) سورة الواقعة آية ١٧ ـ ١٨
(٣) انظر حادى الأرواح ص١٣٢
(٤) سورة الانسان آية ١٥ ـ ١٦
(٥) حادى الأرواح ص١٣٣
(٦) صحيح البخارى ج ٤ ص١٤٣
(٧) نفس المصدر ج ٧ ص٩٩

١٩ ـ لباس أهل الجنة وحليهم وتيجانهم :

اذا كان الناس يلبسون فى الدنيا من ألوان اللباس ، وأنواع الحلى التى يتجملون بها ، فأهل الجنة أولى بذلك ، لأنهم فى دار أحسن من هذه الدار ، وكل مافى تلك الدار من أنواع النعيم ، سواء كانت مادية أو روحية ، يفوق كل مافى هذه الدار من نعمها .

ولباس أهل الجنة هو ذلك النوع الذى يجمع بين الجمال ، وحسن اللون ، والنعومة . قال تعالى : " ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين . " (١) وقال سبحانه : " ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا . " (٢) وقال جل شأنه : " ولباسهم فيها حرير . " (٣)

قال جماعة من المفسرين : السندس مارق من الديباج ، والاستبرق ما غلظ منه . (٤) وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به ، وبين نعومته ، والتذاذ الجسم به . (٥)

وهذه الثياب التى يلبسها أهل الجنة لا تقدر بأثمان الدنيا ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، قال قلت يا رسول الله ، وما النصيف ؟ قال الخمار .

وفى حديث أنس بن مالك عند البخارى ، " ولو أن امرأة من أهل الجنة

---

(١) سورة الدخان آية ٥١ ـ ٥٣
(٢) سورة الكهف آية ٣١
(٣) سورة الحج آية ٢٣
(٤) انظر تفسير الفخر الرازى ج ٢٧ ص ٢٥٣ ، وتفسير البيضاوى ج ٥ ص ٦٩
(٥) حادى الأرواح ص ١٣٥

أطلعت الى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها • (١)

وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه اللباس البلى ، فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه • (٢)

وجانب هذه اللباس أنواع من الحلى والتيجان ، قال تعالى : " أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب" (٣) ، وقال سبحانه : " ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ، ولؤلؤا " (٤)

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة فقال : مسورون بالذهب والفضة ، مكللون بالدر ، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كتاج الملوك ، جرد مرد مكحولون • (٥)

وعن أبى هريرة أيضا عند البيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، واذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجا ، فقال يارب ، كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا الا فلانا كان يقوم فى آناء الليل وأطراف النهار ، فيحل حلالى ويحرم حرامى ، يقول يارب فأعطه ، فيتوجه الله تاج الملوك ، ويكسوه من حلة الكرامة ، الحديث ، (٦)

---

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٢١٨١
(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٨١
(٣) سورة الكهف آية ٣١
(٤) سورة فاطر آية ٣٣
(٥) ذكره السيوطى فى تفسيره الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٥٢
(٦) البيهقى

وعن أبى هريرة عند الترمذى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ، فيقول : أبشروا فان لكل رجل منكم مثل هذا ، الحديث (١)

وهذه النعم المذكورة فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من القصور والغرف والأشجار والأنهار والطعام والشراب والأوانى واللباس والحلى وغيرها من أنواع النعيم التى أعد الله تعالى لعباده الصالحين فى دار كرامته ، تختلف عما فى الدنيا من شتى نعيمها ، فلم يكن بينهما من التشابه الا فى الأسماء فقط لا فى حقيقة كنهها ، كما قال ابن قتيبة ، كل مافى الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد . (٢) وقال ابن عباس : ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة الا الأسماء . (٣)

٢٠ ـ خدم أهل الجنة وغلمانهم :

ولأهل الجنة خدمهم الذين يخدمونهم فيها ، قال تعالى : "يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين" (٤) وقال تعالى : "ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ." (٥)

وقد وصف تبارك وتعالى هؤلاء الخدم بأنهم غلمان لم يبلغوا سن الرجال مع صفائهم وحسنهم وجمالهم مثل اللؤلؤ المنثور ، وهم لا يكبرون ، ولا يهرمون ولا يتغيرون ، وهذا مما يزيد أهل الجنة بهجة وفرحا ، حيث لا يتوقعون من غلمانهم العجز عن أية خدمة يقدمونها لهم .

---

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٠٢
(٢) حادى الأرواح ص ١٣٣ نقلا عن ابن قتيبة .
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ١ ص ٣٨
(٤) سورة الواقعة ، آية ١٧ ـ ١٨
(٥) سورة الانسان ، آية ١٩

وقد قيل أن هؤلاء الغلمان هم أولاد المسلمين الذين ماتوا صغارا ،كما روى عن على ـ كرم الله وجهه ـ ، والحسن البصرى ،قالا : الولدان ها هنا أى فى قوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون) ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا . وقيل انهم أطفال المشركين ،كما روى عن سلمان الفارسى ، اذ قال : أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة . وزاد عليه الحسن : لم يكن لهم حسنات يجزون بها ، ولا سيئات يعاقبون عليها ، فوضعوا فى هذا الموضع.(١)

ولعل هاتين الروايتين عن هذين الصحابيين الجليلين لم تصحا عنهما ، ذلك لأن ولدان أهل الدنيا يكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين سنة لحديث المقدام رضى الله عنه عند البيهقى باسناد حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مامن أحد يموت سقطا ولا هرما ، وانما الناس فيما بين ذلك الا بعث ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فان كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم ، وصورة يوسف ، وقلب أيوب ، ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال . (٢)

وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات من أهل الجنة من صغير أوكبير يردون بنى ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة فى الجنة لايزيدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار . (٣)

وأيضا فان من تمام اكرام الله تعالى لأهل الجنة أن يجعل أولادهم مخدومين مثلهم اذا أدخلهم الله تعالى الجنة ، فلا يجعلهم سبحانه خدما يخدمون غيرهم على مرئى آبائهم وأمهاتهم ، وهذا لا يناسب لما عليه أهل الجنة من تمام الفرحة والسرور ،حيث يرون أولادهم على حال غير حال آبائهم من كمال النعيم والسعادة.

---

(١) راجع تفسير القرطبى ج ١٧ ص ٢٠٣
(٢) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٥٠١
(٣) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٨٣

ومن ثم ، فهؤلاء الخدم هم غلمان أنشأهم الله تعالى فى الجنة كما أنشأ فيها الحور العين.

وأما أطفال المسلمين ، وأطفال المشركين الذين ماتوا صغارا فليس لنا أن نجزم مصيرهم فى الآخرة كما هو مقتضى حديث عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : قلت : يارسول الله ، ذرارى المؤمنين ؟ فقال : من آبائهم ، فقلت : يارسول الله ، بلا عمل ، قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : يارسول الله ، فذرارى المشركين ، قال : من آبائهم ، فقلت ، بلا عمل ، قال : الله أعلم بما كانوا عاملين. (١)

وأخرج البخارى وأبو داود والنسائى ، عن عائشة قالت : توفى صبى ، فقلت : طوبى له ، عصفور من عصافير الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : أولا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة ، وخلق النار ، فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا ، وفى رواية ، خلقهم لهما وهم فى أصلاب آبائهم. (٢)

وعن الزهرى قال : أخبرنى عطاء بن يزيد الليثى أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه ، يقول ، سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين. (٣)

وقال ابن تيمية بعد أن سرد الأقوال عن أطفال المشركين : والصواب أن يقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار. (٤)

---

(١) سنن أبى داود ج ٤ ص ٣١٦

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

(٣) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٥

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥

٢١ـ نساء أهل الجنة وصفتهن :

قال الله تعالى : " وزوجناهم بحور عين " (١) وقال سبحانه : " كذلك وزوجناهم بحور عين " (٢)

لقد أعد الله تبارك وتعالى لأهل الجنة أزواجا سماهن بحور عين. فالحور جمع حوراء ، وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين ، والعين جمع عيناء ، وهى العظيمة العين من النساء . ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى الطول ، وضيق العين فى المرأة من العيوب. (٣)

فالشبابة والحسن والجمال والبياض ،وشدة سواد العين وبياضها من صفات نساء أهل الجنة ، فهن شابات ،حسناء ،جميلات ،بجانب كونهن أزواجا مطهرة بكل معانى الطهر التى تشمل كل جوانب المرأة الجسدية والنفسية. قال تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون " (٤)

وقد طهرن ،بتطهير الله تعالى اياهن ، من جميع العيوب والنقائص الظاهرة والباطنة التى تلحق بالنساء فى الدنيا ، فهن قد طهرن من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط وغيرها ، كما طهرن من الأخلاق السيئة ، والتصرفات الذميمة كالكلام الفاحش ، والغيبة ، والنميمة ،والحسد والضغينة ، والبغض على الآخرين ، وغير ذلك مما ينبثق من القلب من التصرفات السيئة التى تخالف كل معانى الطهر فى الآية الكريمة.

وان هذا الجمال الأخروى الذى أعطاه الله تعالى لنساء الجنة ، يفوق كل ما يعهده البشر من جمال نساء الدنيا . فالذى جاء به القرآن من صفات الحور ، انما هى للتقريب الى أفهام البشر ، لا على حقيقة كنه جمالهن.

(١) سورة الطور آية ٢٠
(٢) سورة الدخان آية ٥٤
(٣) انظر حادى الأرواح ص١٥٠
(٤) سورة البقرة آية ٢٥

فاللغات البشرية انما وضعت للتعبير عن الأشياء الأرضية التى يعهدها الانسان . (١) ولكى يتوصل الانسان الى معرفة هذا الجمال الأخروى ، وصف له بمثل الصفات المعهودة لدى الانسان التى تراها العيون حتى يكون على معرفة ذلك على وجه التقريب لا على حقيقة كنهه . فقال تعالى : " كأنهن الياقوت والمرجان . " (٢)

والياقوت هو من أحسن الأحجار الكريمة ، وهو صلب رزين شفاف تختلف ألوانه . والمرجان صغار اللؤلؤ . (٣) وشبه صفاء جلدهن وبياضه بصفاء الياقوت ، وبياض المرجان ليتوصل بذلك الانسان الى ادراك ذلك الوصف الجميل على وجه التقريب.

ويؤيد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، وفيه : ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن . (٤) ولشدة صفاء جلدهن وبياضه ، فان مخ ساقهن يرى بالعين من وراء ثيابهن مع كثرتها على أجسادهن .

ومع ذلك فقد جعلت رقة جلدهن كرقة بياض البيض مما يلى القشرة مع كون ثديهن نواهد وكواعب بحيث لا تكون متدلية الى أسفل كما يحدث لنساء الدنيا .

قال تعالى : " كأنهن بيض مكنون " (٥) وقال تعالى : " فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين " (٦) وقال جل شأنه : " ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا " (٧) فهن أبكار شابات متساويات فى السن .

---

(١) انظر يوم القيامه لعبد الرزاق نوفل ص ١٤٦
(٢) سورة الرحمن آية ٨ .
(٣) انظر الصحاح فى اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهرى ج ٢ ص ٧١٩
ومختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ص ٦٢٠ ، وتفسير الفخر الرازى ج ٢٩ ص ١٣٠
(٤) فى الصحيحين واللفظ لمسلم ج ٤ ص ٢١٨٠ (٥) سورة الصافات آية ٤٩
(٦) سورة الواقعة آية ٣٦ (٧) سورة النبأ آية ٣٢

قال ابن عباس وسائر المفسرين : مستويات على سن واحد وميلاد واحد ، بنات ثلاث وثلاثين سنة • (١)

وقد جعلهن الله تعالى أزواجا متعشقات ومتحببات الى أزواجهن ، فلا يطمحن، ولا يملن الى غيرهم ، وانما قصرن حبهن على أزواجهن ، كما قصرن نظرتهن عليهم قال تعالى : " وعندهم قاصرات الطرف عين " (٢)

وقد جعلهن الله تعالى منذ أن خلقهن فى الخيام حتى يعلم الانسان أن هؤلاء الحور فى غاية الحفظ والصيانة ، فلم يتعرضن لما تتعرض له نساء الدنيا من كثرة التبرج والتظاهر أمام الوجوه الضاحكة ، والعيون السافرة • قال تعالى : " حور مقصورات فى الخيام " (٣) كما أن هؤلاء الحور الحسان قد صانهن الله تعالى من الانس والجن فلم يمسوهن نكاحا أو غير نكاح قبل أن يلقاهن أزواجهن • قال تعالى : " لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان " (٤)

ووردت أحاديث تصفهن بأوصاف تحير العقول البشرية ، وتبعث العجب الى الأذهان من غاية جمالهن وحسنهن ، وطيب رائحتهن ، فمنها حديث رواه أنس بن مالك ، وفيه : ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت الى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها • (٥)

وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك بأن الله يقول : كأنهن الياقوت والمرجان ، فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه (٦)

---

(١) انظر حادى الأرواح ص١٥٢ ، وتفسير الطبرى ج ٢٩ ص١٢ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٩ هـ • والقرطبى ج ١٧ ص٢١٠ — ٢١١
(٢) سورة الصافات آية ٤٨ (٣) سورة الرحمن آية ٧٢
(٤) نفس السورة آية ٥٦ (٥) صحيح البخارى ج ٤ ص٢١
(٦) سنن الترمذى ج ٤ ص٦٧٦

وقد تقدم حديث أبى هريرة ، الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : " ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن .

أما عدد الزوجات لكل واحد من أهل الجنة ، فهذا الحديث الذى فى الصحيحين يدل على أن لكل واحد منهم زوجتين ، ولكن هناك أحاديث أخرى تصرح بأكثر من اثنتين ، كحديث أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة ، الحديث (١)

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن أحد يدخله الله الجنة الا زوجه الله عز وجل ثنتين وسبعين زوجة ، الحديث (٢).

أما حديث أبى سعيد الخدرى فقد قال فيه الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين (٣) ، وأما حديث أبى أمامة فهو حديث ضعيف .

ولكن ليس معنى ذلك أن عدد الزوجات لكل من يدخل الجنة مقصور على العدد الذى ورد فى الأحاديث الصحيحة ، أو على العدد الذى بينته الأحاديث الضعيفة ، لأن هناك حديثا صحيحا يدل على زيادة العدد المذكور فى الأحاديث الصحيحة ، غير أنه لم يحدده كما فى الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس المتقدم ، وفيه : للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم المؤمن لايرى بعضهم بعضا .

قال ابن حجر فى الفتح : والذى يظهر أن المراد (أى من ورود الزوجتين فى الأحاديث الصحيحة) أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان . (٤) أما العدد المعين لزوجات كل واحد منهم فلم يرد فيه حديث صحيح سوى مافى الصحيحين من حديث أبى هريرة المتقدم . (٥)

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٩٥ (٢) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٥٢
(٣) انظر فتح البارى ج ٦ ص ٣٢٥ (٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٥) انظر حادى الأرواح ص ١٦٠

٢٢ ـ مراكب أهل الجنة :

ومن أنواع النعيم التى يتمتع بها المؤمنون فى الجنة ما أعد الله تعالى لهم فيها من الخيول والابل التى يركبونها ، ويتزاورون عليها ، ويستخدمونها فى بعض متعهم كما كانوا فى الدنيا .

عن سليمان بن يزيد عن أبيه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، هل فى الجنة من خيل ؟ قال : ان الله أدخلك الجنة ، فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت . قال : وسأله رجل فقال : يارسول الله ،هل فى الجنة من ابل ؟ قال : فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه ، قال : ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك . (١)

وعن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه بمعناه. (٢) قال أبو عيسى الترمذى : وهذا أصح من حديث المسعودى . أحد رواة الحديث المتقدم.(٣)

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم فرس أهل الجنة بأنه من ياقوتة حمراء ، يطير بصاحبه حيث شاء فى الجنة . ولا مانع أن يكون هذا الفرس له قدرة على السير بصاحبه كما له القدرة على الطيران ، وهذا مما يمتاز به فرس الجنة عن فرس الدنيا وخيلها ، لأنه لم يمنح القدرة على الطيران كما منحت لفرس الجنة وخيولها .

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٨١
(٢) نفس المصدر والجزء ص ٦٨٢
(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

كل ما عرضنا من أنواع النعيم التى سوف تكون فى حوزة عباد الله الصالحين فى دار كرامته ، انما هو من قبيل المتع المادية التى ينكرها بعض الناس، والاسلام برئ من هذا الانكار كما سيأتى بيان ذلك مفصلا باذن الله تعالى •

وقد رأينا كيف كان القرآن الكريم والسنة المطهرة يعرضان هذا النوع المادى من السعادة الأخروية على الصورة التى كأنها ماثلة أمام العيون لدرجة أن الانسان المنصف لا يستطيع أن ينكرها أو يفسرها بمجرد التمثيل المزعوم •

ولسوف نرى الآن الجانب الروحى من تلك السعادة السماوية ، وكيف أنه يسير دائما مع الجانب المادى منها جنبا الى جنب•

٢٣ ـ رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة :

ان قضية الرؤية لمن أهم المسائل الهامة فى العقيدة الاسلامية ، حيث انها لأعظم النعم الأخروية التى يجدها المؤمنون فى نفوسهم يوم ان يتجلى لهم ربهم سبحانه فى الآخرة •

وهذه النعمة الكبيرة ، والرحمة العظيمة تستوجب أن يتنافس اليها المتنافسون ، وان يشمروا لها المشمرون حتى لا يحرموا أنفسهم من تلك النعمة التى تفوق كل النعم فى دار النعيم•

وقد بين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث صهيب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون :

الم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ،فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل • (١)

أ ـ الخلاف الوارد فى الرؤية :

والرؤية ثابتة فى العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ومن ثم يرى أهل السنة والجماعة أن المؤمنين سوف يرون ربهم سبحانه يوم القيامة مستندين فى ذلك الى الأدلة النقلية والعقلية والاجماع•

ولكن المعتزلة ومن نحا نحوهم من الخوارج والجهمية والامامية ينكرون الرؤية بدعوى أنها من المستحيلات التى يتنزه الله تبارك وتعالى عنها ، وهم يعتمدون كذلك فى مذهبهم على الأدلة النقلية والعقلية • (٢) وفيما يلى بيان تفصيل هذا الخلاف بقدر ما يتسنى لذلك•

ب ـ أدلة مثبتى الرؤية :

١ ـ الدليل العقلى على امكان رؤية الله تعالى :

قال المثبتون : ان الرؤية أمر وجودى لا يتعلق الا بموجود ، وماكان أكمل وجودا كان أحق أن يرى ، فالبارى سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه•• (٣)

٢ ـ الدليل النقلى على جوازها :

أما دليلهم على جواز الرؤية نقلا ، فهوطلب موسى عليه السلام ان يرى ربه سبحانه حين يكلمه كما فى قوله تعالى : " رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا " (٤)

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٣

(٢) انظر المواقف ج ٨ ص ١١٥ ، والفتح ج ١٣ ص ٤٢٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٢

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية اختصره الشيخ محمد الموصلى بتصحيح زكريا على يوسف ج ١ ص ٢٢٣

(٤) سورة الاعراف آية ١٤٣

ووجه الاحتجاج بهذه الآية من وجوه :

الأول : ان سؤال موسى عليه السلام لرؤية ربه تعالى قد وقع ، ولو كانت رؤيته تعالى ممتنعة لاستحالتها لما فعل ذلك موسى عليه السلام ، لأنه لا يخلو حينئذ حال موسى عليه السلام من أمرين : اما أن يكون على علم باستحالتها ، واما على جهل بها ، فان كان عالما بها ، فلا يجوز للعاقل بل النبى أن يطلب المحال لعدم جدواه . وان كان جاهلا بها فمعناه أنه لا يعلم بما لا يجوز على الله تعالى ، واذا كان شأنه كذلك فلا يمكن أن يكون نبيا ، بل ينبغى أن لا يصلح للرسالة الالهية ، اذ الغرض منها الدعوة الى العقائد الحقة والأعمال الصالحة ، فلاشك أن هذه المهمة الكبرى لاتصلح الا للعاقل العالم المزود بكل ما تحتاج اليه الرسالة .

الوجه الثانى : أن الله تعالى لما سأله موسى رؤيته فأجابه الله تعالى بقوله : " لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى . " فعلق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل ، ومعلوم أن استقراره أمر ممكن فى ذاته ، وما علق على الممكن فهو ممكن اذ لو كان ممتنعا لأمكن صدق الملزوم بدون صدق اللازم . (١)

الوجه الثالث : واذا جاز أن يتجلى سبحانه للجبل مع كونه جمادا ليس له مسئولية تؤهله فى الوصول الى منزلة عالية ، فكيف يمتنع أن يتجلى سبحانه لرسله الذين أختارهم الله تعالى لحمل مسئولية الرسالة ، ولأوليائه المؤمنين الصادقين فى دار كرامته ؟ ولكن الله تعالى أعلم نبيه موسى عليه السلام أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته تعالى رغم ضخامته وصلابته ، فالبشر أضعف وأولى بعدم تحمله الرؤية فى هذه الدار . (٢)

---

(١) راجع المواقف ج ٨ ص ١١٥

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٤ طبعة ثالثة .

اعتراض النفاة :

اعترض النفاة على استدلال المثبتين بطلب موسى عليه السلام لرؤية ربه سبحانه فى قوله تعالى : " رب أرنى أنظر اليك " بأن الرؤية فى الآية بمعنى العلم لا بمعنى المعاينة بالأبصار • فموسى عليه السلام لم يطلب الرؤية بهذا المعنى ، وانما طلب أن يعلمه ربه ذاته ضرورة ، فكأنه عليه السلام قال : رب أعلمنى ذاتك ضرورة مع بقاء التكليف • (١)

ولكن هذه الدعوى لاترضى منكرى مدرسة القاضى عبد الجبار حيث يقولون : ان الرؤية اذا كانت بمعنى العلم ، فانها لا تتعلق بالنظر ، ولما علقت بالنظر فى هذه الآية فانها لا تعنى العلم • ولذلك عدلوا عن معنى الظاهر للآية الى التأويل المزعوم فقالوا :

ان هذا السؤال الوارد فى الآية لم يكن سؤال موسى نفسه وانما كان سؤالا لقومه بدليل قوله تعالى فى السورة الأخرى : " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة • " (٢) قالوا : فسؤالهم الرؤية لله تعالى فى هذه الآية دليل على أن سؤال موسى كان لقومه لا لنفسه•

وأما اضافة الرؤية لنفسه فى سؤاله فذلك لأنه كان امام قومه ، فهو يتكلم ، ويسأل ربه الرؤية نيابة عنهم علما منه عليه السلام بأن ما يأتى من جهة الله تبارك وتعالى من الجواب أوقع وأشد تأثيرا فى نفوس قومه الذين أرادوا رؤية الله تعالى •

---

(١) انظر كتاب (من تراث المعتزلة فى التوحيد) لأبى رشيد سعيد بن محمد النيسابورى ص٦٠٦

(٢) سورة النساء آية ١٥٣

وأيضا لا يجوز أن يقال أن موسى عليه السلام كان جاهلا بالله تعالى ، ويما لا يجوز عليه سبحانه كالرؤية ، وانما لم يكن هو عالما بحال نفسه ، فهل يمكن أن يرى القديم تعالى أولا .

وأما أن الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل .. فهو تعليق على مالم يحصل ، وعلى هذا فلا يمكن أن تكون . (١)

الجواب :

يجاب على هذا الاعتراض بأن الرؤية الواردة فى قوله تعالى : " رب أرنى أنظر اليك " ليست بمعنى العلم ، وانما هى بمعنى المعاينة والمشاهدة بالأبصار — كما قرر هذا المعنى مفكرو مدرسة عبد الجبار — ولا سيما أن الرؤية قد أسندت الى الوجه الذى هو محل آلة البصر ، فلا يحتمل الا الرؤية البصرية .

كما أن السؤال لم يكن سؤال قوم موسى عليه السلام ، وانما كان سؤاله هو كما هو ظاهر الآية ، ومعلوم أن العدول عن الظاهر بدون قرينة خالية عن الاحتمال ، لا يجوز .

أما الآية التى احتجوا بها على كون السؤال سؤال قومه ، وهى قوله تعالى : حكاية عن القوم (أرنا الله جهرة) فلا تنهض دليلا صحيحا على ذلك ، لأن هذا السؤال وقع من أنفسهم تعنتا وجحودا منهم ، وسؤال موسى عليه السلام حصل له هو عندما كان يكلمه ربه سبحانه بجانب الطور الأيمن .

أما كون موسى عليه السلام يعبر عن ارادة قومه لكونه اماما لهم مع علمه بأن ما أرادوا غير جائز لهم ، فهذا لا يناسب المقام ، اذ يمكن لموسى عليه السلام

---

(١) راجع تراث المعتزلة ص ٦١٠ — ٦١١

أن يقول لهم مباشرة بأن طلبهم الرؤية لا يجوز بالنسبة لهم ، لأنهم يعرفون صدق موسى ، وأنه نبي مرسل اليهم ،فلا تحتاج الحال اذن الى ان يسأل ربه الرؤية تعبيرا عن ارادة قومه ، ونيابة عنهم.

أما كون موسى عليه السلام لم يكن عالما بحال نفسه ، وهل يمكن له رؤية القديم تعالى ، او لا يمكن ، فهذا لا يعتمد عليه اذ لا دليل لهم على صحته. وقد سبق أن قلنا بأن مثل هذه الحال ، لاتصلح لمقام الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله عز وجل لدعوة الناس الى معرفة الله تبارك وتعالى ، وما يجوز عليه سبحانه ، وما لا يجوز .

أما أن الله تعالى قد علق الرؤية على مالم يحصل ، مع كون هذا دليلا على أن الرؤية لاتكون ، فلا يدل هذا على عدم امكان ما علق عليه ، فقد قدمنا أيضا أن استقرار الجبل الذى علق عليه الرؤية أمر ممكن فى ذاته ، وما علق على الممكن فهو ممكن ليتوافق صدق الملزوم مع صدق اللازم.

٣ـ الأدلة النقلية على وقوع الرؤية :

أولا : الكتاب :

أما أدلة المثبتين على وقوع الرؤية من الكتاب فمنها قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (١) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن " النظر " اذا تعدى بأداة (الى) فمعناه المعاينة والمشاهدة بالأبصار ، كما فى قوله تعالى : " أنظروا الى ثمره اذا أثمر " (٢) واذا تعدى ب (فى) انصرف معناه الى التفكر والاعتبار ، كما فى قوله تعالى : " أولم ينظروا فى ملكوت

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢
(٢) سورة الأنعام آية ٩٩

السموات والأرض " (١) أى أولم يتفكروا ويعتبروا فى ملكوت السموات والأرض ، واذا تعدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كما فى قوله تعالى : " أنظرونا نقتبس من نوركم " (٢) أى انتظرونا لكى نقتبس من نوركم.

ولما ورد (النظر) فى الآية الأولى متعديا بأداة (الى) وكان خاليا عن قرينة صارفة عن معناه الأصلى ، وهو المعاينة بالأبصار ،دل ذلك على أن المولى سبحانه أراد بذلك النظر بالعين الى وجهه الكريم. ويؤكد هذا المعنى كون النظر فى الآية مضافا الى الوجه الذى هو محل آلة النظر، لأن (النظر) اذا أسند الى الوجه ، فلا يحتمل الا الرؤية البصرية. (٣)

اعتراض النفاة على الاستدلال بالآية :

قالت النفاة ردا على الاستدلال بالآية أن (النظر) الوارد فيها ليس معناه الرؤية ، لأن هناك فرقا بين اللفظين ، فالنظر هو عبارة عن تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى التماسا لرؤيته ، والرؤية هى الادراك للمرئى كنتيجة لاتجاه الحاسة نحوه . وعلى ذلك فهم يقولون أنه لا يلزم أن يكون (النظر) مؤديا الى الرؤية ، فكثيرا ما ينظر الانسان ولكن لايرى. (٤)

ومن ثم جاء تأويلهم للآية فقالوا : ان المراد بالنظر هو الانتظار ، ومعنى الآية عندهم هو : وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها منتظرة ، فجعلوا (الى) بمعنى النعمة ، لأن (الى) مفرد الآلاء . هذا هو التأويل الأول .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٥
(٢) سورة الحديد آية ١٣
(٣) راجع الروضة الندية ، شرح العقيدة الواسطية لزيد بن عبد العزيز بن فياض ص١٦٠ وشرح العقيدة الواسطية ص١٤٣ ، وشرح قصيدة النونية ج ٢ ص٧٦٨
(٤) راجع (تراث المعتزلة فى التوحيد) ص١٠٦

والتأويل الثانى : هو أن المراد بالنظر ، هو تقليب الحدقة نحو المرئى ، ومن هنا يفهمون من الآية كأن الله تعالى يقول : وجوه يومئذ ناضرة الى ثواب ربها ناظرة ، وقالوا : ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد غيره .

الجواب :

يرد على ذلك أن (النظر) يكون بمعنى الانتظار اذا تعدى بنفسه كما مر ، ولكن اذا تعدى بأداة (الى) كما فى تلك الآية فلا يحتمل الا الرؤية البصرية كما جاء فى الآية السابقة وهى قوله تعالى : " انظروا الى ثمره اذا أثمر " ، وقد ورد النظر فى هذه الآية مجردا عن اضافته الى الوجه ، ومع هذا لم يحتمل معنى آخر سوى الرؤية بالعين ، فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر ؟ .

وهذه التأويلات التى جاء بها المعتزلة ، ومن نحا نحوهم ، تخالف ظاهر الآية التى تصرح بأن الله تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة ، كما فسرها بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله لمن ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (١)

وهذا التفسير منه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعلم الناس بكتاب الله تعالى ، فلا يصح للمسلم أن يتعلق بتأويلات الرجال ، ويترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٨٨

ومن أدلتهم من الكتاب قوله تعالى في سورة يونس : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (١) فالحسنى في هذه الآية الجنة ، والزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى ٠ (٢) وقد جاء هذا التفسير من الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق الذى رواه مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل ؛ ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (٣) ٠

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة ق : " لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ٠" (٤) والمزيد المذكور في الآية هو النظر الى وجه الله تبارك وتعالى ، كما فسره بذلك المفسرون ٠ (٥)

ومما احتجوا به أيضا قوله عز وجل : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٦) ووجه الاحتجاج به أن الله تعالى حرم الكفار من الرؤية عقوبة لهم بسبب كفرهم وعنادهم ، فلو لم يره المؤمنون يوم القيامة ، لكانوا محرومين من تلك النعمة الكبرى مثل الكفار ، فيلزم بذلك المساواة بين حال المؤمنين وحال الكفار ؛ وهذا لا يقع في الآخرة ٠ فدل ذلك على أنهم سيرون ربهم سبحانه ، رحمة منه تعالى وفضلا ٠

---

(١) سورة يونس آية ٢٦

(٢) انظر تفسير المراغي ج ٤ ص ٩٥ ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٤هـ ٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت وتفسير القاسمي للعلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ج ٩ ص ٣٣٤١ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨هـ بدار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ٠

(٣) سبق ذكرنا لهذا الحديث (٤) سورة ق آية ٣٥ (٥) انظر فتح القدير ج ٥ ص ٧٩

(٦) سورة المطففين آية ١٥

وقد روى عن الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه احتج بهذه الآية على صحة وقوع الرؤية يوم القيامة . قال : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا .

وقال الزجاج : فى هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى فى القيامة ، ولولا ذلك ما كان فى هذه الآية فائدة ، ولاخست منزلة الكفار بأنهم يحجبون. وقال مالك بن أنس فى هذه الآية : لما حجب اعداءه فلم يروه ،تجلى لأوليائه حتى رأوه . (١)

اعتراض النفاة :

اعترض النفاة على الاستدلال بهذه الآية فقالوا : أن هذا استدلال بدليل الخطاب ، والاستدلال بدليل الخطاب فى الشرعيات لا يجوز ، فكيف يصح الاستدلال به فى العقليات.

ومعنى الآية عندهم أن الكفار محجوبون عن ثواب الله ، وليس أن الكفار محجوبون عن رؤية الله تعالى ، لأنه سبحانه لم يقل هذا . وجعلوا فى الآية مضافا محذوفا ، وهو الثواب ، فالذى يفهم من مقتضى الآية ـ بناء على ذلك ـ أن المؤمنين غير محجوبين عن ثواب الله تعالى يوم القيامة ، ولا يعنى أنهم يرون ربهم فى الآخرة . (٢)

الجواب :

ويمكن أن يرد على ذلك بأن الآية صريحة فى كون الكفار يوم القيامة محجوبين عن الله تعالى كما هو ظاهرها ، وليس الثواب هو الذى يحجب عنه الكفار.

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبى فى تفسيره ج ١٩ ص ٢٦١ ، والألوسى فى تفسيره أيضا ج ٣٠ ص ٧٣

(٢) أنظر (من تراث المعتزلة فى التوحيد) ص ٦١٢ .

ويفهم من ذلك أن حال الكفار يوم القيامة غير حال المؤمنين ، اذ يكونون فى نعيم ، والكفار فى عذاب ، كما فى قوله تعالى : " ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ." (١)

واذا كان الكفار محجوبين عن الله تعالى عقوبة لهم فان المؤمنين بطبيعة الحال يكونون على غير تلك الحالة فلا يكونون محجوبين عن ربهم سبحانه ، بل سيرون ربهم تبارك وتعالى يوم يكشف عنهم الحجاب كما جاءت الأحاديث الصحيحة مصرحة بذلك من غير أن نجد الى دفعها سبيلا .

ثانيا : السنة :

وأما الأحاديث التى استدلوا بها على صحة وقوع الرؤية فى دار الجزاء فكثيرة منها حديث صهيب المتقدم الذى فسر به الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " ومنها ما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، أن الناس قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فانكم ترونه كذلك .. الحديث . (٢)

وهذا الحديث ظاهر وصريح فى رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ، فلا يلحقهم ضير ولا ضرر فى رؤيته سبحانه كما لا تلحقهم المشقة والتعب فى رؤية الشمس والقمر .

---

(١) سورة الانفطار آية ١٤
(٢) اللفظ للبخارى ج ١ ص ١٩٣

ومنها ما فى صحيح البخارى عن قيس بن أبى حازم قال : حدثنا جرير قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون فى رؤيته. (١) وهذا صريح أيضا فى حصول الرؤية للمؤمنين يوم القيامة كالحديثين اللذين قبله.

ومنها أيضا حديث أبى بكر بن عبد الله بن قيس المتقدم ، عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن.

وقوله (وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن) كناية عن زوال المانع ورفعه عن الأبصار بازالة الرداء حتى ينظروا الى وجه ربهم سبحانه. (٢)

وهناك أحاديث أخرى تدل على صحة وقوع الرؤية ، رواها نحو ثلاثين صحابيا ، (٣) فاكتفيت بهذه الأحاديث المذكورة للاختصار .

وهذه الأحاديث مع صحتها ووضوحها وصراحتها فى ثبوت الرؤية ، قد اعترض عليها النفاة ، وطعنوا فيها بكونها — فى زعمهم — متضمنة التشبيه والتجسيم ومن ثم يجب أن ترد . وحتى أن الحديث الذى يرونه أسلم ما ورد من الأحاديث فى الرؤية ، وهو حديث قيس بن أبى حازم المتقدم ، لايريدون الاستدلال به لسببين :

الأول : أنه من أخبار الآحاد ، وخبر الواحد لا يوجب العلم ، والرؤية لا يمكن التوصل الى معرفتها بخبر الواحد .

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١٩٣
(٢) شرح النووى ج ٣ ص ١٦
(٣) أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٨

والسبب الثانى : أن راوى الحديث ، وهو قيس بن أبى حازم قد خولط فى عقله فى آخر حياته ، وكان يروى الأحاديث فى حال جنونه ، وحال افاقته وهذا ـ ولا شك ـ يجعل روايته موضع شك • (١)

الجواب :

ويجاب على تلك الدعاوى بأن يقال أن الأحاديث الواردة فى مسألة الرؤية لاتقتضى التشبيه ولا التجسيم كما يفهمه منها المعتزلة ،ذلك لأنه لا يتصور أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ربه سبحانه مالا يجوز عليه تعالى ، فالله جل وعلا منزه عن كل أنواع التشبيه والتجسيم ، فالأحاديث الثابتة للرؤية يجب أن نتلقاها بالقبول كما وردت ، وأن ما تقتضيه من ثبوت الرؤية ووقوعها يوم القيامة ، يجب كذلك أن نؤمن بها ، ونصدقها من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تجسيم ، فلا يمكن بحال من الأحوال أن نردها بمجرد دعوى احتمال التشبيه والتجسيم ، اذ أن هذا من قبيل نبذ ما ثبت من ديننا وراء الظهور •

وأما طعنهم فى حديث قيس ابن أبى حازم ، بأنه من أخبار الآحاد ،فليس بصحيح ، لأنه قد روى بطرق متعددة ، فقد أخرجه الخمسة الا النسائى • (٢)
وأيضا فان هناك أحاديثا أخرى تؤكد مضمون هذا الحديث بثبوت الرؤية ومن ثم فكل هذه الدعاوى التى جاء بها المعتزلة ، يجب أن ترد ، لا هذه الأحاديث الصحيحة •

ثالثا : الاجماع :

أما الاجماع فقد أجمع الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، ومن بعدهم من سلف هذه الأمة على أن المؤمنين سيرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة ،كما نطق

---

(١) راجع ، من تراث المعتزلة فى التوحيد ص٦١٣
(٢) نفس المصدر ص٦١٤

بذلك الكتاب والسنة . (١) ولم يكن منهم من خالف ذلك حتى جاءت المعتزلة ومن معهم من الجهمية والخوارج والامامية ، فأنكروها ، وسنعرض شبهتهم فيما يأتى ثم بطلانها .

شبهة النفاة فى الاجماع على ثبوت الرؤية :

قالوا : ان هذا الاجماع الذى روى عن الصحابة ليس صحيحا ، لما روى عن بعضهم خلاف ذلك . وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها أنها نفت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ! ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت : ماهن ؟ قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال وكنت متكئا فجلست . فقلت : يا أم المؤمنين : أنظرينى ولا تعجلينى . ألم يقل الله عز وجل : " ولقد رآه بالأفق المبين " (٢) " ولقد رآه نزلة أخرى " (٣) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال " انما هو جبريل . لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين . رأيته منهبطا من السماء . سادّا عظم خلقه ما بين السماء الى الأرض . فقالت : أولم تسمع أن الله يقول : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . " (٤) أولم تسمع أن الله يقول : " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم . " (٥) .. الحديث . (٦)

---

(١) انظر شرح النووى ج ٣ ص ١٥ ، وحادى الأرواح ص ٢٤١ ، وتفسير ابن كثير ج ٧ ص ١٧١ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(٢) سورة التكوير آية ٢٣ (٣) سورة النجم آية ١٣

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٣ (٥) سورة الشورى آية ٥١

(٦) صحيح مسلم ج ١ ص ١٥٩

وهذا - عندهم - دليل على أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا والآخرة.

الجواب :

يجاب عليهم بأن الرؤية التى روى عن بعض الصحابة انكارهم لها، كما فى قول عائشة - رضى الله عنها - الذى يتضمن نفى الرؤية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو فى الدنيا ، وليس فى الآخرة . (١) ذلك لأن الصحابة رضى الله عنهم متفقون على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ، ولم يصدر من أحد منهم أنه نفى الرؤية عن المؤمنين يوم الجزاء . ولعل نفاة الرؤية فهموا من استدلال عائشة رضى الله عنها على نفى الرؤية بالآيتين السابقتين ، أنها رضى الله عنها ، أرادت بذلك نفى الرؤية مطلقا سواء كانت فى الدنيا أو فى الآخرة.

واذا كان ذلك هو فهمهم من هذا الاستدلال ، فهم على غير الصواب، لأن عائشة رضى الله عنها - وان صح عنها نفى الرؤية - لم ترد بذلك نفى الرؤية فى الآخرة . وانما أرادت به نفى الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وفى ليلة الاسراء والمعراج على وجه الخصوص ، كما هو ظاهر سياق الحديث.

ولم يرد عنها رضى الله تعالى عنها ، ولا عن أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، أنهم نفوا الرؤية فى الآخرة ، وانما الذى ثبت عنهم هو عدم رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء.

ومع ذلك فقد خالفهم بعض كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ذلك كابن عباس وأبى ذر وكعب وغيرهم. (٢) ونحن لا نخوض فى هذه المسألة

---

(١) انظر شرح النووى ج ٣ ص ٤

(٢) انظر نفس المصدر ونفس الجزء والصفحة.

لأنها ليست من صلب موضوعنا فى هذا البحث ، وانما الكلام يدور حول اثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى فى الدار الآخرة ٠

اذن ، فلا يقدح فى اجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الأمة على ثبوت الرؤية فى الآخرة ، ما روى عن عائشة وبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم من نفى الرؤية ، لأنهم لم يريدوا بذلك الرؤية فى الآخرة ٠

ج ـ أدلة نفاة الرؤية :

استدل نفاة الرؤية على استحالتها بدليل عقلى ونقلى ٠

١ ـ الدليل العقلى :

أما العقلى فهو أنهم يقولون : ان الرائى منا لا يرى الشىء الا بالحاسة والرائى بالحاسة لا يرى الشىء الا اذا كان مقابلا أو حالا فى المقابل أو فى حكم المقابل ، فالله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا أو حالا فى المقابل أو فى حكم المقابل ، لأنه فى هذه الحالة يكون جسما ، والله تعالى منزه عن الجسمية لكونها من صفات الحوادث ، فلا يجوز اذن أن يرى سبحانه بحال من الأحوال لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ٠ (١)

الجواب :

أجيب بأن هذه الشروط التى افترضها المعتزلة كشروط للرؤية ، انما هى شروط عادية يمكن أن يبطلها العقل ، فالرؤية أمر يخلقه الله تعالى فى الحى من غير أن يشترط فيها المقابلة ، ويمكن عقلا أن يرى الشىء دون أن يكون مقابلا للرائى ، كما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى أصحابه الذين كانوا يصلون خلفه ، ولا شك أن هذا مخالف لما يعتاده الناس من أن المرئى لابد أن يكون مقابلا للرائى ٠

---

(١) انظر من تراث المعتزلة فى التوحيد ص ٦٠١

وأيضا ، فتعلق الرؤية بالمرئى يكون بمنزلة تعلق العلم بالمعلوم ، وتعلق العلم بالمعلوم لا يستلزم حدوث المعلوم ، واذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يستلزم حدوثه فكذلك المرئى ٠ (١)

هذا ، ويكفى بطلان هذا الدليل ما اعترض عليه طائفة منهم ، حيث قالت هذه الطائفة : لانسلم أن كل مرئى يكون فى جهة فهو جسم ٠ (٢)

٢ـ الدليل النقلى :

اعتمد النفاة فى نفى الرؤية على قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (٣) وقوله تعالى : " لن ترانى " (٤)

ووجه الاستدلال بالآية الأولى أن الادراك اذا قرن بالبصر فمعناه الرؤية البصرية ، وقد صرحت الآية بأن الله تعالى نفى عن نفسه الادراك الذى يراد به الرؤية ٠ وفى ذلك مدح راجع الى ذاته ٠ وما كان نفيه مدحا راجعا الى ذاته ، كان اثباته نقصا ، والنقص غير جائز على الله تبارك وتعالى ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فيجب أن لا يرى سبحانه ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ٠ (٥)

وأما الآية الثانية ، فوجه الاستدلال بها أن (لن) للنفى على التأبيد وهذا يدل على عدم امكان الرؤية سواء كان فى دار الدنيا أو فى دار الآخرة ٠

الجواب :

يجاب على الدليل الأول بأن الرؤية والادراك بينهما فرق ، فالرؤية أعم من الادراك ، والادراك أخص من الرؤية ، ونفى الأخص وهو الادراك

---

(١) ذكره الحافظ فى الفتح عن ابن بطال ج ١٣ ص ٤٢٦
(٢) شرح قصيدة الامام ابن القيم ج ١ ص ٤٢٧
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٣
(٤) سورة الأعراف آية ١٤٢
(٥) أنظر شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد ص ٢٣٣

لايستلزم نفى الأعم وهو الرؤية ، فكل من يرى الشيء لا يستلزم أن يدركه لأن الادراك هو الرؤية والاحاطة بالشيء.

اذن فالادراك الذى نفاه الله تعالى عن نفسه لا يدل على نفى رؤيته تعالى ، بل ثبت أن الرؤية تحصل للمؤمنين يوم القيامة ، ولكن هذه الرؤية الثابتة بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، لاتعنى الاحاطة ، لأن الله تبارك وتعالى لا يدرك ولا يحاط به ،ألا ترى أن الانسان يرى الشمس وينظر اليها ،ولكنه لا يدركها ، ولا يحيط بما فيها ، كما أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة من غير أن يدركوه ،ويحيطوا به علما كما فى قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. "

أما الدليل الثانى فيرد عليه بأن (لن) لاتفيد تأبيد النفى ، كما يفهمه المعتزلة وأتباعه ، وحتى لو قيدت بالتأبيد فانها لاتدل على دوام النفى واستمراره فى الآخرة ، كما فى قوله تعالى : " ولن يتمنوه أبدا " (١) مع قوله تعالى : " ونادوا يامالك ليقض علينا ربك " (٢)

وقد وردت (لن) فى الآية الأولى مقيدة بالتأبيد ، ومع هذا لاتفيد دوام النفى لتمنى الكفار للموت بدليل قوله تعالى فى الآية الثانية (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) ، واذا لم تدل على استمرار النفى مع كونها مقيدة بالتأبيد فكيف اذا أطلقت ؟ كما فى قوله تعالى : " لن ترانى ".

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق ، لما جاز تحديد الفعل الذى وقع بعدها ،لأن تحديده مع ورودها قبل الفعل لافائدة فيه ، ولكن جاء ذلك فى قوله تعالى : " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى " (٣) . وبهذا اثبت أن (لن) لاتفيد النفى على التأبيد .قال الشيخ جمال الدين ابن مارك رحمه الله : (٤)

---

(١) سورة البقرة آية ٩٥
(٢) سورة الزخرف آية ٧٧
(٣) سورة يوسف آية ٨٠
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٦

ومن رأى النفى بلن مؤبـــدا * فقوله أردد وسواه فاعضـــدا

٣ـ الخلاصـــة :

فمهما يكن من شئ فان النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الدالة علـــى ثبوت الرؤيـــة لا يعترف بدلالتها النفاة على ما تقتضيـــه من وقوعها بدعـــوى أنه سوف يؤدى الى الحدوث الذى يتنزه عنه سبحانه ،ذلك لأنه اذا أثبتنـــا الرؤيـــة لله تعالى ، فلابد أن ينطبق على ذلك شروط الرؤيـــة المعهـــودة وهى أن يكون المرئى مقابلا للرائى ، وحالا فى المقابل أوحكم المقابل ،كمـــا سبق ، وذلك مستحيل على الله تبارك وتعالى ،فلا يجـــوز ــ اذن ــ أن يـــرى الله تعالى ، لا فى الدنيا ولا فى الآخـــرة.

وهم يؤولون هذه النصوص بتأويلات توافق أدلتهم ، فيقولون ــ مثـــلا ــ فى قوله تعالى : " وجـــوه يومئـــذ ناضرة الى ربها ناظرة " أى وجـــوه يومئـــذ ناضرة الى ثواب ربها ناظرة ، أو وجـــوه يومئذ ناضرة نعمة ربهـــا منتظرة . وفى قوله صلى الله عليه وسلم " سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمـــر ليلة البدر ، لاتضامون فى رؤيته " أى ستعلمون ربكم يوم القيامة ، كما تعلمـــون القمر ليلـــة البدر ، لاتشكون فى معرفته.

فهم يعنون بالنظر فى الآيـــة ، الانتظار ، ويجعلون تارة فى الآية حذفـــا وهو الثواب المضاف الى (ربها) ، ويعنون بأداة (الى) النعمة تارة أخرى ، ويفسرون (النظر) فى الحديث بالعلم الضرورى.

على أنهم يتجنبون من اثبات الرؤيـــة ، فهم يحاولون الهروب من ظواهـــر النصوص الدالـــة على ثبوتها ، كما هو الملاحـــظ من أقوالهم.

أما الآيات التى استندوا اليها فى مذهبهم فهى ليست صريحة فى نفـــى

الرؤية يوم القيامة ، بل هى محتملة كل الاحتمال ، ولذلك ، ليس من السهل الركون والاطمئنان اليها كحجة على صحة قولهم . ولا سيما أنه لم يكن هناك أحاديث صحيحة تؤكد تفسيرهم للآيات التى احتجوا بها على رأيهم ،الا ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، ولكن سبق أن قلنا بأن كلام عائشة رضى الله تعالى عنها ، لم ترد به نفى الرؤية يوم القيامة ، وانما أرادت به رضى الله عنها نفيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج ، فليس لهم فيه دليل على مذهبهم .

وأما دليلهم العقلى ، فمهما تفننوا فيه ، فان النصوص الواردة فى ثبوت الرؤية فى الآخرة ، كافية فى تفنيد هذا الدليل وابطاله ، اذ المسألة سمعية ، لاسبيل لمعرفتها ، الا بدليل سمعى ، فليس للعقل وحده الى معرفتها من سبيل .

٤ـ القول الصحيح :

ويرى بعض الباحثين أن الخلاف بين أهل السنة والجماعة ، وبين المعتزلة خلاف لفظى ، وليس خلافا معنويا ، فهم يقولون ،أن المعتزلة على حق فى انكارهم الرؤية الجسمانية التى يعهدها البشر ، ولكن ليسوا على حق فى نفى الرؤية مطلقا ،ولا سيما أن بعضهم قالوا : انها أى الرؤية نوع من العلم . (١)

وأما أهل السنة فقد أثبتوا الرؤية لله تعالى فى الآخرة ، ولكنهم لم يكيفوها على النحو الذى يتعارفه الناس من الرؤية فى هذه الحياة الدنيا ،فهم ينفون أيضا كل ما يؤدى بها الى التشبيه والتجسيم ، فيقولون : ان الرؤية التى ثبتت بالأدلة السمعية ، يجب أن نؤمن بها كما وردت ، ايمانا جازما

---

(١) راجع (من تراث المعتزلة فى التوحيد) ص ٦٢٢

من غير تكييف ، ولا تشبيه ، كما هو شأن ~~بعض~~ [في إثبات] الصفات الواردة فى الكتاب والسنة . وهذا هو القول الصحيح الذى تطمئن اليه النفس ، ويركن اليه الوجدان . والله تعالى أعلم .

وبعد أن تقرر ثبوت الرؤية ، وهى من أكبر المتع الروحية التى سيجدها المؤمنون فى الجنة ، نذكر بعض أنواع هذه السعادة العلوية كما جاء فى هذه الآيات التالية :

٢٤ - الأمن وعدم الخوف والحزن :

قال تعالى : " .. فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . " (١)

٢٥ - عدم الخزى والذل والهوان :

قال تعالى : " يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه . " (٢)

٢٦ - أخوة ، وحب متبادل ، مبرأ من كل غل أو حسد :

قال سبحانه : " ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين " (٣)

٢٧ - الشعور بالحبور والاستبشار :

قال سبحانه : " فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون " (٤)

وقال سبحانه : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . " (٥)

---

(١) سورة البقرة آية ٦٢
(٢) سورة التحريم آية ٨
(٣) سورة الحجر آية ٤٧
(٤) سورة الروم آية ١٥
(٥) سورة عبس آية ٣٩

٢٨ ـ شرف ورفعة :

قال جل شأنه : " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ٠ " (١)

٢٩ـ سوف تضيء السعادة وجوههم :

قال جل وعلا : " وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله " (٢)

٣٠ـ شعورهم بتفوقهم على خصومهم :

قال تبارك وتعالى : " زين للذين كفروا الحياة الدنيا ، ويسخرون من الذين آمنوا ، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ٠ " (٣)

٣١ـ وهم فى مسعاهم الى الجنة سوف يحوطهم النور :

قال تبارك وتعالى : " يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم " (٤)

٣٢ ـ ولسوف يكونون فى صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين :

قال جلت قدرته : " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ٠ " (٥)

٣٣ـ وفى صحبة أسرهم وأحبابهم :

قال تعالى : " جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم " (٦)

---

(١) سورة الاسراء آيـة ٧٩
(٢) سورة آل عمران آيـة ١٠٧
(٣) سورة البقرة آية ٢١٢
(٤) سورة الحديد آية ١٢
(٥) سورة النساء آية ٦٩
(٦) سورة الرعد آية ٢٣

٣٤ـ زيارة الملائكة لهم بكل تهنئة وأمانى وسلام :

قال جل وعلا : " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ." (١)

٣٥ ـ الشعور بالقرب من الله تبارك وتعالى :

قال سبحانه : " والسابقون السابقون أولئك المقربون ." (٢)

٣٦ـ يتلقون تحية السلام من ربهم السلام :

قال تعالى : " سلام قولا من رب الرحيم " (٣)

٣٧ـ فمكانهم هو أعظم مكان لدى القادر المقتدر :

قال سبحانه : " ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ." (٤)

٣٨ ـ الرضا المتبادل بين صاحب الانعام ، والمنعم عليهم :

قال جل وعلا : " رضى الله عنهم ورضوا عنه ." (٥)

٣٩ـ عدم وجود أحاديث اللغو والباطل والاتهام بالاثم ، بل هو السلام المتبادل :

قال سبحانه : " لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما " (٦)

وهذه بعض الآيات التى تتحدث عن المتع الروحية فى الدار الآخرة فهناك بعض النصوص الأخرى التى تذكر هذا النوع من السعادة الأخروية قد بلغت الى ١٧٢ نصا . (٧) ولم نذكرها ، اكتفاء بهذا القدر ، وحبا للاختصار.

---

(١) سورة الرعد آية ٢٤
(٢) سورة الواقعة آية ١١
(٣) سورة يس آية ٥٨
(٤) سورة القمر آية ٥٤ ـ ٥٥
(٥) سورة المائدة آية ١١٩
(٦) سورة الواقعة آية ٢٥ ـ ٢٦
(٧) انظر دستور الأخلاق فى القرآن للدكتور محمد عبدالله دراز ص ٣٧٥ تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبدالصبور شاهين ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ.

ملاحظات :

١ — نلاحظ أن بين هذه المتع المختلفة — الروحية والمادية — التى توجد فى الجنة ، تدرجا فى القيم ، بحيث تكون المتع الروحية فى درجة أعلى من المتع المادية ، وأن بين جميعها نعيما واحدا ، لا يمكن تقدير قيمته ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى . قال جل وعلا : " ورضوان من الله أكبر " (١)

٢ — قال صاحب (دستور الأخلاق فى القرآن) : (٢)

وأبرز ملامح السعادة الحسية : أعنى : أكثرها ذكرا ، موجود — كما رأينا — فى تلك الاشارة الى " جنة تجرى من تحتها الأنهار " (٣)

وكل منا استطاع أن يجرب تلك اللذة التى يثيرها منظر الماء الجارى حين ينظر اليه من علٍ . وزد على ذلك أن فى هذا — دون شك — أنزه ما يلذ النظر وأطهره ، والقرآن يوحى اليها منه بمعنى أكثر عمقا ، وسعادة أحلى مذاقا ، ليس هو مطلقا ذلكم الموقف الذى يثير الأحلام ، ويلهم الشعر ، ولكنه واقع أخلاقى فى جوهره ، هو : نسيان كل حزن ، وذهاب كل حقد من القلوب . قال تعالى : " ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار " (٤)

٣ — اما فيما يتعلق بطعام الجنة اللذيذ الشهى ، فانما يتعاطاه أصحاب الجنة المكرمون لمجرد السرور والابتهاج ، وليس حاجة لحفظ حياتهم وصحتهم ، ذلك أنهم لما كانوا قد من الله عليهم بأبدان لا تقبل الفساد ، لم تعد بهم حاجة الى أى وقاية . (٥)

---

(١) سورة التوبة آية ٧٢
(٢) دستور الأخلاق فى القرآن ص ٣٨٤
(٣) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٤) سورة الأعراف آية ٤٣
(٥) انظر دستور الأخلاق فى القرآن ص ٣٨٤ — ٣٨٥ ، وروح الدين الاسلامى لمؤلفه عفيف عبد الفتاح طبارة ص ١٣٣ الطبعة الثانية عشر .

٤ ـ الواقع أن العقل البشرى قاصر عن ادراك ما أعد الله تعالى لعباده الصالحين الطيبين من أنواع المتع الأخروية ، فمهما تخيل الانسان بكل ما أوتى له من قدرة التخيل ، فانه لن يصل الى الكنه الحقيقى لتلك النعم المعدة فى جنات النعيم.

وقد حدث القرآن الكريم عن ذلك ، فقال سبحانه : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . " (١)

وقال تعالى فى الحديث القدسى : " أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة ـ راوى الحديث ـ : اقرؤا ان شئتم : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . " (٢)

---

(١) سورة السجدة آية ١٧
(٢) صحيح البخارى ج ٦ ص ١٤٥

الفصل الثالث

صفة النار وعذابها

بعد أن انتهينا من بيان صفة دار الصالحين فى الآخرة ،ننتقل الآن فى هذا الفصل الى بيان صفة دار الظالحين ، وما فيها من ألوان العذاب كما جاء بها أخبار السماء ٠

١ـ النار دركات :

ولما كانت الجنة درجات فكذلك كانت النار دركات ٠ والدرج اذا كان بعضها فوق بعض ، والدرك اذا كان بعضها أسفل من بعض٠ وقد تقدمت الآيات والأحاديث التى تصف الجنة بأنها درجات٠

أما وصف النار بأنها دركات فكقوله تعالى : " ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ٠" (١) قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : درجات الجنة تذهب علوا ، ودرجات النار تذهب سفولا ٠ (٢)

وقد يقال للدركات درجات ، كما فى قوله تعالى ، بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار : " ولكل درجات مما عملوا " (٣) وقوله سبحانه : " أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، هم درجات عند الله " (٤)

---

(١) سورة النساء آية ١٤٥
(٢) انظر التخويف من النار للشيخ ابى الفرج رجب ص ٤٤
(٣) سورة الأنعام آية ١٣٢
(٤) سورة آل عمران آية ١٦٢

٢- قعر جهنم :

وأن قعر جهنم - وهى من أسماء النار - لعميق ، فقد خرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، تدرون ما هذا ؟ قال : قلنا ، الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى الى قعرها • (١)

وفى سنن الترمذى من حديث الحسن قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا - يعنى منبر البصرة - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما ،وما تفضى الى قرارها • (٢)

فى هذين الحديثين اشارة الى بعد قعرجهنم وعمقه ، حتى ان الحجر العظيم - وهو من أثقل الأشياء - لو ألقى من شفيرها فيهوى فيها ، لا يصل الى قعرها الا بعد سبعين عاما •

٣- سعة جهنم :

أما سعة جهنم فهى أوسع مما يتخيله العقل البشرى ، فهناك أحاديث تشير الى ذلك ، منها حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا ، وان ضرسه مثل أحد ،وان مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة • (٣) وعن أبى هريرة أيضا مرفوعا ، " ما بين

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٨٤
(٢) سنن الترمذى ج ٤ ص ٧٠٢
(٣) المصدر السابق نفس الجزء ص ٧٠٣

منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع • (١)

وإذا كان عظم الكافر فى جهنم على هذه الصفة ، فلاشك أنها أوسع من أن نحددها بما نملكه من مقاييس الدنيا ، ذلك لأن الأكثرية العظمى من بنى آدم التى لا يعلم عددها الا الله ، هم أهل النار ،فلا يسعهم الا مكان أكبر وأوسع•

٤- أبواب جهنم :

ولجهنم أبواب ، قال تعالى : " وان جهنم لموعدهم اجمعين ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم • " (٢)

وخرج الامام أحمد والترمذى من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان لجهنم سبعة أبواب ، باب منها لمن سل سيفه على أمتى • (٣)

وقد وصف الله تعالى أبوابها بأنها مغلقة على أهلها فقال سبحانه : " عليهم نار مؤصدة " (٤) وقال تعالى : " انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة " (٥) قال ابن عباس فى الآية الأولى : مغلقة الأبواب • (٦) وقال فيها قتادة : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد • (٧) وعن ابن عباس فى قوله (فى عمد ممددة) قال : أدخلهم فى عمد فمدت عليهم فى أعناقهم السلاسل فسدت بهم الأبواب • (٨)

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص٢١٨٩ - ٢١٩٠
(٢) سورة الحجر آية ٤٤
(٣) واللفظ للترمذى فى سننه ج ٥ ص٢٩٧
(٤) سورة البلد آية ٢٠
(٥) سورة الهمزة آية ٨ - ٩
(٦) أنظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص٢٩٨
(٧) انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة
(٨) أنظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص٣٩٣

وقال أحمد مصطفى المراغى فى تفسير قوله تعالى : " حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها " (١) أى حتى اذا وصلوا اليها فتحت لهم أبوابها سريعا ليدخلوها كأبواب السجون ، لاتزال مغلقة حتى يأتى أرباب الجرائم الذين يسجنون فيها فتفتح ليدخلوها ، فاذا دخلوها أغلقت عليهم ۰ (٢)

٥- حر نار جهنم وزمهريرها :

وان حر نار جهنم لأشد من أن تعرف ، كما أن زمهريرها كذلك ۰ قال تعالى : " قل نار جهنم أشد حرا لوكانوا يفقهون " (٣) وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قالت النار : رب أكل بعضى بعضا فأذن لى أتنفس ، فأذن لها بنفسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف ، فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم ، وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم ۰ (٤)

وفى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ناركم هذه التى يوقد بنوآدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم ، قالوا : والله ان كانت لكافية ، قال : انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ۰ (٥)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، ولولا أنها غمست فى الماء مرتين ما استمتعتم بها ، وأيم الله ان كانت لكافية وأنها لتدعو الله أو تستجير الله أن لا يعيدها فى النار أبدا ۰ (٦)

---

(١) سورة الزمر آية ٧١
(٢) أنظر تفسير المراغى ج ٢٤ ص ٣٥
(٣) سورة التوبة آية ٨١
(٤) واللفظ لمسلم ج ١ ص ٤٣٢
(٥) واللفظ لمسلم ج ٤ ص ٢١٨٤
(٦) المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٥٩٣ ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ۰

٦ ـ ظلمة نار جهنم وسوادها :

ومع حرها فهى مظلمة سوداء • عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ،فهى سوداء مظلمة • (١)

وخرج البيهقى والبزار من حديث أبى هريرة أيضا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أترونها حمراء كناركم هذه ؟ لهى أشد سوادا من القار• (٢)

٧ـ نار جهنم تسجر وتسعر فى الدنيا قبل يوم القيامة :

وقد تقدم حديث أبى هريرة ما يدل على أن النار قد أوقد عليها آلاف من السنين حتى أصبحت سوداء مظلمة • وفى سنن الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذهب الى النار فانظر اليها والى ما اعددت لأهلها فيها ،فنظر اليها فاذا هى يركب بعضها بعضا •• الحديث (٣)

وعن عمرو بن عبسة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ،فانها تطلع حين تطلع بين قرنى الشيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم اقصر عن الصلاة فانه حينئذ تسجر جهنم •• الحديث (٤)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم • (٥) ومعنى فيح جهنم

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص ٧١٠
(٢) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٦٤
(٣) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٩٤
(٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٧٠
(٥) المصدر السابق نفس الجزء ص ٤٣٠

سطوع حرها وانتشاره وغليانها .(١)

هذا كله في الدنيا ، وأما في الآخرة فانها تسعر كذلك . قال تعالى : " واذا الجحيم سعرت ." (٢) وقال سبحانه : " مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا " (٣) أي نارا تتسعر وتتلهب.

وهذه النار لا تنطفئ ولا تخمد ،فهي تأكل الجلد واللحم والعظم حتى تطلع على الأفئدة . قال تعالى : " وما أدراك ما سقر لاتبقى ولا تذر لواحة للبشر " (٤) عن الضحاك في قوله (لاتبقى ولاتذر) قال : تأكله كله فاذا تبدى خلقه لم تذره حتى تقوم عليه. (٥) وعن ابن بريدة في الآية قال : تأكل اللحم والعظم والعرق والمخ ولا تذره على ذلك . (٦) وعن ابن عباس في قوله (لواحة للبشر) قال : تلوح الجلد فتحرقه فيتغير لونه فيصير أسود من الليل . (٧) .

وقال تعالى : " كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة . " (٨) عن محمد بن كعب في قوله (التي تطلع على الأفئدة) قال : تأكل كل شئ منه حتى تنتهي الى فؤاده فاذا بلغت فؤاده ابتدئ خلقه. (٩) .

وعن محمد بن المنكدر في الآية قال : تاكله النار حتى تبلغ فؤاده وهو حي . (١٠) وقال الفخر الرازي في هذه الآية : فيها وجهان : الأول : أن النار

---

(١) انظر شرح النووي ج ٥ ص١١٨
(٢) سورة التكوير آية ١٢
(٣) سورة الاسراء آية ٩٧
(٤) سورة المدثر آية ٢٧ ـ ٢٩
(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص٢٨٣
(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(٧) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(٨) سورة الهمزة آية ٤ ـ ٧
(٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص٣٩٣
(١٠) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم ، ولا شيء في بدن الانسان ألطف من الفؤاد ، ولا أشد ألما منه بأدنى أذى يماسه ، فكيف اذا اطلعت نار جهنم واستولت عليه. ثم ان الفؤاد مع استيلاء النار عليه لا يحترق اذ لو احترق لمات ، وهذا هو المراد من قوله (لا يموت فيها ولا يحيى) . ومعنى الاطلاع هو أن النار تنزل من اللحم الى الفؤاد . والثاني : ان سبب تخصيص الأفئدة بذلك هو أنها مواطن الكفر والعقائد الخبيثة والنيات الفاسدة . (١)

٨ ـ تغيظ جهنم وزفرها :

وقد وصف الله تعالى جهنم بانها تتغيظ وتزفر ، فقال سبحانه : " اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ " (٢) والشهيق الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار . وعن مجاهد في قوله : (وهي تفور) قال : تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير. (٣) ، وقال ابن عباس في قوله (تكاد تميز) يفارق بعضها بعضا . (٤)

والمعنى : اذا طرح أهل النار في النار طرح الحطب سمعوا لها صوتا كصوت الحمير عند أول نهيقها ، وهي تغلي غليان المرجل بما فيه ، تكاد تتقطع من الغيظ على الكفار . (٥)

وقال تعالى : " اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا " (٦) عن ابن عباس قال : ان العبد ليجر الى النار فتشهق اليه شهقة البغلة

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣٢ ص ٩٤
(٢) سورة الملك آية ٧
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٤٨
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(٥) انظر يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للامام الشيخ صديق حسن خان مؤلف تفسير " فتح البيان " ص ٩٦
(٦) سورة الفرقان آية ١٢

الى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ٠ (١) وعن عبيد بن عمير في قوله (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال : ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسى ٠ (٢)

٩ ـ هواء جهنم وظلها :

وان هواء جهنم سموم : وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وظلها من يحموم وهو قطع دخانها ٠ قال تعالى : " وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ٠ " (٣) قال أبو مالك فى قوله (وظل من يحموم) ظل من دخان جهنم ٠ ومثله عن مجاهد وابن عباس رضى الله عنهم٠ (٤)

وقال تعالى : " انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر٠ " (٥) قال مجاهد فى قوله (ظل ذى ثلاث شعب) دخان جهنم ٠ وقال الكلبى : هوكقوله (نار أحاط بهم سرادقها) والسرادق الدخان دخان النار ، فاحاط بهم سرادقها ثم تفرق فكان ثلاث شعب ، شعبة ههنا ، وشعبة ههنا ، وشعبة ههنا ٠ (٦) وفى قوله (كأنه جمالة صفر) قال ابن عباس : حبال السفن يجمع بعضها الى بعض تكون كأوساط الرجال ٠ (٧)

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٦٤
(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة
(٣) سورة الواقعة آية ٤١ ـ ٤٤
(٤) انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٦٠
(٥) سورة المرسلات آية ٣٠ ـ ٣٣
(٦) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٤
(٧) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة٠

١٠ ـ أغلال جهنم وأنكالها وسلاسلها :

وفى جهنم أغلال وأنكال وسلاسل معدة لأهل النار ، قال تعالى : " انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلال وسعيرا " (١) وقال سبحانه : " وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا " (٢) وقال عز وجل : " اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون " (٣) وهذه ثلاثة أنواع ، أحدها (الأغلال) وهى فى الأعناق كما ذكره سبحانه . النوع الثانى : (الأنكال) وهى قيود من النار ، قاله مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم . (٤) النوع الثالث : (السلاسل) قال تعالى : " ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . " (٥)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن رضاضة مثل هذه ، وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الأرض ، وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لصارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها . (٦) وعن ابن عباس فى قوله (فاسلكوه) قال : تسلك فى دبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه . (٧)

١١ ـ حجارة النار :

وفى جهنم حجارة تختلف عن الأحجار فى الدنيا ، اذ الأحجار فيها انما خلقت لانتفاع الناس بها ، بخلاف الأحجار التى فى النار فانها خلقت لتعذيب الناس بها . قال تعالى : " فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " (٨) وقال سبحانه : " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة . " (٩)

---

(١) سورة الانسان آية ٤ (٢) سورة سبأ آية ٣٣ (٣) سورة غافر آية ٧١
(٤) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٧٩
(٥) سورة الحاقة آية ٣٢ (٦) سنن الترمذى ج ٤ ص ٧٠٩
(٧) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٦٢ (٨) سورة البقرة آية ٢٤
(٩) سورة التحريم آية ٦

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأحجار بأنها لو وضع واحد منها على جبال الدنيا لذابت منه. عن محمد ابن هاشم قال : لما نزلت هذه الآية " نارا وقودها الناس والحجارة) وقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فسمعها شاب الى جنبه فصعق ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجره رحمة له فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه فقال : بأبى أنت وأمى ، مثل أى شئ الحجر ؟ قال : أما يكفيك ما أصابك ؟ على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه ، وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا . (١)

وهذه الحجارة هى حجارة من كبريت ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ان الحجارة التى ذكرها الله فى القرآن فى قوله (وقودها الناس والحجارة) حجارة من كبريت خلقها الله تعالى عنده كيف شاء أو كما شاء . (٢) وعن ابن عباس فى الآية قال : هى حجارة فى النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار . (٣)

ويؤكد هذا المعنى الحديث الذى رواه عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، وفيه : والثالثة فيها حجار جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ،قالوا : يارسول الله أ للنار كبريت ؟ قال نعم ، والذى نفسى بيده ان فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسى لماعت . الحديث . (٤)

١٢ ـ أودية جهنم وجبالها :

وفى جهنم أودية عميقة يقذف فيها الكافر فيبلغ قعرها أربعين عاما

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٧٤
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٤ ص ٤٧٤ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ١ ص ٣٦
(٤) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٤ ص ٥٩٤ ، وقال : والحديث صحيح ولم يخرجاه

تعذيبا له بما عمل فى الدنيا من الكفر والعصيان • عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره • الحديث (١)

وفيها نوع من هذه الأودية يسمى (جب الحزن) تخاف منه جهنم حتى انها تتعوذ منه كل يوم مائة مرة • عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعوذوا بالله من جب الحزن ، قالوا : يارسول الله ، وما جب الحزن ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة ، قلنا يارسول الله ، ومن يدخله ؟ قال : القراءون المراءون بأعمالهم • (٢)

كما أن فيها جبالا ، ومن هذه الجبال ما يسمى " الصعود " يكلف الكافر أن يصعده ، فاذا صعده يهوى الى الأسفل ثم يصعد فيهوى كذلك ، وكلما وضع يده أو رجله عليه ذابت ، فاذا رفعها عادت كما كانت ، وهكذا يفعل حتى يمضى عليه سبعون عاما •

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى : " سأرهقه صعودا " قال : جبل فى النار من نار يكلف الكافر أن يصعده فاذا وضع يده عليه ذابت ، فاذا رفعها عادت ، واذا وضع رجله عليه ذابت ، فاذا رفعها عادت ، يصعد سبعين خريفا ثم يهوى كذلك • (٣)

---

(١) رواه الترمذى وأحمد واللفظ له ج ٣ ص ٧٥
(٢) رواه ابن ماجة والترمذى ، واللفظ له ج ٤ ص ٥٩٤
(٣) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ج ٢٩ ص ٩٧

وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل فى النار يتصعد فيه سبعين خريفا يهوى منه كذلك أبدا .(١)

١٣ — حيات جهنم وعقاربها :

وفى جهنم حيات ضخام لها سمومها التى تبقى حموتها على جسم الكافر اذا لسعته أربعين عاما ، كما أن فيها عقارب كبار تضرب الكافر ضربة فيجد حرها وحموتها أربعين سنة.

عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان فى النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ، وأن فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة .(٢)

وعن مسروق قال ، قال عبد الله رضى الله عنه فى قول الله عز وجل : " زدناهم عذابا فوق العذاب " (٣) قال : عقارب أنيابها كالنخل الطوال .(٤)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... والخامسة فيها حيات جهنم : ان أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على عظم ، والسادسة فيها عقارب جهنم ، ان أدنى عقربة منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم .الحديث(٥)

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٤ ص ٥٩٦

(٢) رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم وأحمد واللفظ له ج ٤ ص ١٩٢.

(٣) سورة النحل آية ٨٨

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص ٣٥٦ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٤ ص ٥٩٤ ، وقال : والحديث صحيح ولم يخرجاه.

١٤ ـ طعام أهل النار :

قال تعالى : " ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . " (١) وقال عز وجل : " أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ،انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤس الشياطين ، فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون " (٢)

ومما يعذب به أهل النار ما أعد الله لهم فيها من أنواع الطعام والشراب التى لاتسد شيئا مما يجدونه فى جهنم من شدة الجوع والعطش ، وانما هذه الأطعمة والأشربة لاتزيدهم الا عذابا فوق العذاب .

فمن ذلك الأطعمة ثمار هذه الشجرة التى ذكر الله تعالى فى هذه الآية، وهى شجرة الزقوم . وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهيتها ونتنها ، وهى تحيا بلهب النار كما تحيا شجرة الدنيا ببرد الماء . (٣)

وقد خلق الله تعالى هذه الشجرة فى جهنم ،وسماها الشجرة الملعونة، وهى تخرج فى قعر جهنم ،ثمارها كأنها رؤس الشياطين لقبح منظرها وكراهيتها فى النفوس حيث لاتستلذها ولاتستسيغها .

وقد جاء وصف هذه الشجرة فى حديث رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية " اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . " (٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لوأن قطرة

---

(١) سورة الدخان آية ٤٣ ـ ٤٦
(٢) سورة الصافات آية ٦٢ ـ ٦٧
(٣) راجع تفسير القرطبى ج ١٥ ص ٨٥
(٤) سورة آل عمران آية ١٠٢

من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ؟(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لوأن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الأرض لأفسدت على الناس معايشهم. (٢)

وهناك نوع آخر من أنواع هذه الأطعمه ، وهوما سماه القرآن با " لضريع" ووصفه القرآن بأنه لا يسمن ولا يغنى من الجوع ، قال تعالى : " ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع . " (٣) قال مجاهد : الضريع نبت يقال له شبرق يسميه أهل الحجاز الضريع اذا يبس ، وهوسم. (٤).

وهناك أيضا نوعآخر من تلك الأطعمة وهوما يسمى با " لغسلين" قال تعالى : " فليس له اليوم ههنا حميم ،ولا طعام الا من غسلين ، لا يأكله الا الخاطئون " (٥) والغسلين ما يسيل من صديد أهل النار . (٦)

كما أن فى جهنم طعاما ذا شوك يأخذ بالحلق فلا يدخل فى البطن ،ولا يخرج الى الفم حيث يسهل على الانسان أن يلفظ به فيخرج من فيه. قال تعالى : " ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما . " (٧) وعن ابن عباس فى قوله تعالى (طعاما ذا غصة) قال ،شوك يأخذ بالحلق لايدخل ولا يخرج . (٨)

واذا جاع أهل النار ،التجأوا الى هذه الأطعمة فأكلوا منها ، ثم وجدوا أنها لم تجدهم شيئا ولم تنفعهم بل زادتهم عذابا فوق العذاب.

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص٧٠٧ ، وقال حديث صحيح.
(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص٢٧٧
(٣) سورة الغاشية آية ٦ ـ ٧
(٤) البخارى ج ٦ ص٢٠٩
(٥) سورة الحاقة آية ٣٥ ـ ٣٧
(٦) انظر فتح البارى ج ٨ ص٦٦٥
(٧) سورة المزمل آية ١٢ ـ ١٣
(٨) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٢ ص٥٠٦

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم .. الحديث ،(١)

ومن أنواع طعامهم النار ، قال تعالى : " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا " (٢) عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا ، فقيل يارسول الله ، من هم ؟ قال : الم تر أن الله يقول : ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ." (٣) وعن السدى فى الآية قال : اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه ،يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم. (٤)

يقول صاحب (يقظة أولى الاعتبار) : والتوفيق بين ما هنا وبين قوله (الا من ضريع) وقوله (الزقوم) وقوله (الا من غسلين) انه يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك ، أو أن العذاب أنواع ، والمعذبين طبقات ،فمنهم أكلة النار ، ومنهم أكلة الضريع ، ومنهم أكلة الزقوم ، ومنهم أكلة الغسلين ،لكل منهم جزء مقسوم . (٥)

---

(١) سنن الترمذى ج ٤ ص٧٠٧
(٢) سورة النساء آية ١٠
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٢٤
(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(٥) يقظة أولى الاعتبار مما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار ص٩٧

١٥ - شراب أهل النار :

قال الله عز وجل : " فشاربون عليه من الحميم " (١) وقال سبحانه : " وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم " (٢) وقال تعالى : " لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا " (٣) وقال عز شأنه : " هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج " (٤) وقال تعالى : " ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ." (٥) وقال سبحانه : " وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا " (٦)

وقد ذكر فى هذه الآيات الكريمة أربعة أنواع من شراب أهل النار ، ووصفت بأوصاف تقشعر منها الجلود ، وترتجف منها القلوب ، وهى :

أولا : الحميم ، وهو الماء الحار المغلى بنار جهنم انتهت حرارته ، (٧) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ثم يعاد كما كان . (٨)

وثانيا : الغساق ، وهو عصارة أهل النار التى تحرق ببردها كما يحرق الحميم بحره . عن ابن عباس قال : الغساق هو الزمهرير يخوفهم ببرده . وقال مجاهد : وهو الثلج البارد الذى قد انتهى برده . (٩) وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن دلو غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا . (١٠)

---

(١) سورة الواقعة آية ٥٤
(٢) سورة محمد آية ١٥
(٣) سورة النبأ آية ٢٤ - ٢٥
(٤) سورة ص آية ٥٧ - ٥٨
(٥) سورة ابراهيم آية ١٦ - ١٧
(٦) سورة الكهف آية ٢٩
(٧) أنظر يقظة أولى الاعتبار ص ٨١
(٨) سنن الترمذى ج ٤ ص ٧٠٥
(٩) انظر تفسير القرطبى ج ١٧ ص ٢١٤
(١٠) رواه الحاكم فى المستدرك وصححه ، ج ٤ ص ٦٠٢

وثالثا : الصديد ، وهو القيح والدم . قاله مجاهد ٠ (١) عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال : يقرب الى فيه فيكرهه ، فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره ، يقول الله (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) ويقول (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب)(٢) وعن الحسن رضى الله عنه قال : لو أن دلوا من صديد جهنم دلى من السماء فوجد أهل الأرض ريحه لأفسد عليهم الدنيا ٠ (٣)

ورابعا : الماء الذى كالمهل ، وقد وصفه القرآن بأنه يشوى الوجوه٠ عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (كالمهل) قال : كعكر الزيت ، فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه ٠ (٤) وعن ابن مسعود أنه أذاب فضة من بيت المال ثم أرسل الى أهل المسجد فقال : من أحب أن ينظر الى المهل فلينظر الى هذا ٠ (٥) وقال أبو عبيدة والأخفش: كل شىء أذبته من ذهب أو نحاس أو فضة فهو المهل ٠ (٦)

١٦ — كسوة أهل النار ولباسهم :

ولأهل النار كسوة ولباس من نار . قال تعالى : " فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار " (٧) أى قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها . وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض٠ (٨) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله

---

(١) انظر فتح البارى ج ٨ ص٣٧٦
(٢) سنن الترمذى ج ٤ ص٧٠٥
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٤ ص٧٤
(٤) سنن الترمذى ج ٤ ص٧٠٤
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢١ ص١٢٠
(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة٠
(٧) سورة الحج آية ١٩
(٨) انظر يقظة أولى الاعتبار ص٨١

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أدنى أهل النار عذابا ينتعل بنعلين من نار ، يغلى دماغه من حرارة نعليه ٠ (١) وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا ، وانه لأهونهم عذابا ٠ (٢)

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان أول من يكسى حلة من نار ابليس ، فيضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه ، وذريته من بعده ، وهو ينادى ، واثبوراه ، وينادون ياثبورهم ٠٠ الحديث (٣)

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ٠ وقال : النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ٠ (٤) ومعنى (درع من جرب) أى يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطية الدرع ، وهو القميص ٠ (٥)

وعن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النياحة من أمر الجاهلية ، وان النائحة اذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ، ودرعا من لهب النار ٠ (٦)

---

(١) مسلم ج ١ ص ١٩٦
(٢) مسلم ج ١ ص ١٩٦
(٣) خرجه الامام أحمد فى مسنده ج ٣ ص ١٥٢
(٤) مسلم ج ٢ ص ٦٤٤
(٥) على هامش صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٤٤
(٦) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٠٣

١٧ ـ عظم أجسام أهل النار :

وقد تقدم وصف عظم أهل الجنة بأنهم على طول أبينا آدم عليه السلام وهو ستون ذراعا . أما الكافر فان جسمه سيعظم فى النار . عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث . (١) وعنه أيضا مرفوعا : ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع . (٢) وخرج الترمذى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا ، وان ضرسه مثل أحد ، وان مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة . *

١٨ ـ تسويد وجوه أهل النار :

قال تعالى : " فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . " (٣) وقال سبحانه : " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . " (٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : " يوم ندعو كل أناس بامامهم " (٥) قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ، فيقولون : أبشروا ، لكل رجل منكم مثل هذا ، وقال : وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا على صورة آدم فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من شر

---

(١) مسلم ج ٤ ص ٢١٨٩
(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٦
(٤) سورة الزمر آية ٦٠
(٥) سورة الاسراء آية ٧١
* سنن الترمذى ج ٤ ص ٧٠٣

هـذا ، اللهم لا تأتنا بهذا ، قال ، فيأتيهم فيقولون : اللهم أخره ، فيقول ، أبعدكم الله ، فان لكل رجـل منكم مثل هـذا . (١)

١٩ - تشويـه وجـوه أهـل النار :

قال تعالى : " تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . " (٢) قال صلى الله عليه وسلم فى الآيـة : تشويـه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسـط رأسـه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته. (٣) وعن ابن مسعود رضـى اللـه عنه فى قوله (وهم فيها كالحون) قال : كلوح الرأس النضيـج بـدت أسنانهم وتقلصت شفاههم. (٤)

٢٠ - الصهـر :

ومن أنواع عذاب أهل النار الصهر . قال تعالى : " يصهر به مافـى بطونهم والجلود . " (٥) وقد تقدم حديث أبى هريرة الذى فسر هـذه الآيـة ، (٦) وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سألـه عن الآية قال : يـذاب مافى بطونهم اذا شربوا الحميم . (٧) وعن عطاء الخراسانى فى قوله (يصهر به) قال : يذاب كما يذاب الشحم . (٨) أى يذاب مافى بطونهم بالحميم كمـا يذاب الشحم ، وعن سعيد بن جبير فى قوله (يصهر به مافى بطونهم) قال : تسيـل أمعاؤهم وتتناثـر جلودهم حتى يقوم كل عضو بحياله . (٩)

---

(١) سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٠٢
(٢) سورة المؤمنون آيـة ١٠٤
(٣) اخرجـه الامام أحمد والترمذى ، واللفظ له ، ج ٤ ص ٧٠٨
(٤) الدر المنثور فى التفسـير بالمأثور ج ٥ ص ١٦
(٥) سورة الحج آيـة ٢٠
(٦) انظر ص ١٩٥ من هذا البحـث
(٧) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٤ ص ٣٤٩
(٨) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ٣٥٠
(٩) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ٣٤٩

٢١ ـ يجمع بين ناصية الانسان وقدميه فيطرح فى النار :

قال تعالى : " يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام " (١)
عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قال : تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور. (٢)
وعن الضحاك رضى الله عنه فى الآية قال : يأخذ الملك بناصية أحدهم فيقرنها الى قدميه ثم يكسر ظهره ثم يلقيه فى النار . (٣)

٢٢ ـ مقامع أهل النار :

قال تعالى : " ولهم مقامع من حديد " (٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال : يضربون بها فيقع كل عضو على حياله. (٥)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن مقمعا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض ، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان . (٦) ؛
وعن الفضيل بن عياض فى الآية قال : والله ما طمعوا فى الخروج لأن الأرجل مقيدة ، والأيدى موثقة ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها . (٧)

٢٣ ـ يكلف العبد على الدوران فى النار يجر أمعاءه :

ومما يعذب به الانسان الفاجر يوم القيامة أنه يكلف على الدوران فى النار وهو يجر أمعاءه . عن أسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الرحمن آية ٤١
(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٤٥
(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة.
(٤) سورة الحج آية ٢٠
(٥) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٤ ص ٣٥٠
(٦) المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١
(٧) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٤ ص ٣٥٠

قال : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يافلان ،مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه . (١)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما من حديث الكسوف ، وفيه : ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه فى النار .. الحديث ، (٢)

٢٤ ـ تعذيب الانسان بشىء قتل نفسه فى الدنيا :

اذا قتل الانسان نفسه فى الدنيا فان مما يعذب به يوم القيامة الشىء الذى قتل به نفسه . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ به فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . (٣)

وعن ثابت بن الضحاك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس على رجل نذر فيما لا يملك ، ولعن المؤمن كقتله ، ومن قتل نفسه بشىء فى الدنيا عذب به يوم القيامة . (٤)

٢٥ ـ اتيان الموت للانسان من كل وجه :

قال تعالى : " ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت " (٥) قال ابراهيم

---

(١) فى الصحيحين واللفظ لمسلم ج ٤ ص ٢٢٩١
(٢) مسلم ج ٢ ص ٦٢٢
(٣) مسلم ج ١ ص ١٠٣
(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ١٠٤
(٥) سورة ابراهيم آية ١٧

التيمى رضى الله عنه فى الآية : من كل موضع شعرة جسده . (١) وعن ميمون بن مهران رضى الله عنه فى الآية قال : من كل عظم وعرق وعصب . (٢)

والمعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كل جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره ، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح . قال مجاهد : تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فيجد لذلك راحة فتنفعه الحياة . (٣)

بعد أن ذكرنا تلك الأنواع من العذاب الحسى الذى ينكرها بعض الناس ، نأتى لبيان بعض ألوان العذاب الروحى التى سوف يجدها الأشقياء فى الدار الآخرة كما يحدثنا عنها القرآن الكريم :

٢٦ - يأسهم من رحمة الله ومغفرته :

قال تعالى : " أولئك يئسوا من رحمتى . " (٤) وقال سبحانه : " ولم يكن الله ليغفر لهم . " (٥)

٢٧ - يأسهم من رؤية الله سبحانه :

قال جل وعلا : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . " (٦)

٢٨ - عدم نظره سبحانه اليهم وتزكيته لهم :

قال جل شأنه : " ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم " (٧)

٢٩ - حرمانهم من النور الذى يبحثون عنه لدى المؤمنين بلا جدوى :

قال تعالى : " قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . " (٨)

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٤ ص ٧٤
(٢) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٤) سورة العنكبوت آية ٢٣
(٥) سورة النساء آية ١٣٧
(٦) سورة المطففين آية ١٥
(٧) سورة آل عمران آية ٧٧
(٨) سورة الحديد آية ١٣

٣٠ ـ حرمانهم من كل ما يشتهون :

قال سبحانه : " وحيل بينهم وبين ما يشتهون ." (١)

٣١ ـ يأسهم من الحياة الآخرة حيث لانصيب لهم فيها :

قال جلت قدرته : " قد يئسوا من الآخرة ." (٢)

وقال سبحانه : " أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ." (٣)

٣٢ ـ سوف يكونون مذمومين ، وملومين ، وممقوتين :

قال تعالى : " ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا " (٤)

وقال سبحانه : " ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا " (٥) وقال تعالى : " ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ، اذ تدعون الى الايمان فتكفرون " (٦)

٣٣ ـ يجللهم الخزى والعار :

قال تعالى : " سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله " (٧)

٣٤ ـ عندما يعرضون أمام الله تعالى فيراهم الأشهاد ويشيرون اليهم باحتقار :

قال تعالى : " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم " (٨)

٣٥ ـ وعندما يرون العذاب الأليم سوف يسرون الندامة الشديدة :

قال تعالى : " وأسروا الندامة لما رأوا العذاب " (٩)

---

(١) سورة سبأ آية ٥٤
(٢) سورة الممتحنة آية ١٣
(٣) سورة آل عمران آية ٧٧
(٤) سورة الاسراء آية ١٨
(٥) نفس السورة آية ٣٩
(٦) سورة غافر آية ١٠
(٧) سورة الأنعام آية ١٢٤
(٨) سورة هود آية ١٨
(٩) سورة يونس آية ٥٤

٣٦ ـ سوف يحسون تقطع كل العلائق التى تربطهم بساداتهم وأتباعهم :

قال تعالى : " وتقطعت بهم الأسباب " (١)

٣٧ ـ وفى كلمة واحدة خسرانهم :

قال تعالى : " أولئك هم الخاسرون " (٢)

وهناك كثير من الآيات والأحاديث التى تتحدث عن بعض ألوان العذاب ولم نذكرها هنا اكتفاء بما سقناه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى فهمنا من خلال دراستها أن العذاب الروحى يزاحم دائما العذاب الحسى .

ولايمكن أن نعرى هذه النصوص من معانيها الحقيقية ، ونتناولها على أنها مجرد تمثيل يفهم به العامة حقيقة العذاب الروحى لأن هذا من قبيل التأويل بلا قرينة .

والطريق الأسلم لمعرفة ما فى الآخرة من النعيم أو العذاب هو أن نأخذ هذه النصوص على ظاهرها حين لانجد قرينة صارفة عنها ، فلا تشغلنا عنها الأفكار التى لاتستند الى الوحى السماوى .

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٦
(٢) سورة الأنفال آية ٣٧

الفصل الرابع

هل الجنة والنار تبيدان أم تفنيان ؟

اختلف العلماء فى أبدية الجنة والنار الى ثلاثة أقوال : أحدها : قول يقول ببقائهما أبد الآباد ، وبه قال جمهور الأئمة من السلف والخلف. وثانيها : قول يقول بأنهما تفنيان ولا تبيدان. قال بهذا القول جهم بن صفوان امام المعطلة من الجبرية الخالصة . وثالثها : قول يقول ببقاء الجنة ، وفناء النار . قال بهذا جماعة من السلف والخلف ، واليك تفصيل هذه الأقوال فيمايلى :

المذهب الأول : قول ببقاء الجنة والنار :

ذهب الجمهور الى بقاء الجنة والنار ودوامهما الى مالا نهاية ، وقد اعتمدوا فى ذلك على ما ورد فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة من الآيات والأحاديث التى تدل دلالة واضحة على بقائهما بقاء سرمديا .

١ ـ أبدية الجنة :

أما أبدية الجنة ، وأنها لا تفنى ، فهذا مما يعلم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به ، ولذلك كان الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ومن بعدهم من أئمة المسلمين يعتقدون بذلك معتمدين فيه على نصوص الكتاب والسنة . (١)

أما نصوص الكتاب فمنها قوله تعالى : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . " (٢) وهذه الآية الكريمة

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٩
(٢) سورة النساء آية ٥٧

صريحة فى أن خلود أهل الجنة فى الجنة مؤبد الى مالا نهاية ، واذا كان خلودهم فيها موصوف بالأبدية ، فانه يقتضى أن تكون الجنة باقية من غير أن تفنى أبد الآباد .

ومنها قوله عز وجل : " ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ." (١) وقوله تعالى : " أكلها دائم وظلها " (٢) وقد وصف الله تعالى فى هاتين الآيتين النعم التى يفيضها الله سبحانه على عباده فى الجنة بأنها لا تنفد ولا تزول بل تبقى دائما وأبدا ، وهذا يقتضى أيضا دوام الجنة وبقاءها من غير أن تفنى .

ويؤيد ذلك قوله تعالى : " لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين " (٣) فاذا كان أهل الجنة لا يخرجون منها فمعنى هذا أنهم يبقون فيها بقاء الجنة ، وبقاء الجنة بقاء مؤبد أبد الآباد بدليل أن خلودهم فيها موصوف بالتأبيد كما فى الآية السابقة . فلما وصف الله تعالى خلودهم فيها بالتأبيد فانه يقتضى أن يكون بقاء الجنة بقاءا مؤبدا .

ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى : " وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ." (٤) واختلف السلف فى هذا الاستثناء الى أقوال ، غير أن هذا الخلاف لا يقدح فى أبدية الجنة بقوله (عطاء غير مجذوذ) أى غير مقطوع.

قال ابن القيم : ويمكن الجمع بينها أى بين هذه الأقوال بأن يقال : أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت الا وقتا يشاء الله تعالى أن لا يكونوا فيه ، وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم فى النار مدة . وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه ، وقوله

---

(١) سورة ص آية ٥٤ (٢) سورة الرعد آية ٣٥ (٣) سورة الحجر آية ٤٨
(٤) سورة هود آية ١٠٨

فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم .(١) فما دام عطاء الله تعالى ورحمته لاتنقطع فانه يلزم من ذلك دوام الجنة دواما سرمديا .

ويؤيد ذلك أيضا قوله عز وجل : " لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى " (٢) قال ابن القيم فى هذه الآية : وهذا الاستثناء منقطع ، واذا ضممته الى الاستثناء فى قوله : (الا ما شاء ربك) تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت . فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها . (٣) وهناك آيات أخرى استدل بها الجمهور على مذهبهم ،لم نذكرها اكتفاء بما تقدم .

وأما أدلتهم من السنة فكثيرة ، منها : حديث أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينادى مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا . " (٤)

وعن عبد الله قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يدخل الله أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة ! لا موت ، ويا أهل النار ! لا موت ،كل خالد فيما هو فيه . (٥)

وهذان الحديثان يصرحان بأن أهل الجنة اذا دخلوها فانهم يخلدون فيها من غير أن يطرأ عليهم الموت أبدا ، واذا كان هذا الخلود يلازم عدم الموت ، فمعناه أن أهل الجنة يبقون فيها بقاء لا نهاية له متنعمين فيها بنعم لانفاد

---

(١) حادى الأرواح ص ٢٤٤
(٢) سورة الدخان آية ٥٦
(٣) حادى الأرواح ص ٢٤٤
(٤) مسلم ج ٤ ص ٢١٨٢
(٥) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ٢١٨٩

لها ولا زوال . وعلى هذا فالجنة تكون باقية بقاء لا يقبل الزوال والفناء.

ذلك لأنه لو تفنى الجنة وتزول ـ كما قاله الجهم ومن شايعه ـ فأين يكون أهلها الذين حكموا بعدم الموت ، فلو كان فى الآخرة مكان لأهل الجنة غيرها لذكره الرسول صلى الله عليه وسلم. وأيضا فان النعم التى سوف يتنعم بها أهل الجنة ، والتى وصفت بعدم نفادها انما تكون فى الجنة لاغيرها بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت.

٢ـ أبدية النار :

احتج الجمهور على بقاء النار وعدم فنائها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والاجماع ، والعقل.

أما الآيات فمنها قوله عز وجل : " ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ."(١) وقوله جل وعلا : " ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا . " (٢) فأخبر سبحانه فى هاتين الآيتين أن خلود أهل النار فيها مؤبد لمدة لانهاية لها مما يلزم من ذلك عدم فناء النار ، اذ لو تفنى لتعارض مع هذا الخلود الأبدى الذى يكون عليه أهل النار ، وهذا مستحيل فى كلام الله تعالى .

ومنها قوله تعالى : " وماهم بخارجين من النار . " (٣) وقوله سبحانه : " كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها . " (٤) واذا كان أهل النار لايخرجون منها بل يلازمهم فيها العذاب كما فى قوله تعالى : " ان عذابها كان غراما " (٥)

---

(١) سورة النساء ، آية ١٦٩
(٢) سورة الأحزاب آية ٦٤ ـ ٦٥
(٣) سورة البقرة ، آية ١٦٧
(٤) سورة السجدة آية ٢
(٥) سورة الفرقان آية ٦٥

دون مفارقتهم اياه ، ودون النجاة منه بموت ولا بدعاء كما قال تعالى : " والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ." (١) وقال تعالى : " ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ." (٢) واذا كانوا لا يخرجون منها ، ولا ينجون من عذابها بأية وسيلة فان ذلك يقتضى أن تدوم النار دواما لا زوال له ، اذ لو تفنى وتزول فالى أين يصير أهلها الذين حكموا بعدم الموت فيها ، وعدم الخروج منها . ومن ثم فلا التفات لقول من قال بفنائها بعد انقضاء المدة المضروبة لها .

وأما الأحاديث فقد سبق أن ذكرنا حديث أبى سعيد الخدرى ، وحديث عبد الله — رضى الله عنهما — عند مسلم ما يدل على أن النار تبقى أبد الآباد . ويؤيد ذلك ما فى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى أيضا — رضى الله عنه — قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد ، يا أهل الجنة ! فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه . ثم ينادى ، يا أهل النار ! فيشرئبون وينظرون فيقول ، هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه فيذبح . ثم يقول ، يا أهل الجنة ! خلود فلا موت ، يا أهل النار ! خلود فلا موت . (٣)

وفى رواية عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا صار أهل الجنة الى الجنة ، وصار أهل النار الى النار ، أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح . ثم ينادى مناد ، يا أهل الجنة ! لا موت . ويا أهل النار ! لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم . (٤)

---

(١) سورة فاطر آية ٣٦
(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٧ — ١٠٨
(٣) البخارى ج ٦ ص ١١٧ — ١١٨
(٤) مسلم ج ٤ ص ٢١٨٩

وفى هذين الحديثين الصحيحين التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا الى غاية ، واقامتهم فيها على الدوام بلا موت ، ولا حياة تنفعهم . كما قال تعالى : " انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحى . " (١)

وأما الاجماع فقد نقل عن القرطبى قوله عن ذلك ، فقال : فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تفنى وتبقى خالية ، أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة . (٢)

وقال أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى : أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار ، وعلى دوام نعيم أهل الجنة ، ودوام عذاب الكفرة فى النار . (٣)

وقال ابن حزم : اتفقت فرق الأمة على أنه لا فناء للجنة ولا نعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها الا جهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف ، وقوما من الروافض. (٤)

أما العقل فانه يقضى بخلود الكفار فى النار خلودا لا نهاية له ، وذلك بناء على قاعدة ، وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة ، وعقوبة النفوس الفاجرة ، هل هو مما يعلم بمجرد العقل أو لا يعلم الا بالسمع.

ذهب كثير من المسلمين الى أن ذلك يمكن ادراكه بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كانكاره تعالى على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات ، وعلى من زعم أنه تعالى خلق الخلق عبثا ، وأنهم لا يرجعون اليه سبحانه ، وأنهم يتركهم سدى من غير أن يثيب المطيع ، ويعاقب الفاجر. كل ذلك مما يقدح فى حكمته تعالى وكماله كما يدرك ذلك العقل.

---

(١) سورة طه ، آية ٧٤
(٢) نقله ابن حجر فى الفتح ج ١١ ص ٤٢١
(٣) أصول الدين لأبى المنصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى ص ٢٣٨
(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٨٣

وقالوا : ان النفوس البشرية باقية ، واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لاتفارقها كما قال تعالى : " بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ."(١) ولو قدر أن أهل النار رجعوا الى الدنيا بعد أن ذاقوا مرارة العذاب ،وشدة العقاب ، فان خبث نفوسهم وغيها وكفرها وضلالها لاتفارقها بل تلازمها مع علمهم بأن ذلك هو سبب تعذيبهم ومعاقبتهم . واذا كانت النفوس على هذه الحالة فانها تستحق بحكم العقل أن يلازمها العذاب والعقاب كما جاء به السمع. واذا ثبت أن عذاب أهل النار يدوم عليهم فان ذلك يقتضى أن تدوم النار دوام هذا العذاب. (٢)

وقالوا أيضا أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان . (٣)

المذهب الثانى : قول بفناء الجنة والنار :

قال جهم بن صفوان : ان الجنة والنار لابد أن تفنيا وتبيدا خلافا لقول الجمهور ببقائهما الى مالا نهاية . والذى حمل الجهم على هذا القول ، اعتقاده بامتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث ،فرأى أن ما يمنع من حوادث لا أول لها فى الماضى يمنع كذلك فى المستقبل. فدوام الفعل الى مالا نهاية ممتنع على الله سبحانه فى المستقبل كما هو ممتنع عليه تعالى فى الماضى . (٤)

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٢٨
(٢) راجع حادى الأرواح ص٢٥٤
(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٤
(٤) راجع حادى الأرواح ص ٢٤٥

ومعنى هذا أن الجنة وما فيها من أنواع النعيم ، والنار وما احتوته من شتى العذاب لما كانت من الحوادث ، فلا يعقل أن تبقى أبد الآباد من غير انقطاع ولا زوال . وعلى ذلك فالجنة والنار سوف تفنيان بعد انتهاء مدتهما المضروبة لهما قياسا على استحالة وجود حوادث لا أول لها فى الماضى .

الجواب :

أجيب بأن هذا الأصل ، وهو امتناع وجود حوادث لانهاية لها غير مسلم ، ذلك لأن الله تعالى الذى يحدث الحوادث لم يزل حيا ، والفعل من لوازم الحياة ، فان كل حى فعال . والفرق بين الحى والميت الفعل . وقد قال غير واحد من السلف : (الحى فعال .) وقال عثمان بن سعيد : " كل حى فعال " ولم يكن ربنا سبحانه قط فى وقت من الأوقات معطلا عن كماله من الكلام والارادة والفعل . (١) قال تعالى : " ولكن الله يفعل ما يريد " (٢) وقال سبحانه : " ذو العرش المجيد فعال لما يريد . " (٣) وقال عز وجل : " ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . " (٤)

فدوام أفعال الله عز وجل غير ممتنع ، بل هو ممكن فى أى وقت سواء كان فى الماضى أو فى المستقبل كما قاله أئمة الحديث (٥) ذلك لأن الله تعالى هو الأول الذى ليس قبله شىء ، والآخر الذى ليس بعده شىء ، فالرب تعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ، ويتكلم اذا شاء . (٦)

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٣
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٣
(٣) سورة البروج ، آية ١٥ ـ ١٦
(٤) سورة لقمان ، آية ٢٧
(٥) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٢
(٦) راجع حادى الأرواح ص ٧٢

ومن ثم فدوام الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها أمور ممكنة ، لأن الله تعالى الذى يوجدها ويحدثها لا يزال حيا يفعل ما يشاء ، وكلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر ، وهكذا عذاب أهل النار الى مالا نهاية كما يدل على ذلك الآيات السابقة ، والأحاديث الصحيحة .

أما القياس الذى تمسك به الجهم ، وهو أن وجود حوادث لانهاية لها فى المستقبل محال قياسا على امتناع وجود حوادث لانهاية لها فى الماضى ، فهذا قياس فاسد لا أساس له من الكتاب والسنة . ذلك لأن الحوادث التى تحدث فى المستقبل لا يمكن أن توصف بالأزلية ، ولكن يجوز أن توصف بالأبدية ، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة كما قال تعالى : " سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . " (١)

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ينادى مناد : يا أهل الجنة ! ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وتشبوا فلا تهرموا أبدا ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا . (٢)

المذهب الثالث : قول ببقاء الجنة وفناء النار :

ان مسألة بقاء الجنة ليست هى محل النزاع بين السلف والخلف ، وكلهم متفقون على أن الجنة لا تفنى ، بل تبقى بقاء أبديا سرمديا ما عدا الجهم الذى قال بفناء الجنة والنار كما تقدم الكلام عليه . والذى يدور حوله النزاع فيما بينهم هو مسألة أبدية النار أو فنائها .

---

(١) سبق ذكرنا لهذه الآية .
(٢) " " لهذا الحديث .

والجمهور على أبديتها من غير أن تفنى أبدا كما هو شأن الجنة • وقد ذكرنا أدلتهم من الكتاب والسنة والاجماع والعقل ، فلا حاجة لاعادتها •

أما الذين قالوا بفنائها فهم جماعة من السلف ، كعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ـ رضى الله عنهم ـ (١) ومن الخلف كابن قيم الجوزية كما سيأتى بيان ذلك باذن الله تعالى •

وقد ردوا أدلة الجمهور بأنها ليس فيها ما يدل على أن النار لا تفنى ، فالآيات القرآنية التى استدلوا بها على رأيهم انما تدل دلالة قطعية على أن الكفار سيخلدون فى النار أبدا ، وأنهم لا يخرجون منها ، ولا يفتر عنهم عذابها بل يلازمهم ملازمة دون أن يفارقهم ، وأنهم لا يموتون فيها فيفنون • كل ذلك صحيح لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، فمن قال بخلاف ذلك فقد أنكر ما علم من الدين بالضرورة من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بذلك •

ولكن ليس ذلك هو مورد الخلاف ، وانما معترك النضال هو أبدية النار ، فهل تبقى بقاء لا نهاية له أم انما كتب عليها الفناء •

قالوا : أما هذه الآيات فانما تقتضى خلودهم فى النار ما دامت باقية ، ولا يخرجون منها مع بقائها ألبتة كما يخرج منها العصاة من الموحدين مع بقائها ، وهناك فرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله ، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه •

وأما الأحاديث فانما تدل على ما دلت عليه الآيات من أن أهل النار سيبقون

---

(١) انظر فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٢ ، وحادى الأرواح ص ٣٤٩

فيها خالدين أبدا مادامت باقية ، وأنهم لا يموتون فيها ، واذا انتهت مدة بقائها خرج منها أهلها . فهذه الأحاديث اذن لا تنهض دليلا قاطعا على عدم فناء النار .

وقالوا : أما الاجماع الذى ادعاه الجمهور فليس بصحيح ، اذ لو كلف أحد من مدعى الاجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم الى الواحد أنه قال بعدم فناء النار أبدا لما استطاع ذلك . والذى يظن هذا الاجماع فى المسألة من لم يعرف النزاع حولها . كيف ، وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثا ، وقد نقل عن بعض الصحابة التصريح بخلاف هذا الاجماع كما سيأتى كلامهم فى ذلك .

وقالوا : الاجماع المعتد به ثلاثة أنواع : نوعان متفق عليهما ، ونوع مختلف فيه . أما النوع الأول فهو ما يكون معلوما من الدين بالضرورة كوجوب أركان الاسلام ، وتحريم المحرمات الظاهرة . والنوع الثانى : ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه . والنوع الثالث : أن يقول بعض المجتهدين قولا ثم انتشر فى الأمة فلم ينكره أحد منهم . فأما الاجماع الذى ادعيتموه لم يكن من قبيل هذه الأنواع الثلاثة . (١)

وقالوا : أما القول بأن فى عقائد السلف وأهل السنة التصريح فى أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبدا ، فلا شك أن القول بفنائهما من غير التفريق بينهما قول من أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ، ولم يكن أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من أئمة المسلمين قال بهذا القول . وأما فناء النار وحدها فقد ذكرنا لكم من قال به من الصحابة .

والصحيح الذى أخبر به أهل السنة فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان

---

(١) راجع حادى الأرواح ص ٢٥٥

وأن أهل النار لا يخرجون منها ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، وأنه ملازم لهم ولا يفتر عنهم ، وأنهم خالدون فيها ، (١) وإذا وجد منهم من ذكر أن النار لا تفنى أبدا فانما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم تبلغه الآثار التى تقول بفنائها •

وأما قولكم بتخليد أهل النار فيها بحكم العقل فاخبار عنه بما ليس عنده اذ المسألة غيبية لا تدرك الا بطريق السمع • نعم ، ان العقل يدل على المعاد والثواب والعقاب أجمالا ، ولكن لا يدركها تفصيلا الا بالسمع ، فدوام الثواب والعقاب مما لا يقدر العقل وحده على معرفته • (٢)

أدلة القائلين بالفناء :

ذكر ابن القيم فى كتابيه " حادى الأرواح " و " الصواعق المرسلة " وجوها تقتضى فناء النار وما فيها من العذاب ، وذلك بعد أن أخرج منها من دخلها من أهل التوحيد بمدة لا يعلمها الا الله • ونذكر بعض هذه الوجوه على وجه الاختصار بما فيها الكفاية • (٣)

الوجه الأول : أن الله تعالى قيد دار العذاب ، ووقتها بما لم يقيد به دار النعيم ووقتها ، فقيدها بالمشيئة ، وأخبر أن ذلك صادر عن حكمته وعلمه • قال تعالى : " أما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد • " (٤) وقال تعالى : " قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم • " (٥)

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ج ١ صـ ٢٢٥ اختصره الشيخ محمد بن الموصلى •
(٢) انظر المصدر السابق ص٢٥٧
(٣) اقتطفتها من كلام ابن القيم فى كتابه " مختصر الصواعق المرسلة "ج ٢ ص٢٢٢ ـ ٢٤٠ ،بتصرف
(٤) سورة هود ، آية ١٠٧ (٥) سورة الأنعام ، آيـة ١٢٨

وكأنه سبحانه أعلمنا أنه يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به ، ولا حجر عليه تعالى فيما يريد بهم من عذاب أو اخراج منها ، فان الأمر راجع الى مشيئته وارادته التى لاتخرج عن علمه وحكمته . كيف وقد روى عن أبى هريرة أنه قال : ما أنا بالذى أقول انه سيأتى على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد ، وقرأ "وأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ." .

ولا يقال ان المستثنى واقع على ما قبل دخول أهل النار فيها ، وهو مدة لبثهم فى البرزخ وفى مواقف القيامة ، اذ لا يتأتى هاهنا ، فان هذا قد علم انتفاء الدخول فى وقته قطعا ، فليس فى الاخبار به فائدة ، وهو بمنزلة أن يقال : أنتم خالدون فيها أبدا الا المدة التى كنتم فيها فى الدنيا . وهذا ينزه عنه كلام الفصحاء البلغاء فضلا عن كلام رب العالمين . وهو أيضا بمنزلة أن يقال للميت : أنت مقيم فى البرزخ الا مدة بقائك فى الدنيا .

وان قيل أن هذا ينتقض بالاستثناء فى أهل الجنة لأن هذا وارد فيهم بعينه . قيل لا ، لأنه قد اقترن بالاستثناء فى أهل الجنة ما ينافى ذلك ، وهو قوله : " عطاء غير مجذوذ " ولهذا ـ والله أعلم ـ عقب الاستثناء بهذا رفعا لهذا التوهم ، وعقب الاستثناء فى أهل النار بأنه يفعل ما يريد .

وقال تعالى : " ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا " (١) وقد وقت الله تعالى فى هذه الآية لبث أهل النار فيها بالأحقاب ، والأحقاب جمع حقب ، وهو مدة من الزمان . عن ابن مسعود فى قوله (لابثين فيها احقابا) قال : الحقب ثمانون سنة . (٢) وعن أبى هريرة فى قوله (لابثين فيها أحقابا)

---

(١) سورة النبأ ، آية ٢١ ـ ٢٣
(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٧

قال : الحقب ثمانون سنة ، والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون • (١) وهكذا روى عن ابن عباس وغيره •

فلما كان لبث أهل النار فيها مؤقتا بتلك المدة ، دل ذلك على أن هناك يوما يخرجهم الله تعالى فيه منها • وقد روى عبد بن حميد ـ وهو من أجل أئمة الحديث ـ فى تفسيره المشهور ، قال : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال : قال عمر : " لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه • " ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى : " لابثين فيها أحقابا "

وان قيل أن الحسن لم يسمع عن عمر ، وكان الأثر منقطعا ـ كما قاله ابن حجر فى الفتح (٢) فيقال ، انما رواه عن بعض التابعين ، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به اذ قال : قال عمر بن الخطاب • ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر أو كان مخالفا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاجماع لما تداوله هؤلاء الأئمة عن عمر ، ولأنكروه عليه ، اذ من المعلوم أن هؤلاء الأئمة لا يقرون بما لم يتفق مع الكتاب والسنة والاجماع ، بل ينكرونه أشد الانكار •

ويؤيد هذا ما أثر عن ابن مسعود أنه قال : وليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا " وقال حرب عن اسحاق بن راهوية ، حدثنا عبد الله بن معاذ ، حدثنا أبى ، حدثنا شعبة عن أبى بلج أنه سمع عمرو بن ميمون يحدث عبد الله بن عمرو قال : "ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا • " (٣)

---

(١) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، وتفسير القرطبى ج ١٩ ص ١٧٨
(٢) راجع فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٢
(٣) ذكر هذه الآثار ابن القيم فى (الصواعق المرسلة) ج ٢ ص ٢٢٤ ، وفى حادى الأرواح ص ٢٥٢

ولا يقال أن لفظ (أهل النار) خاص بعصاة الموحدين ، بل انما أريد به أهل النار . وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم أن هؤلاء وغيرهم يخرجون من النار ، وأنهم لا يلبثون فيها قدر رمل عالج ولا قريبا منه كما قال صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم ، فأماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة . ثم قيل : يا أهل الجنة ! أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل . (١)

وأيضا فان قوله تعالى: " ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا " صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآيات الله تعالى بدليل قوله تعالى الذى بعدها " انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا " (٢)

الوجه الثانى :

أن رحمة الله وسعت كل شيء ، فوصلت رحمته حيث وصل علمه فليس هناك مخلوق الا وقد وسعته رحمته وشملته ونال منها حظا ، واذا كان كل مخلوق قد انتهت اليه الرحمة ووسعته فلابد أن يظهر أثرها فيه آخرا كما ظهر فيه أولا ، فان أثر الرحمة ظهر فيه أول النشأة ، ثم اكتسب أسبابا عارضت آثار الرحمة ، واقتضت آثار الغضب . وهذه الأسباب مضمحلة زائلة لأنها عارضة . واذا ترتب على الغضب أثره ، وزالت تلك الأسباب عادت الرحمة فاقتضت أثرها آخرا كما اقتضته أولا لزوال المانع ، وحصول المقتضى فى الموضعين .

---

(١) مسلم ج ١ ص ١٧٢
(٢) سورة النبأ ، آية ٢٧ _ ٢٨

الوجـه الثالث :

أن الجنـة مقتضى رحمته ومغفرته ، والنار من عذابـه ، وهو مخلوق منفصـل عنه ، ولهذا قال تعالى : " نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابـى هو العذاب الألـيم. " (١)

وقال سبحانه : " اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم. " (٢) ـ فالنعيم موجب اسمائـه وصفاته ـ وأما العذاب فانه من مخلوقاته المقصـودة لغيرها بالقصد الثانى ، فرحمته من لوازم ذاته ، وليس غضبه وعقابه من لوازم ذاتـه فهو سبحانه لا يكون الا رحيما كما أنه لا يكون الا حيا عليما قديرا سميعا ، وأمـا كونه لا يكون الا غضبانا معذبا فليس ذلك من كماله الأقدسى ، ولا هو مما أثنـى بـه على نفسه وتمدح بـه.

الوجـه الرابع :

ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة ، ولم يكتب عليها الغضب ، وسبقت رحمته غضبه ، وغلبته ، ولم يسبقها الغضب ولا غلبها ، ووسعت رحمته كل شئ ولم يسـع غضبه وعقابه كل شئ ، وخلق الخلق ليرحمهم لا ليعاقبهم ، والعفو أحـب اليه مـن الانتقام ، والفضل أحـب اليه من العدل ، والرحمة آثر عنده من العقوبـة ، وجعل جانب الفضل الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائـة ضعف الى أضعـاف كثيرة ، وجانب العدل السيئة فيه بمثلها ، وهى معرضة للزوال بأيسر شـئ ، وكل هذا ينفى أن يخلق خلقا لمجرد عذابه السرمدى الذى لا انتهاء له ، ولا انقضاء لا لحكمة مطلوبة الا لمجـرد التعذيب والألـم الزائـد على الحد .

---

(١) سورة الحجـر ، آيـة ٤٩ ـ ٥٠
(٢) سورة المائدة آيـة ٩٨

الوجه الخامس :

أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيرا قط ، ويدخلها من ينشئه الله تعالى فيها ، ويدخلها من دخل النار أولا ، ويدخلها الأبناء بعمل الآباء ، وأما النار فذلك كله منتف فيها ، ولا يدخلها من لم يعمل شرا قط ، ولا ينشئ الله تعالى فيها خلقا يعذبهم من غير جرم ، ولا يدخلها من يدخل الجنة أولا ، ولا يدخلها الذرية بكفر الآباء وعملهم . وهذا يدل على أنها خلقت لمصلحة من دخلها لتذيب فضلاته وأوساخه وأدرانه ، وتطهره من خبثه ونجاسته فليست الداران عند الله سواء فى الأسباب والغايات والحكم والمصالح .

الوجه السادس :

ان الله تعالى لا يعذب أحدا الا لحكمة كما اقتضى شرعه العقوبات الدنيوية بالحدود التى أمر باقامتها لما فيها من المصالح والحكم فى حق صاحبها وغيره . وكذلك ما يقدره من المصائب والآلام فيها من الحكم مالا يحصيه الا الله من تزكية النفوس وتطهيرها ، والردع والزجر ، وتعريف قدر العافية ، وامتحان الخلق ليظهر من يعبده على السراء والضراء ممن يعبده على حرف الى غير ذلك من الحكم الكثيرة . والجنة طيبة لا يدخلها الا طيب . ولهذا يدخل النار من أهل التوحيد من فيه خبث وشر حتى يتطهر فيها . ومن كان فيه دون ذلك حبس على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذب ونقى أذن له فى الدخول . ومعلوم أن النفوس الشريرة الظالمة الأثيمة لاتصلح لتلك الدار التى هى دار الطيبين فاقتضت الحكمة الالهية تعذيب هذه النفوس عذابا يطهر نفوسهم من ذلك الشر والخبث ، ويكون ذلك العذاب مصلحة لهم ورحمة بهم ، وهذا معقول فى الحكمة . أما خلق نفوس لمجرد العذاب السرمدى لا لحكمة ولا لمصلحة فتأباه حكمة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين .

وان قيل : لما كان من نيته أن يستمر على الشرك والكفر ، ولو عاش أبدا كان عقابه موافقا لهذه النية والاصرار .

فالجواب : أن العقوبة الدائمة اما أن تكون مصلحة للمعاقب أو للمعاقب، أو لهما أو لغيرهما ، أو لا مصلحة فيها ألبتة . والأقسام كلها باطلة.

أما المعاقب فانه انما تكون العقوبة مصلحة فى حقه اذا كان محتاجا اليها لشفاء غيظه ، واطفاء نار غضبه التى يتأذى ببقائها . والله تعالى منزه عن ذلك كله. وأما أنه لا مصلحة للمعاقب ولا لغيره فى ذلك فظاهر. فتعين القسم الأخير وهو أنه لا مصلحة فيها البتة . وما كان كذلك فهو عبث يتعالى الله عنه . وهذا بخلاف ما اذا قيل : وضعت العقوبة لمصلحة، وتعذرت بقدرها . فاذا حصلت الحكمة والغاية المطلوبة منها ، وترتبت المصلحة التى قصدت بها ،عاد الأمر الى الرحمة والجود .

الوجه السابع :

ان النفوس الظالمة الكافرة انما استمرت فى ظلمها وكفرها مدة بقائها فى الدنيا لقيام الأسباب التى زينت لها ، ولولا تلك الأسباب لآثرت رشدها فانه مقتضى فطرتها . ولا ريب أن تلك الأسباب تبطل وتضمحل فى الآخرة ولا سيما فى دار العذاب بعد أن ذاقت فيها كل ألوان العذاب اذ ليس فى الطبيعة الانسانية الاصرار على تلك الأسباب ، وايثارها بعد طول التألم الشديد بها . نعم ، العذاب باق ما بقيت النار ، فاذا قدر زوالها ، واقرار أصحابها على أنفسهم أنهم كانوا ظالمين ، وأن الله تعالى انما عذبهم بعدله، وشهدوا على أنفسهم أنهم لا يصلح لهم غير ما هم فيه من العقوبة ، فقام بقلوبهم حمده وشكره ، والثناء عليه بموجب أسمائه وصفاته التى كانت فى فطرهم اولا ، وحمدوه حمد محب معترف بالجناية ،وآثروا رضاه على كل شىء

فلو قام هذا بقلوبهم حقيقة وعلمه الله منهم لصارت النار بردا وسلاما عليهم كما فى الأثر المرفوع الذى ذكره ابن أبى الدنيا فى كتابه (حسن الظن بالله) أن رجلين ممن دخلوا النار ، اشتد صياحهما فقال تعالى : أخرجوهما ، فأخرجا . فقال : لأى شىء اشتد صياحكما ؟ قالا : فعلنا ذلك لترحمنا ، قال : رحمتى بكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . قال ، فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيها ، فيجعلها الله بردا وسلاما عليه . ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه ، فيقول له الرب : ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : رب ، انى أرجو ألا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى ، فيقول الرب : لك رجاؤك فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله . (١)

فهذا الرجل لما آثر مرضاة الله بالعذاب على مرضاة نفسه ، وقام بقلبه أن رضا ربه فى تعذيبه ، وهو أحب اليه من رضا نفسه ، استحالت النار فى حقه ، وانقلبت بردا وسلاما .

وهذا أمر مشاهد فى الواقع بين الناس ، فان المذنب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ، اذا ألقى نفسه بفناء من أساء اليه ، وتوسد عتبة بابه فوضع خده عليها مستسلما مسلما نفسه اليه ليقضى فيها ما أراد راضيا بما يقضيه فيه . عالما أن الحق له ، فانه متى فعل ذلك أذهب ما فى قلب من أساء اليه من الحنق والغيظ ، وعاد مكان الغضب عليه رقة ورحمة . هذا مع حاجته ، وبلوغ أذاه ووصوله اليه ، وقلة صبره وضعف احتماله ، فكيف بالغنى الحميد الذى لن يبلغ العباد ضره ولا نفعه ، فلا تزيد عقوبتهم فى ملكه شيئا وهو أرحم الراحمين .

---

(١) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص ٢٦٤

الوجه الثامن :

ان الذى يخلقه الله تعالى ويقدره من الأمور نوعان : غايات ، ووسائل • وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن الوسائل تضمحل وتبطل اذا حصلت غاياتها كما يبطل السفر عند بلوغ المنزل ، ويزول الأكل والشرب عند حصول الشبع والرى • والخيرات والمنافع هى الغايات المقصودة لنفسها ، والشرور والآلام انما تقصد قصد الوسائل لافضائها الى الخيرات والمنافع • وما كان مقصودا لنفسه فان بقاءه ودوامه هو مقتضى الحكمة • وأما اذا كان مقصودا لغيره • فاذا حصل ذلك المقصود به لم يكن فى دوامه وبقائه حكمة ولا مصلحة ، والله تعالى خلق النار سوطا يسوق بها عباده الى رحمته وجنته ، ويخوف بها من معصيته ويطهر بها من اكتسب من عباده خبثا ونجاسة ، وعقوبته يعاقب بها أعداءه على مقادير جرائمهم • وهذه كلها أمور مقصودة لغيرها مفضية الى مصالح مقصودة لنفسها •

الوجه التاسع :

ان تلك النفوس الظالمة الكافرة فيها ما يقتضى الرحمة من اقرارها بفاطرها وربوبيته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره ومحبته وتعظيمه واجلاله ، وفيها ما يقتضى الغضب والعقوبة كالشرك به ، وايثار هواها على طاعته ومرضاته • ولما كان مقتضى العقوبة فيها أقوى كان الحكم له • ومعلوم أن العقوبة ان لم تذهب الأسباب المقتضية لها ولم تزلها بالكلية فانها تخففها وتضعفها ، فاما أن تقاوم أسباب الرحمة ، واما أن تترجح عليها • وعلى التقديرين يبطل أثرها • وهم يعلمون أن الأرض ومن فيها له سبحانه ، وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ، وأن بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ، واذا مسهم الضر فى البر والبحر تضرعوا اليه وفزعوا اليه ، وقالوا انما نعبد من دونه هذه الآلهة

لتقربنا اليه ، وتشفع لنا عنده ، وهم يحبونه ، ويقصدون التقرب اليه ، وهذا مما وضعه فيهم برحمته ومنته ، فعلم فيهم ما يقتضى رحمته ونعمته ، ولكن لما غلبت أسباب النعمة كان الحكم للغالب . وذلك لا يمنع اقتضاء المغلوب أثره وترتبه عليه .

وقد ثبت فى الصحيح أن الله يقول للملائكة : أخرجوا من النار من فى قلبه من الخير ما يزن درة أو برة ، وأنها تخرج منها من فى قلبه أدنى مثقال ذرة من ايمان . فانظر هذا الجزء اللطيف جدا كيف غلب تلك الأسباب الكثيرة القوية ، وأبطلها وعاد الحكم له . وثبت فى الصحيحين أن الله تعالى يخرج منها من لم يعمل خيرا قط ، ولكن هذا اخراج منها وهى باقية على حقيقتها وناريتها فأخرج منها بهذا الجزء اليسير ، ومعلوم أن أعداء المشركين لن تخلو قلوبهم من الايمان به . قال تعالى : " وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون . " (١) فأثبت لهم ايمانا مع الشرك ، وهذا الايمان وان لم يؤثر فى اخراجهم من النار كما أثر ايمان أهل التوحيد ، بل كانوا معه خالدين فيها لشركهم وكفرهم فان النار انما سعرها عليهم الشرك والظلم . فلا يمتنع فى الرحمة والحكمة والعدل أن يطفئها ويذهبها بعد أخذ الحق منهم ، فيجتمع ضعف أسباب تسعيرها وقوة أسباب زوالها . فهذا غير ممتنع فى الحكمة الالهية ، ولم يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بامتناعه ولا دل على ذلك نقل ولا عقل ، بل الذى دل عليه النقل والاجماع أنهم خالدون فيها أبدا وأنهم ليسوا بخارجين منها ، ولا يموتون فيها ولا يحيون . وهذا متفق عليه بين المسلمين ، ولكن الشأن فى أمر آخر .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٦

الوجـه العاشر :

ان أسباب العذاب من النفس . وغايـاتها اتباع أهوائها . وأما أسباب الخـير فمن ربها وفاطرها ، وهو الغايـة والمقصود به ، فهى به وله . قـال تعالى : " ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك . " (١)

ان سبب الحسنات كلها هو الله الذى لم يزل ولا يزال ، وهو الغاية المقصودة من فعلها فتدوم بدوام سببها . وأما السيئات فسببها وغايتها منقطع هالـك فلا يجـب دوامها ، فتأمل هذا الوجـه فانه من ألطف الوجوه ، فان الأسبـاب تضمحـل باضمحلال غاياتها ، وتبطل ببطلانها . وهذا الوجـه وغيره يبـين أن الحكمـة والمصلحـة فى خلـق النار تقتضى بقاءها ببقاء السبب والحكمـة التى خلقت له ، فاذا زال السبب وحصلت الحكمـة عاد الأمـر الى الرحمـة السابقة الغالبة الواسعة .

الوجـه الحادى عشر :

انه لو كانت دار الشقاء دائمة دوام دار النعيم ، وعذاب أهلها فيها مساويـا لنعيم أهل الجنـة فى دوامه لم تكن الرحمة غالبة للغضب ، بل يكون الغضـب حينئذ قد غلب الرحمة . وانتفاء اللازم يدل على انتفاء ملزومه ، والشأن فـى بيان الملازمة .

وأما انتفاء اللازم فظاهر ، وقد دل عليه الحديث المتفق على صحته من حديـث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما قضى الله الخلق كتـب فى كتابه فهو عنده فوق العرش : ان رحمتى غلبت غضبى . (٢)

---

(١) سورة النساء آيـة ٧٩
(٢) واللفـظ البخارى ج ٤ ص ١٢٩

وبيان الملازمة أن المعذبين فى دار الشقاء أضعاف أضعاف أهل النعيم كما ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامه : يا آدم ! يقول لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار . قال : يارب ، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد : وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد . الحديث (١)

وعلى هذا فأهل الجنة عشر عشر عشر أهل النار ، وانما دخلوها بالغضب، فلو دام هذا العذاب دوام النعيم وساواه فى وجوده لكانت الغلبة للغضب : وهذا بخلاف ما اذا كانت الرحمة هى الغالبة ، فان غلبتها تقتضى نقصان عدد المعذبين أو مدتهم .

وبناء على الوجوه التى بينها ابن القيم ، يرى أن للعذاب نهاية ، وأن النار تفنى بعد انقضاء المدة المضروبة لها ، وأن أهلها يخرجون منها . وذلك مخالف لما ذهب اليه الجمهور من عدم فنائها وعدم خروج أهلها منها أبد الآباد ، وخاصة أستاذه شيخ الاسلام ابن تيمية الذى يرى فى المسألة مثل ما يراه الجمهور .

قال محمد بن عبدالرحمن بن قاسم مصحح كتابه (بيان تلبيس الجهمية) : ... ثم أخبر ببقاء الجنة والنار مطلقا ... ثم قال فى الهامش : وهذا مع ما يأتى ، يكذب ما افتراه عليه أعداؤه من القول بفناء النار . (٢)

---

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٣
(٢) بيان تلبيس الجهميه فى تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الاسلام ابن تيميه ج ١ ص ١٥٧

وهذا يدل على أن شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب الى أن النار لاتفنى ، وأن ما نسب اليه من خلافه ليس بصحيح .

والذى يترجح عندى فى المسألة هو رأى ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ وهو أن النار تفنى وعذابها يزول بعد انقضاء المدة التى ضربت لها والتى لا يعلمها الا خالقها سبحانه. وهذا هو الذى يتفق مع رحمة الله الواسعة الغالبة ، وكرمه الشامل ، وعفوه الفياض ، وحكمته البالغة .

وأما مصير أهلها بعد فنائها ، وانقطاع العذاب عنهم ، فهو مما يجب التوقف فيه ، وتفويض أمرهم الى خالقهم تبارك وتعالى . ذلك لعدم وجود نص من الكتاب والسنة يدل على حقيقة مصيرهم ، فهل يدخلون الجنة أم لا . وهذا مما لا يمكن للعقل الخوض فيه من غير أن يستند الى الأدلة السمعية .

والله تعالى أعلم .

الفصل الخامس

بيان أفكار بعض الناس المنتسبين الى الاسلام التى انحرفت عن حقيقة الجنة والنار ، والثواب والعقاب :

نتحدث فى هذا الفصل عن أفكار بعض الناس المنتسبين للاسلام التى انحرفت عن حقيقة هاتين الدارين الأخريين لنعرف مدى فسادها وبطلانها فى ميزان الوحى السماوى .

أ ـ الفلاسفة :

وممن اعترى الانحراف تصورهم فى الجنة والنار ، والثواب والعقاب الفلاسفة ، وخاصة بعض الفلاسفة المسلمين كابن سينا ، وابن رشد ، فقد أنكروا أن يكون فى الآخرة بعث جسمانى ، ورجوع الأرواح الى أبدانها ، مما أدى بهم الى عدم الاقرار بوجود الجنة والنار الحسيتين ، وانكار سائر ما وعد الله به المؤمنين من النعيم المادى ، وما توعد به الكفار من العذاب الجسمانى .

١ ـ تصور ابن سينا للنفس الانسانية :

ولعل من المستحسن قبل المضى فى الكلام على موقف الفلاسفة من الجنة والنار ، أن نعرض أفكار ابن سينا حول النفس الانسانية عرضا سريعا بقدر ما يكون على صلة بالموضوع ، ذلك لأن تصوره للنفس الانسانية له صلة وثيقة بالثواب والعقاب ، والجنة والنار .

يقول ابن سينا أن النفس مخلوقة حادثة ، تحدث كلما يحدث البدن ، وتوجد عند وجوده ، وليست سابقة له فى الوجود ، وهذا خلاف ما قاله بعض الفلاسفة من أن النفس وجدت قبل الجسد ، كأفلاطون اليونانى . وقد أهبطها الله تعالى الى البدن لحكمته السامية فى خلق هذا النوع الانسانى . (١)

(١) انظر " النجاة " لابن سينا ص١٨٣ ، و " فى الفلسفة الاسلامية للدكتور / ابراهيم مدكور ص ١٨٤

وهذه النفس مع كونها مخلوقة حادثة تبقى خالدة سرمدية بعد موت البدن ،فلا تموت بموت الجسد ، ولا تهلك بهلاكه • ان النفس حقيقة مجردة متميزة تمام التميز من البدن ، فعلاقتها بالجسم علاقة تعطى الجسم حيويته وحركاته ، فاذا مات البدن وانفصلت عنه الروح رجعت الى عالمها • (١)

ويقرر ابن سينا أن لذات النفس الباطنية أقوى وأشرف من لذات البدن الحسية ويبرهن على ذلك بأن لاعب الشطرنج مثلا تعرض له المطعومات والمنكوحات — وهما من ألذ الملاذ الحسية — فيعرض عنها من أجل لذة اللعبة — وقد تعرض تلك للانسان الذى يطلب المجد والرياسة فيصرف عنها يده ايثارا للحشمة ، ومن كبار النفوس وأصحاب الهمم العالية من لا يبالون بالموت فى اقتحام الخطر ومناجزة المبارزين ، لما يتوقعونه من لذة الحمد والثناء عليهم ولو بعد الموت • (٢)

وليس ذلك فى الانسان فقط بل فى الحيوان أيضا ، فانه يوجد من كلاب الصيد ما يقتنص ويمسك فريسته على صاحبه دون أن يتعرض لأكله ولو فى حالة الجوع ، بل ربما حمله اليه • ونحن نرى أيضا أن الأنثى من الحيوان تؤثر وليدها على نفسها ، وتخاطر فى سبيل حمايته أكثر من أن تخاطر فى سبيل حماية نفسها • (٣)

وعلى هذا وذاك ، فان لذة النفس الباطنية ثبتت أنها أقوى وأعظم من اللذة الحسية الظاهرة ، ثم اذا كانت اللذة الباطنية غير العقلية أقوى وأعظم من اللذة الحسية ، فمما لاشك فيه أن اللذة العقلية أقوى وأشد بكثير من اللذة الحسية • والدليل على ذلك أن حال الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون

---

(١) انظر " فى الفلسفة الاسلامية " ص ١٨١

(٢) انظر " التفكير الفلسفى فى الاسلام " للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٩٨

(٣) انظر نفس المصدر ص ٣٩٦

ألذ وأبهج من حال الحيوان الذى يأكل ويشرب وينكح ٠ (١)

٢ـ سعادة الانسان فى العلم والمعرفة :

يقول ابن سينا أن كل ما يعد لذيذا فهو سبب كمال يحصل للمدرك، وهو بالقياس اليه خير ، فكمال الجوهر العاقل فى العلم والمعرفة ٠ (٢) أى أن كمال الانسان انما يكون فى العلم والمعرفة بحيث يتمثل فيه الحقائق تمثلا جليا واضحا ، ويكون هذا هو سعادته وبهجته التى يتطلع اليه ، ويسعى جاهدا فى سبيل الوصول اليه٠

وهذه أقوال ابن سينا وددت أن أسجلها هنا لكى يشاركنا القارئ فى دراستها ، وتقدير مدى ما وصل اليه هذا الفيلسوف من تفكيره الفلسفى حول المسألة٠

قال ابن سينا : (٣)

(وكمال الجوهر العاقل أن تتمثل فيه جلية الحق الأول قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الذى يخصه ، ثم يتمثل فيه الجود كله على ما هو عليه مجردا عن الشوب مبتدأ فيه بعد الحق الأول بالجواهر العقلية العالية ثم الروحانية السماوية والأجرام السماوية ثم ما بعد ذلك تمثلا يمايز الذات) ٠

وقال أيضا :

(الآن اذا كنت فى البدن ، وفى شواغله وعوائقه فلم تشتق الى كمالك المناسب ولم تتألم بحصول ضده ، فاعلم أن ذلك منه لامنك ، وفيك من أسباب ذلك بعض ما نبهت اليه)

---

(١) انظر نفس المصدر ص٣٩٧ ، وتهافت الفلاسفة للامام الغزالى ص٢٨٢٠

(٢) انظر نفس المصدر ص٤٠٢

(٣) الاشارات والتنبيهات لابن سينا مع شرح نصير الدين الطوسى ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ج ٢ ص٨٣

وقال أيضا :

(والعارفون المتنزهون اذا وضع عنهم د ون مقارنة البدن ، وانفكوا عن الشواغل خلصوا الى عالم القدس والسعادة ، وانتقشوا بالكمال الأعلى ، وخلصت لهم اللذة العليا وقد عرفتها •)

وقال أيضا :

(وأما البله فانهم اذا تنزهوا خلصوا من البدن الى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لايستغنون فيها عن مقارنة جسم يكون موضوعا لتخييلات لهم ، ولا يمنع أن يكون ذلك جسما سماويا أو ما يشبهه ، ولعل ذلك يفضى بهم آخر الأمر الى الاستعداد للاتصال المسعد الذى للعارفين •)

وقال أيضا :

(وأما التناسخ فى أجسام من جنس ما كانت فيه فمستحيل ، والا لاقتضى كل مزاج نفسا تفيض اليه ، وقارنتها النفس المستنسخة ، فكان لحيوان واحد نفسان •

ثم ليس يجب أن يتصل كل فناء بكون ، ولا أن يكون عدد الكائنات من الأجسام عدد ما يفارقها من النفوس ، ولا أن تكون عدة نفوس مفارقة تستحق بدنا واحدا فتتصل به أو تتدافع عنه متمانعة •)

ومن هذه النصوص الفلسفية التى قالها ابن سينا نرى أن كمال الانسان وسعادته انما تكون فى العلم والمعرفة ، وهى أن تتمثل فيه جلية الحق الأول ويتعقله قدر ما يمكن أن يتمثل فيه ويتعقله ، ذلك لأن تعقل الحق الأول على ما هو عليه غير ممكن لغيره سبحانه ، ثم يتمثل فيه الوجود كله ، ويتعرف عليه تعرفا واضحا بحيث لا تشوبه أية شائبة ، ذلك هو الكمال الخاص بالانسان وسعادته التى يلتذ بها ويسعد ويبتهج •

بيد أن البدن — وان كانت الروح لابد لها من التعلق به فى هذه الحياة الدنيا لحكمة الهيه — معوق لها فى ادراك تلك الحقائق التى يتوقف عليها بلوغ الانسان الى كماله وسعادته ، فشواغل البدن وارتباطاته بهذا العالم المادى هى الأسباب الأساسية التى تحول دون معرفتها بتلك الحقائق معرفة صافية خالية عن الشوائب.

ان العارفين الذين أقبلوا على تلك الحقائق ، والتزموها حتى وافتهم المنية ، وفارقوا الأبدان ، سيبقون فى لذة وسعادة وغبطة وسرور لانهاية لها ولا انقطاع.

٣— ليس فى الآخرة بعث جسمانى :

ولما كان يوم الآخر هو دار الثواب والعقاب الذى سيلقى فيه كل انسان جزاءه المناسب لما قدم من عمل فى الدنيا فانه يقتضى أن يزول فى ذلك اليوم العظيم كل معوقات تحجز الانسان الطيب العارف عن ادراك تلك الحقائق التى تتمثل فى معرفة الله تعالى ، ومعرفة الوجود كله معرفة صافية حتى ينال كماله المطلق سعادته الأبدية ، وبهجته السرمدية المعبر عنها بالثواب أو تضع حيلولة — فى حق الانسان الفاجر الجاهل — دون أن يشعر بنقصانه وشقائه وهمومه وأحزانه المعبر عنها بالعقاب.

ولذلك فان البدن الذى هو أساس تلك المعوقات ، لابد أن يزول فلا يعود الى الوجود مرة أخرى بعد أن فارقته الروح ، وانفصلت عنه ، اذ لاحاجة لها اليه فى ذلك اليوم الذى يلقى فيه الانسان السعيد سعادته الحقة ، وكماله المطلق ، كما يلقى فيه الانسان الشقى شقاءه المخزى ونقصانه الفظيع ، بل يجب بمقتضى ذلك أن لاتعود اليه روحه ، وتقترن به مرة ثانية .

لاشك أن ذلك صريح فى انكار البعث الجسمانى ، ونفى الثواب والعقاب الماديين ، والجنة والنار الحسيين.

ويرى ابن سينا فى النصوص الأخيرة أن عود الأرواح الى الأبدان تناسخ مستحيل ، لا يقبله العقل ، ذلك لأن تهيؤ البدن ـ فى رأيه ـ يوجب فيضان النفس اليه ، فلوكان التناسخ الذى هوعودة الروح الى البدن صحيحا لاقتضى ذلك أن تحل فى البدن النفس التى فاضت اليه والنفس المستنسخة. ومن ثم يكون لبدن واحد نفسان ، وهذا مستحيل.

ثم انه لو صح التناسخ لاقتضى فساد بدن ما وجود بدن آخر تحل فيه النفس ، كما اقتضى ذلك أيضا أن توجد أجسام ناشئة بعدد الأجسام التى تفنى ، ولكن ذلك منقوض بحالات الحرب أوبالحالات التى تنتشر فيها الأوبئة ،فتفنى العدد الكثير من الأبدان ، وانه لمن الواضح أن ما يتكون من الأبدان فى مثل هذه الظروف أقل مما يفنى منها ، وفى مثل هذه الحالات لا يمكن القول بالتناسخ الا اذا قلنا أن عدة من النفوس تتصل ببدن واحد فتحل فيه متجاورة أو تتنازع وتتدافع عنه وتتمانع ، وكل ذلك بادى الفساد ، فالتناسخ اذن مستحيل. (١)

ومن الفلاسفة من ينكرون البعث الجسمانى بناء ـ فى زعمهم ـ على امتناع اعادة المعدوم بعينه ، وقالوا : لو أكل انسان انسانا بحيث صار جزءا منه ، فتلك الأجزاء اما أن تعاد فيهما وهومحال ، أوفى أحدهما فلا يكون الآخر معادا بجميع أجزائه. (٢)

---

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص٤٠٧ ـ ٤٠٨

(٢) انظر العقائد النسفية للامام أبى حفص عمر بن محمد النسفى ، شرح العلامة مسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازانى ص ١٣٤.

٤ـ موقف الفلاسفة من النصوص الواردة فى حسية الثواب والعقاب :

ولما كانت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية صريحة فى اثبات الحشر والنشر والبعث الجسمانى ، وفى الثواب والعقاب الحسيين ، وأن من أنكر ذلك فقد أنكر أصلا من أصول الدين ، وقضى على فكرة الحساب والمسئولية حاول ابن سينا ومن معه من الفلاسفة أن يوفقوا بين تلك النصوص ، وبين الرأى الفلسفى الذى أبى الا أن ينفى البعث الجسمانى والثواب والعقاب الحسيين ، وحملوها على أنها مجرد أمثال ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، ذلك لأن روحانيتهما لا يمكن تفهيمها لهؤلاء العوام الذين لم يبلغوا مرتبة العقلاء الا بأمثلة مما يعهده الناس فى هذه الحياة الدنيا .

وهذا كما أنا لو أردنا أن نفهم الصبى أو العنين لذة الجماع، فاننا لانستطيع ذلك الا بضرب أمثلة لها بحيث يفهمها كل منهما ، فنمثلها ـ فى حق الصبى ـ باللعب الذى هو ألذ الأشياء وأحب اليه ، وفى حق العنين بالطعام اللذيذ فى حالة شدة الجوع ، حتى يصدق كل منهما بأصل وجود اللذة ثم يعلم أن ما فهمه بالمثال لا يحقق لديه لذة الجماع وانما يدرك ذلك بالذوق . (١)

ويؤيد هذا المعنى أن حمل النصوص على أمثلة معهودة لدى الناس توضح لهم معنى الثواب والعقاب الروحانيين ، ما قاله ابن رشد فى كتابه " مناهج الأدلة " حيث قال :

(١) راجع تهافت الفلاسفة ص ٢٨٢

اتفقت الشرائع على أن للنفوس بعد الموت أحوالا من السعادة أو الشقاء، واذا فارقت النفس بدنها ، وتعرت من الشهوات الجسمانية ازداد زكاؤها ان كانت زكية ، وتضاعف خبثها اذا كانت خبيثة لأنها تتأذى بالرذائل التى اكتسبتها ، واشتدت حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقة البدن لأنها ليست يمكنها الاكتساب الا مع البدن . تلك هى سعادتها أو شقاؤها . (١)

ولكن لما كانت هذه الأحوال ليس لها فى الشاهد مثال ، اختلفت الشرائع فى تمثيل تلك الأحوال التى تكون لأنفس السعداء ، ولأنفس الأشقياء بعد الموت . ومنها مالم يمثل ما يكون هنالك للنفوس الزكية من اللذة ، وللشقية من الأذى بأمور مشاهدة ، بل صرحوا بأن ذلك كله روحانية ، ولذات ملكية .

ومنها ما مثل ذلك بأمور مشاهدة بمعنى أنها مثلت اللذات المدركة هنالك باللذات المدركة ههنا بعد أن نفى عنها ما يقترن بها من الأذى ، ومثلت الأذى الذى يكون هنالك بالأذى الذى يكون ههنا بعد أن نفى عنه هنالك ما يقترن به ههنا من الراحة منه . (٢)

ويشبه أن تكون شريعتنا الاسلامية قد جاءت لذلك بأمثلة مشاهدة يعهدها الناس ليتوصل بتلك الجمهور لفهم تلك السعادة ، واللذات الروحانية أو ذلك الشقاء والأذى الروحانى ، ليكون ذلك أشد تحريكا لهم الى ما هنالك من السعادة ، وأشد خوفا لهم من ذلك الشقاء . (٣)

---

(١) راجع مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ص ٢٤١ .

(٢) راجع نفس المصدر ص ٢٤٣

(٣) راجع نفس المصدر ص ٢٤٤

٥ـ بيان فساد رأى الفلاسفة فى المسألة :

لاشك أن هذه الأفكار التى ابتكرها ابن سينا ومن نحا نحوه حول فكرة البعث والجزاء ، والجنة والنار ، انما يعتمدون فيها على تخيلات العقل متجاهلين عن صريح الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى وردت فى هذه المسألة.

ونحن لا ننكر أن بعضا من هذه الأفكار يتفق مع ما جاء به الشرع. ان بقاء النفس بعد مفارقة البدن أمر ورد به الشرع ، كما ان هناك فى الآخرة أنواعا من اللذات أشرف وأعظم من اللذات المحسوسة ، غير أن ذلك انما عرفناه بطريق الشرع ، بخلاف الفلاسفة الذين يدعون معرفة ذلك بمجرد العقل ، وهذا هو الذى ننكر عليهم.

أما انكار حشر الأبدان ، وانكار الثواب الحسى ، وانكار العذاب الجسمانى ، وعدم الاقرار بوجود الجنة والنار الحسيتين كما جاء به الوحى السماوى ، ووصفهما بأوصاف يفهمها الخاصة والعامة ، كل ذلك مما يخالف الأديان السماوية التى جاءت بها الرسل عليهم السلام على مر العصور المتتالية.

وقبل أن نمضى فى بيان بطلان ذلك ، والرد عليه ، نود أن نرجع الى أى أصل استقى منه ابن سينا هذه الأفكار الفلسفية لكى نعرف مدى ارتباطه به. ففى مسألة أفضلية اللذة العقلية الباطنية على اللذة الحسية التى أدت بالفلاسفة الى انكار تلك الأشياء ، يتفق ابن سينا مع بعض الفلاسفة كأفلاطون ، وأرسطو أما أفلاطون فانه قال :

(ان بعض اللذات ليس لها من اللذة الا الاسم ، وما هى الا فترات تفصل بين ألمين ، كلذة الأجرب حينما يحك جسده ، أو الرجل الذى يأكل لأنه

يحس ألم الجوع ، ويشرب لأنه يجد ألم الظمأ ، هذه اللذات وأضرابها لا تعدو أن تكون بهيمية كدرة مثقلة بالألم والاضطراب . (١)

وأما أرسطو فقد قال :

(ان بعض الناس يرى السعادة فى الحياة الحيوانية ، ذلك هو رأى العبيد .) (٢)

ومن ذلك نعلم أن ابن سينا لم ينفرد بتلك ، وانما استقاها وأخذها عن فلاسفة اليونان ، وبالأخص أفلاطون ، وأرسطو . وما دام ابن سينا مسلما لا يستطيع أن ينكر الدين ، فانه حاول جاهدا أن يوفق بين ما جاء به الشرع وبين الفلسفة التى آمن بها بدعوى أن كشف الحقائق يمكن أن يكون بطرق شتى ، ووسائل متعددة ما دامت تلك الطرق والوسائل تهدف الى الحقيقة الواحدة .

ولعل السبب الذى حمل بعض الفلاسفة المسلمين على اتخاذ هذا الموقف انهم لا يريدون أن يخرجوا من دائرة الايمان ، كما لا يريدون أن ينبذوا فلسفتهم وراء ظهورهم ، ولهذا حاولوا جاهدين أن يوفقوا بين ما جاءت به الشرائع وبين الفلسفة التى آمنوا بها واعتقدوا صحتها ، وعلى هذين الأساسين قامت كل فلسفاتهم . (٣)

ولكن هل أصابوا فى ذلك أى التوفيق بين ما جاء به الدين ، وبين الفلسفة فى هذا الخصوص لكى نسجل لهم بأنهم على حق وصواب ، أم تاهوا فيه فنحتفظ لهم أيضا بهذا التيه ؟

ونحن اذا نظرنا فيما أدت اليه هذه الطريقة فى مسألة الحشر ومسألة الثواب والعقاب ، ومسألة الجنة والنار ، نجد أنهم قد اخفقوا فيها اخفاقا ذريعا ،

---

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ٣٩٤
(٢) نفس المصدر والصفحة
(٣) راجع " فى الفلسفة الاسلامية " ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣

وأخطأوا خطأ جسيما ، ذلك لأن كفة العقل فى هذه المسائل الغيبية قد رجحت على كفة الدين ، ذلك لأن ظواهر النصوص التى وردت بهذه القضايا قد جعلوها ليست مرادة ، وانما هى مجرد أمثلة ضربت لعوام الناس لتفهيمهم معنى الثواب والعقاب الروحانيين اذ لا يقدرون على ذلك الا بطريقة التمثيل .

وهذه الطريقة تشبه أن تكون نزعة باطنية ، (١) تفتح الباب للقائلين بأن للنصوص ظاهرا ، وهو للعوام، وباطنا ، وهو للخواص . (٢) وهذا مبدأ خطير يمكن أن يدخل منه كل من يعتنق فكرة غير اسلامية ، ويدخلها فى الاسلام .

وقد أوضحنا أن الفلسفة اليونانية التى آمن بها هؤلاء الفلاسفة هى التى جعلتهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويؤولون النصوص بتأويلات غامضة لا يقرها المؤمن الصادق ولا يرتضيها . وكأنهم قالوا أن الله تعالى لم يبين الحقائق كما هى ، فان النصوص القرآنية تدل على أن ما ذكر من أنواع النعيم والعذاب كان على سبيل التمثيل لا على سبيل الحقيقة التى يكونان عليها فى الآخرة .

واذا بحثنا عن الأدلة التى اعتمدوا عليها فى هذه المسائل الغيبية ، لانجد سوى الفلسفة العقلية البحته التى آمنوا بها . وعلى ذلك فلاشك أن الجانب العقلى قد سيطر على هذا الموقف الذى اتخذه الفلاسفة المسلمون فى مبدا الحشر والجزاء ، والجنة والنار . وقد كان ذلك سببا من الأسباب التى دفعت الامام الغزالى لتكفير هؤلاء الفلاسفة المنكرين لحشر الأجساد الثابت فى الدين . (٣)

ونحن لا ننكر دور العقل فى كشف الحقائق ، ولكن فى حدود لايتجاوز

---

(١) انظر مجموع فتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ١ ص ١٦١ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢

(٣) أنظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٩

فيها الدين ،ولا يتعارض مع ما جاء به من الحقائق السماوية ،اذ ليس كل ما يحكم به العقل ، ويقرره صحيحا لا يقبل الخطأ ، ذلك لأن العقل ـ وان كان من أهم الطاقات البشرية التى يستخدمها الانسان فى التعرف على الأشياء ـ قد يصيب تارة ويخطىء أخرى.

وليس عجز العقل عن ادراك بعض مظاهر الكون وأسراره بأكبر من عدم قدرته على معرفة الاحوال والأوضاع التى تكون فى الآخرة ، لأنه ليس فى وسع هذا الانسان ادراك حقيقتها بمجرد العقل المحدود ، دون أن يلتجىء الى الوحى السماوى ،ويتخذه أساسا يستند اليه فى ذلك.

ان الانسان يخطىء ولابد أن يخطىء لو تجرأ على التكهن بأشياء غيبية ، بحجة أن العقل كفيل فى ادراكها . ولو فرضنا على الطريقة الجدلية ،أن ما يقوله ابن سينا من أن الروح غنية عن الجسد فى معرفة الحقائق التى فيها كماله وسعادته كما كان ذلك هو شعوره يوم أن كان يتعامل مع حياته الدنيوية فان ذلك لا يستلزم أن ينطبق على مافى العالم الآخر الذى يختلف عن هذا العالم المشهود ، فشعور الانسان هناك ليس كشعورنا اليوم ، وتذوقه فى تلك الحياة غير تذوقنا فى حياتنا الحاضرة ، وكل مافى كيان الانسان من وسائل الاحساس سوف يتغير يوم أن تبدل الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات.

ان القرآن الكريم حافل بآيات قاطعة صريحة فى أن الانسان سيبعث يوم القيامة بعثا روحانيا وجسمانيا . وقد جاءت الأحاديث الشريفة تؤيد هذه الآيات بشكل واضح ليس فيه مجال للتأويل. قال تعالى : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ، مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا . " (١)

---

(١) سورة الاسراء ، آية ٩٧

وقال سبحانه : " وان الساعة آتيــة لا ريب فيها ،وان الله يبعث من فــي القبور ." (١) وقال عــز وجــل : " وقالوا أ اذا كنا عظاما ورفاتا أ انا لمبعوثون خلقا جديدا ،قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولـــون من يعيدنا ، قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هـــو قل عسى أن يكون قريبا ." (٢) وقال جل وعلا : " انا نحن نحى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين ." (٣)

وعن عائشــة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليــه وسلم يقول : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غــرلا ، قلت يا رسول اللــه ، النساء والرجال جميعا ، ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ياعائشة الأمــر أشــد من أن ينظــر بعضهم الى بعض ." (٤)

وعن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظــة فقال : " يا أيها الناس ، انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا ، كما بدأنـــا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين . (٥) ألا وان أول الخلائق يكســى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام . ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب ، أصحابى . فيقال : انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقـــول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنــت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شــيء شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم . (٦) قال فيقال لى : انهم لم يزالوا مرتديــن على أعقابهم منذ فارقتهم ." (٧) وهناك بعض الآيات والأحاديث لم نذكرهـــا هنا اكتفاء بهذا القدر .

---

(١) سورة الحج آيــة ٧ (٢) سورة الاسراء آيــة ٤٩ ـ ٥١
(٣) سورة يس آية ١٢ (٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٩٤
(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٤ (٦) سورة المائدة ،آية ١١٧ ـ ١١٨
(٧) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٩٤

أما ما قاله ابن سينا من أن المعاد تناسخ مستحيل ، فقد رد عليه الإمام الغزالى بقوله : وأما احالتكم الثانية بأن هذا تناسخ ، فلا مشاحة فى الأسماء ، فما ورد الشرع به يجب تصديقه ، فليكن تناسخا ، ونحن انما ننكر التناسخ فى هذا العالم ،وأما البعث فلا تنكره ، سمى تناسخا أو لم يسم تناسخا ٠ (١)

وأما قولهم بأنه لو أكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزءًا من الآكل فانه يستحيل عقلا أن تعاد الأجزاء التى كانت للمأكول ثم صارت للآكل فى كل واحد من الانسانين أو فى أحدهما ٠

أما الأول فانه لا يقبل العقل أن يكون جزء واحد بعينه فى شخصين مختلفين فى آن واحد ، وأما الثانى فلعدم اعادة البدن المأكول بعينه ٠ (٢)

فنقول ردا على هذا الزعم الفلسفى : لو كان أمر المعاد كما هذا الزعم لكان ذلك صحيحا ، بيد أن قضية المعاد بعكس ذلك ،حيث ان المعاد هو جمع الأجزاء الأصلية التى تبقى من الانسان من أول العمر الى آخره ، وليس جميع الأجزاء على الاطلاق ٠ وأما الأجزاء المأكولة التى صارت فى الآكل فانما هى فضل بالنسبة له ، ومن المعلوم أن اجزاء الغذاء تتوارد على الانسان ، وتزول عنه ، ويبقى هو صحيحا مدة عمره ، واذا كانت تلك الأجزاء المأكولة فضلا بالنسبة للأكل فلا يلزم أن تعود فى الآكل بل يجب أن تعود فى المأكول ٠ (٣)

أما الثواب والعقاب اللذان أنكر ماديتهما الفلاسفة ، ونفوها نفيا باتا مما أدى بهم الى عدم الاقرار بالجنة والنار الحسيتين ، فان الاسلام يثبت ماديتهما كما يثبت روحانيتهما ، ويدعو الى الايمان والاقرار بهما من غير

---

(١) تهافت الفلاسفة ص ٣٠٠

(٢) انظر المواقف للعلامة عضد الدين الأيجى بشرح السيد الشريف الجرجانى ج ٨ ص ٢٩٥

(٣) أنظر نفس المصدر والجزء والصفحة ٠

التفريق بينهما ، وأن هذا النعيم ، وذاك العذاب انما يتمان فى الجنة التى يسكنها المؤمنون يوم القيامة ، وفى النار التى هى دار الكفار فى الآخرة.

والنصوص القرآنية ، والأحاديث الصحيحة تدل دلالة صريحة وقطعية على ذلك مما لا يدع للشك فيه مجالا ، كما جاء بيان ذلك مفصلا فى الكلام على صفة كل من الجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب ، وليس للمسلم الا أن يذعن لها ويؤمن بها كما وردت ، ولا يؤولها بتأويلات تصرفها عن مدلولاتها الحقيقية بحجة أن العقل يقتضى ذلك ، والا فهو مكابر قد يخرج بها عن حظيرة الايمان.

قال الأستاذ سيد قطب ، رحمه الله تعالى :

" وكل جدال بعد قول العليم الخبير مهاترة ، وكل تمرد على اختيار الخالق ، وعدم التسليم به مفض الى الخروج من مجال الايمان كله. (١)

واذا عدنا الى منطق العقل السليم ، فانه ليس هناك مانع من وقوع هذين النوعين من السعادة أو الشقاوة ، أعنى حسية النعيم والعذاب وروحانيتهما. وحتى لو أطلق ذكرهما فيما جاءت به الشرائع ، فانه لا حجر على وقوعهما بشكل يشمل النوعين من تلك السعادة أو ذلك الشقاء ، فكيف ، وقد جاءت الأخبار السماوية تدق قلوب العباد ، وتلفت أنظارهم الى أن فى الآخرة دارين ، وهما الجنة التى سيلقى فيها أهلها كل أنواع النعيم الحسى والروحانى ، والنار التى سيجد فيها ساكنوها جميع أشكال العذاب المادى والروحانى كذلك.

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص ٣٦١ ، الطبعة السادسة.

بل ان مما يقتضيه ذلك المنطق العقلى أن الجزاء لابد أن يشارك فيه الجسم روحه ، ويساهمها فى تذوقه ، ذلك لأن كلا منهما كان له دور فى وقوع الأعمال التى كانت سببا لوجود هذا الجزاء. أما لوانفردت الروح دون الجسد بتذوق الثواب أو معاناة العقاب اللذين ما كانا يوجدان الا بتلك الأعمال المشتركة بين الجسم والروح ، فان فى ذلك ـ بلا شك ـ نوعا من الجور والظلم اللذين لا يليقان بالعدل الالهى .

يقول الامام جمال الدين أبو بكر الخوارزمى :

" ان الطاعة والمعصية حصلت منهما جميعا (أى من الجسد والروح) لا من أحدهما ، فمن قال أنه يفرد أحدهما بالنعمة والعقوبة فقد أبعد وظلم . " (١) والله تعالى أعلم.

ب ـ أبو الهذيل العلاف ، شيخ المعتزلة :

يقول أبو الهذيل أن الحركات فى الجنة والنار سوف تفنى ، ويبقى أهل الجنة وأهل النار فى سكون دائم لا يقدرون على شيء من الحركات وهم أحياء . وعلى هذا زعم أن اللذات والآلام تجتمع فى ذلك السكون حين يأتى أوانه ، فيتلذذ المؤمنون فى الجنة بلا حركة ، ويتألم الكفار فى النار كذلك .

وبنى فكرته على القاعدة الجهمية المشهورة ، وهى امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث ، غير أنه لم يقل بفناء الجنة والنار . (٢)

---

(١) كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم للامام جمال الدين أبى بكر الخوارزمى ص ٦٠٠

(٢) أنظر الملل والنحل ج ١ ص ٥١ ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٨٣

الجـواب :

أما قولـه بفناء الحركات فى الجنـة والنار فهو قول ظاهر البطلان ، اذ لو كان هذا صحيحا لأصبح أهل الجنـة فى هيئات لا تتفق مع أحوال المؤمنـين أولياء اللـه تعالى فى دار يكونون فيها على أتم الهيئات وأحسنها ، ذلـك لأن وقت مجـئ السكون لابد أن يصادف أحوالا مختلفـة يكون عليها أهـل الجنـة ، فاذا فنيت الحركات وحل مكانها السكون ، فمن اللازم أن يوجـد من أهل الجنـة من يكون على هيئـة المخدر أو المفلوج ، أو أخذه الكابوس ، أو على هيئـة المصلوب ، كما اذا تناول باحدى يديه الكأس ، وبالأخـرى الثمر ، ثم صادف ذلك وقت فناء الحركات ، فانه يبقى أبدا على هيئـة المصلوب ، (١) وهذا مناف لأحوال أولياء الله تعالى فى دار كرامته.

وأما قوله باجتماع اللذات والآلام فى ذلك السكون فهذا باطل أيضـا ، ذلك لأنه يوجب اجتماع لذتين أو ألمين متضادين فى محل واحـد ، فى وقـت واحـد ، وهذا محال كاستحالـة اجتماع لذة وألم فى محل واحد فى وقـت واحـد . (٢)

أما القاعدة التى بنى عليها فكرته ، فقد تقدم الكـلام على بطلانها فـى الفصل الرابع من هذا الباب . (٣)

---

(١) انظر الفرق بين الفـرق لعبد القاهر بن طاهـر بن محمد البغـدادى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميـد ص ١٢٢ ، والفصل فى الملـل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٨٤ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ١٢٢

(٣) راجـع ص ٩١٢ من هذا البحـث.

ج ـ ابن عربى الطائى امام الاتحادية ، وعمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ من المعتزلة :

قال ابن عربى ، وعمرو : ان أهل النار يعذبون فيها ، ثم تنقلب طبيعتهم الى طبيعة نارية يتلذذون بها أبد الآباد لموافقتها لطبيعتهم ٠ (١)

الجواب :

وهذا القول لا أساس له من الكتاب والسنة ، فالمسألة مسألة غيبية لا يعتمد فيها على قول مجرد عن دليل سمعى ، ولم يرد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على صحة هذا القول الذى ابتدعه ابن عربى ، وعمرو بن بحر ، بل هو مخالف لما جاء به الكتاب والسنة من تعذيب أهل النار فيها بأنواع العذاب كالنار التى تحرق الجلود وتأكلها ثم تبدل بجلود أخرى ليذوقوا العذاب الأليم ، كما قال تعالى : " ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ٠" (٢)

وهذا يدل على أن هذا النوع من العذاب يتكرر على أهل النار ، فكلما أكلت النار جلودهم يؤتى بجلود غيرها ليستمر عليهم هذا العذاب ويلازمهم من غير انقطاع ، لا كما قال به ابن عربى وعمرو من أنهم يتلذذون بالنار بعد أن انقلبت طبيعتهم الى طبيعة نارية ٠

---

(١) انظر العقيدة الطحاوية ص٤٢١ ، والملل والنحل ج ١ ص٧٥
(٢) سورة النساء آية ٥٦

د ـ عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وشيعته من الشيعة الامامية :

قال عبدالله بن معاوية أن الأرواح تتناسخ من شخص الى شخص ، وأن الثواب والعقاب فى هذه الأشخاص ، اما أشخاص بنى آدم ، واما أشخاص الحيوانات فمن كان محسنا جوزى بأن تنقل روحه الى جسد لا يلحق بها فيه ضرر ولا أذى ولا ألم ، ومن كان مسيئا جوزى بأن تنقل روحه الى جسد يلحق بها فيه الضر والألم والهموم ، وغيرها من المتاعب والمشاكل ، وليس شىء غير ذلك • وقال أن الدنيا ما تزال كذلك أبدا ، وأنكر هو وشيعته أن تكون هناك قيامة لاعتقادهم أن التناسخ انما فى الدنيا ، والثواب والعقاب فى تلك الأشخاص • (١)

الجواب :

ولا ريب أن هذا القول فى غاية الوقاحة ، ومنتهى السخافة ، لايقول به الا كافر ملحد قد انطمست أمامه معالم الهدى ، وتاه عن الطريق السوى ، فهذا هو عين العقيدة الهندوسية التناسخية من قديم الزمان الى يومنا هذا ، وقد أبطلناها شرعا وعقلا مما لا مجال لأصحابها الدفاع عنها • (٢)

ولعل عبدالله بن معاوية ، وأصحابه ، استقوا هذا الرأى الباطل من الهندوسية التى تعتبر المنبع الأول للعقيدة التناسخية ، ومع ذلك فان صاحب هذا القول لم يكتف بهذه الضلالة ، بل تجاوزها الى حد أشد ضلالة وكفرا ، حيث انه غلا فى جانب المسألة الألوهية والنبوة ، فادعاهما لنفسه معا ، فعبده شيعته الحمقى ، فضلوا وأضلوا ، والعياذ بالله من كل ذلك •

---

(١) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٥١
(٢) انظر ص ٤٠ من هذا البحث •

هـ ـ المنصورية ، وهى فرقة من فرق الشيعة الامامية :

وهذه الفرقة هم أصحاب أبى منصور العجلى الذى ادعى أن الله تعالى عرج به اليه ، فادناه منه وكلمه ، ومسح بيده على رأسه ، وقال له بالسريانى . وذكر أنه نبى ورسول ، وأن الله تعالى اتخذه خليلا (١) وزعم أن عيسى أول من خلق الله تعالى من خلقه ثم على ، وأن رسل الله سبحانه لاتنقطع أبدا ، وكفر بالجنة والنار ، وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته ، وهو امام الوقت ، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته ، وهو خصم الامام . وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم . وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم . (٢)

وقال الشهرستانى : وانما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال ، هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه ، فقد سقط عنه التكليف ، وارتفع الخطاب حيث انه قد وصل الى الجنة وبلغ الكمال . (٣)

الجواب :

وهذه المزاعم التى جاءت بها هذه الفرقة الضالة ، لاتحتاج الى نقاش ، اذ هى صريحة فى فسادها وضلالها ، بل هى صريحة فى تكفير أصحابها . انما قالوا هذه الأقوال الباطلة اتباعا لاهوائهم وشهواتهم وليس اتباعا لهدى الله تعالى ، وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس هناك شك فى أن هذه الأقوال الكاذبة تؤدى ـ حتما ـ بصاحبها الى الانسلاخ من الدين انسلاخا كليا .

---

(١) أنظر الملل والنحل ج ١ ص ١٧٩ ، ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٧٤ ـ ٧٥
(٢) انظر نفس المصدر ج ١ ص ١٧٨
(٣) راجع الملل والنحل ج ١ ص ١٧٨

" ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين ." الآية (١)

و ـ أبو اسماعيل البطيحى وأصحابه من الخوارج :

قالوا : ان أهل النار يعيشون فى النار فى لذة ونعيم ، وأهل الجنة يعيشون فيها كذلك . (٢)

الجواب :

هؤلاء كأنهم يرون أن ألوانا من العذاب التى اعدها الله تعالى فى النار لينتقم بها ممن أساءوا وكفروا بربهم سبحانه ، ليست كما أخبر عنها الوحى السماوى ،ووصفها بأوصاف تقشعر منها الجلود ، وتهتز القلوب فتسمية العذاب لاتدل على حقيقة مسماه ، وانما أريد بها خلافها ، أى أن ما ذكره الوحى من ألوان العذاب ، انما أريد بها أنواع من النعيم والنار التى هى دار العقاب ، انما هى فى الحقيقة دار النعيم ، فلا فرق بينهما ، وكلتا الدارين مليئة بأنواع النعيم ،ولا ضير على الذين يدخلون النار ، اذ أن هذا نعمة ورحمة ،لا عذاب ونقمة ،ولا فرق بين أهل الجنة وأهل النار ، كل يتمتعون بالغبطة والسعادة ،ويتنعمون بأنواع النعيم سواء كانوا فى الجنة أو فى النار ، فكلتاهما دار للنعيم والراحة والسعادة .

وهذا القول أفسد وأسوأ من مذهب الفلاسفة الذين يؤولون النصوص الواردة فى حسية النعيم بمجرد أمثال ضربت لعوام الناس فيفهموا بها حقيقة النعيم الروحى .

---

(١) سورة القصص آية ٥٠
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٩

ز ـ المعتزلة والخوارج :

اتفقت المعتزلة والخوارج على أن من دخل النار لا يخرج منها أبد الآباد .(١)

الجواب :

ولا شك أن هذا القول باطل وفاسد ، لأنه يقتضى أن يعم جميع الداخلين فيها ، ولم يفرقوا بين عصاة الموحدين ، وبين الكفار ، وقد ثبت فى الصحيح أن عصاة الموحدين يخرجون منها بعد مكثهم فيها بفترة من الزمان حسب ما اقترفوه من الآثام.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، الم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ." (٢)

أما تسوية بين أهل التوحيد وأهل الكفر والشرك ، فهذا لا يليق بالعدل الالهى الذى يقضى بتعذيب أهل النار بقدر ما عليهم من الوزر ، فهناك معصية تستوجب الخلود مثل

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٢١ ، ومقالات الاسلاميين ج ١ ص١٨٩
(٢) فى الصحيحين ، واللفظ للبخارى ج ١ ص١٣

الكفر والشرك بالله تعالى ، وهناك معصية لا تستوجب ذلك ، وهي التي لم تبلغ درجة الكفر والشرك.

ان العقل يستبعد أن تكون المعصيتان على درجة واحدة دون التفريق بينهما • وعلى هذا فقول المعتزلة والخوارج في المسألة باطل بالسمع والعقل •

الخاتمـــة

بعد أن انتهيت من هذا البحث الذى بينت فيه تصور الاسلام فى الجنة والنار وما فيهما من ثواب وعقاب ، وما طرأ على هذا التصور من الآراء المنحرفة التـــى تنتسب الى الاسلام ، وذكرت فيه ما ورد فى هذه الأمور من الأفكار والتصـــورات عند الديانات القديمة ، أود أن أذكر هنا أهم النتائج التى توصلت اليها مـــن خلال الدراسة لهذا الموضوع :

أولا : ضرورة الايمان بالجنة والنار وما فيهما من ثواب وعقاب فى حياة الانسان ، اذ هو ايمان بالمصير الذى ينتهى اليه هذا الوجود ،فيأتى فى الأهميـة بعد الايمان بالله تعالى الذى هو مصدر الكائنات كلها .

ثانيا : على أن الديانات القديمة كالديانة المصريـة ، والهندوسية ، والبوذيـــة غير موحى بها ، فمن الطبيعى أن لا تدرك أمورا غيبية على حقيقتهـــا كالبعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ، اذ لا سبيل لمعرفتها الا بالوحى الالهى . فكل ما ورد فيها من هذه الأمور انما هـــى من الخيالات التى يتخيلها الانسان من غير دليل .

ثالثا : الجنة وما فيها من أنواع النعيم ليست هى الهدف الأعلى للهندوســى ، كما أن النار وما فيها من ألوان العذاب ليست هى المصير الأخير للانسان السىء ، وانما هما مرحلتان من المراحل التى يتحتم على الانســـان أن يجتازها لكى يصل الى الغاية العليا التى يسعى اليهـــا الهندوسى ، وهى الاندماج بالكائن الأعلى " البرهما " ولكى تتحقـــق للانسان هذه الغاية يجب عليه أن يعيش دائما على الزهادة المفرطـــة بالصوم ، وتعذيب النفس ، ويحمل نفسه ألوان البلاء ، وأن يبدو دائمـــا كثير الهموم والخوف والتشاؤم . كل ذلك يؤكد لنا أن الديانة الهندوسيـة ديانة باطلة .

رابعا : الديانة البوذيـة ديانة حرمان تحرم أهلها الانتفاع بخيرات الدنيا ، وكـل ما هنالك هو مقاومة الشهوات ، وتجرد عن الخيرات والمصالح ، وانسلاخ من الذاتية التى يستطيع بها الانسان الوصول الى " النيرفانا " التى هى جنة البوذيين .

خامسا : تلتقى الزراد شتية مع الاسلام فى أن الجنـة والنار هما دارا ثواب وعقاب فى الآخرة ، ولكن الصورة التى تكون عليها هاتان الداران هى نقطة الانفصال بين الديانتين فى المسألـة .

سادسا : ان الديانة اليهوديـة - كما يمثلها العهد القديم - ديانة محرفة بدليل عدم ذكرها لليوم الآخـر وما يستتبعه من البعث والحساب ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار التى دعا الى الايمان بها الرسل عليهم السلام ، وكما دل عليه القرآن الكريم الذى هو آخـر الكتب السماويـة .

سابعا : ان قضية الجنة والنار وما فيهما من ثواب وعقاب ، ما زالت تحت ستار الغموض فى الديانة المسيحية ، فليس فيها صورة حقيقية لهاتين الدارين كما جـاء بها الوحى السماوى ، مما يدل على أن هذه الديانة أصبحت محرفة كالديانة اليهوديـة .

ثامنـا : ان طبيعة الحياة التى سوف يعيشها الانسان فى الآخرة لابد أن تكون أوسع مما عرفنا ، وأعمق مما فهمنا ، وأبعد مما تصورنا لأنها الحياة الأبديـة التى يكشف الله تعالى فيها الغطاء عن قدرات الانسان ، فيصبح بذلك قادرا على أن ينظر بقوة والى أبعد ما يمكن اذ تحدثنا الآيات القرآنيـة أن بصر الانسان فى ذلك اليوم يكون حديدا .

قال تعالى : " لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ." (١) كما يكشف الله تعالى فيها الغطاء عن الروح فهى تسرى

---

(١) سورة ق آيـة ٢٢

ماعجـــزت عن رؤيته فى حياتها الدنيا من مخلوقات عالم الغيب فتـــرى فـــى حياة القيامة قرينها الذى لازمها طوال حياتها، والذى لم تكـــن تراه وتحدثه وتحاجـه كما قال تعالى : " قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كـــان فى ضلال بعيد ،قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ٠ " (١)

تاسعا : ان حياة الآخرة سواء كانت حياة سعادة أو شقاء ليست قاصرة علـــى الحياة الروحيـة ، وانما هى أيضا حياة مادية بأوسع معانيها ٠ فقـــد حرص القرآن الكريم على تصوير ما يتمتع به المؤمنون فى تلك الحياة مـــن النعيم ، وما يقاسيه الكفار فيها من العقاب ، ويعرضهما مرة ماديين يلمسهما الحس، ومرة معنويين تدركهما النفس، ومرة يجمع بين هذا وذاك ٠

فيصور النعيم المادى المحسوس فى مثل هذه الصورة فى قوله تعالـــى : " وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضـــود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعـــة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ٠ " (٢)

ويصور العذاب المادى المحسوس فى مثل هذه الصورة فى قوله تعالـــى : "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـــذاب ألـــيم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهـــم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ٠ " (٣)

ويصف النعيم المعنوى فى مثـــل هذه الصورة فى قوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا " (٤) وقوله تعالـــى :

---

(١) نفس السورة آيـة ٢٧ ـ ٢٨
(٢) سورة الواقعة آية ٢٧ ـ ٢٨
(٣) سورة التوبة آية ٣٤ ـ ٣٥
(٤) سورة مريم آية ٩٦

" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ." (١)

ويصف العذاب المعنوى فى مثل هذه الصورة فى قوله تعالى : " انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا " (٢)

وتارة تختلط مظاهر النعيم أو مظاهر العذاب ، فيبدو النعيم أو العذاب المادى ممازجا للنعيم أو العذاب الروحى . فيصاحب النعيم المادى النعيم الروحى فى مثل هذه الآيات : " ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر " (٣) " ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم " (٤)

كما يصاحب العذاب المادى العذاب المعنوى فى مثل هذه الآيات ، " ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ." (٥) " يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ." (٦)

عاشرا : ان الجنة والنار انما هما من الأمور الحقيقية الحسية المادية الملموسة وأن أخبار السماء تؤكد مادية الجنة والنار ـ الجنة كما هى الجنة بسعتها وأبعادها ، وبنائها ونعيمها ومتعها ، والسعادة الشاملة التى توفرها

---

(١) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٢) سورة النبأ آية ٤٠
(٣) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٤) سورة يس آية ٥٥ ـ ٥٨
(٥) سبق ذكرنا لهذه الآية
(٦) سورة الطور آية ١٣ ـ ١٦

لمن هم فيها ، والنار كما هى النار بمكانها وقدرها ذات الوقود من الناس والحجارة مرتفعة الحرارة الى درجــة لاتتصور ، والناس فى كل بأجسادهم وأرواحهم.

فكل الآيات الكريمة التى أوردت الجنة وما فيها ، والنار وما فيها ، وتمتــــع الانسان فى الأولى ، وعذابه فى الأخرى انما أكدت مادية وجود الانسان ، ومادية مكانه الذى سيمضى فيه حياته الأبدية الدائمة .

هذه هى أهم النتائج العامة التى تبينت لى أثناء دراستى لهذا الموضوع.

وأخيرا أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من يطلع عليه ، وأن يرزقنى واخوانى المسلمين عملا صالحا نتقـرب به الى الله عــز وجــل ، ويدخلنا به جنته ويبعدنا من النار ، وأستغفر اللــــه العظيم وأتوب اليه ان وقع منى خطأ أو زلل أو لم يحالفنى الصواب فى بعــض ما ذهبت اليه ، انه هو التواب الغفار وهو أرحم الراحمين.

الباحــث

المراجـــع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب التفسـير

١ـ التفسير الكبير
للفخر الرازى
الطبعة الثانيـة ، نشر دار الكتب العلمية ـ طهران .

٢ـ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسـير المنار .
تأليف محمد رشيد رضا
الطبعة الثانية ، ط / دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

٣ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى .
لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى ط / ادارة الطباعة المنيرية دار احياء التراث العربى بيروت ـ لبنان .

٤ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور .
للامام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى وبهامشه كتـــاب تنوير المقياس تفسير سيدنا عبد الله بن عباس نشر محمد أمين رمج ـ بيروت لبنان .

٥ـ الجامع لأحكام القرآن .
لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .
ط / دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر ـ الطبعة الثالثة سنـــة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م .

٦ ـ تفسير المراغى .
لأحمد مصطفى المراغى
الطبعة الثالثة ط / دار الفكر ـ بيروت سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٧ـ تفسير القاسمى فى محاسن التأويل
للشيخ محمد جمال الدين القاسمى
الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ ٠ ط / دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ٠

٨ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ٠
ط / شركة مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ٠

٩ ـ فى ظلال القرآن
لسيد قطب
الطبعة السادسة

١٠ـ تفسير التبيان
لشيخ الطائفة الطوسى
تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملى
ط / مكتبة الأمين ـ النجف الأشرف٠

١١ ـ فتح البيان فى مقاصد القرآن٠
للسيد الامام صديق حسن خان٠
نشر عبدالمحى على محفوظ ط / مطبعة العاصمة
شارع الفلكى ـ القاهرة

١٢ـ تفسير ابن جرير الطبرى
لابن جرير ٠
ط / دار المعرفة بيروت ـ لبنان٠

١٣ـ تفسير القرآن العظيم
لأبى الفداء اسماعيل بن كثير ٠
ط / دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه٠

١٤ـ فتح القدير .

لمحمد بن على الشوكانى الصنعانى .

الطبعة الثانية ط / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

١٥ـ تفسير البيضاوى .

لناصر الدين أبى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى .
وبهامشه حاشية العلامة أبى الفضل القرشى الصديقى الخطيب المشهور
بالكاندونى ط / مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ـ بيروت .

١٦ـ الميزان فى تفسير القرآن .

للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائى .

ط / مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ـ لبنان .

١٧ـ مجمع البيان فى تفسير القرآن .

للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى

ط / دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦١ م .

١٨ـ تفسير أبى السعود .

للقاضى أبى السعود بن محمد العمادى الحنفى .

ط / مطبعة السعادة ، ميدان أحمد ماهر شارع الجداوى رقم ١٢

١٩ـ تفسير روح البيان .

للشيخ اسماعيل حقى البروسى .

ط / عثمان بك مطبعة سى سنة ١٩٢٨م .

ثالثا : كتب السنة :

٢٠ـ صحيح البخارى .

لأبى عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخارى
الجعفى .

ط / مطابع الشعب سنة ١٣٧٨هـ .

٢١ـ صحيح مسلم .

للامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى.

تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى .

الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م ط / دار احياء التراث العربى بيروت لبنان.

٢٢ـ جامع الترمذى .

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى.

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .

نشر المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٢٣ـ سنن ابن ماجة .

للحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى .

ط / دار احياء التراث العربى سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م

بيروت ـ لبنان .

٢٤ـ مسند الامام أحمد بن حنبل .

وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .

ط / المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ـ بيروت.

٢٥ـ سنن أبى داود .

لأبى داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدى السجستانى .

ط / مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

٢٦ـ المستدرك على الصحيحين .

للامام الحافظ أبى عبدالله الحاكم النيسابورى.

نشر مكتب المطبوعات الاسلامية ـ حلب ومحمد أمين رمج بيروت لبنان .

٢٧ـ فتح البارى بشرح صحيح الامام أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى .

للامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى .

تصحيح وتحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

ط / المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

٢٨ـ شرح صحيح الامام مسلم.
للحافظ محى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى.
ط / المطبعة المصريــة ومكتبتها.

رابعا : كتب العقائد والأديان :

٢٩ـ شرح العقائد النسفية.
لسعد الدين التفتازانى
ط / المطبعة الخيرية بمصــر.

٣٠ـ الفرق بين الفرق
لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرائينى التميمى.
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.
ط / مطبعة المدنى ٦٨ شارع العباسية ـ القاهرة.

٣١ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المضلين.
للامام أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى.
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد
الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م.
ط / مكتبــة النهضــة المصريــة ـ القاهرة.

٣٢ـ بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلاميــة.
لأبى العباس شيخ الاسلام أحمد ابن تيمية.
تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.
الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ. ط / مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة.

٣٣ـ من تراث المعتزلــة فى التوحيد.
لأبى رشيــد سعيد بن محمد النيسابورى.
ط / المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٣٤ـ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية .
لزيد بن عبد العزيز بن فياض .
ط / مطابع الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧هـ.

٣٥ـ شرح الأصول الخمسة .
لعبد الجبار بن أحمد .
تعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم .
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.
ط / مطبعة الاستقلال الكبرى ٨ شارع نجيب الريحانى ـ القاهرة

٣٦ـ أصول الدين .
للامام أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى .
ط / مطبعة الدولة استانبول التركى
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م.

٣٧ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية .
اختصره الشيخ محمد بن الموصلى بتصحيح زكريا على يوسف.
ط / مطبعة الامام ١٣ شارع قرقول المنشية بمصر .

٣٨ـ المواقف .
لعضد الدين الأيجى .
بشرح الشريف الجرجانى .
ط / دار السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩١٧م

٣٩ـ شرح مقاصد الطالبين .
لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى .
ط / مطبعة الحاج محرم أفندى سنة ١٣٠٥هـ.

٤٠ـ اليوم الآخر فى ظلال القرآن .
جمع واعداد أحمد فائز .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٤١ـ شرح العقيدة الطحاوية .

لعلى بن على بن محمد بن أبى العز .

بتحقيق جماعة من العلماء وتخريج محمد ناصر الدين الألبانى .

ط / المكتب الاسلامى ـ بيروت .

٤٢ـ كتاب التوحيد .

لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب .

ط / مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

٤٣ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

للامام أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى .

الطبعة الثانية ط / دار المعرفة للطباعة والنشر .

سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ـ بيروت ـ لبنان .

٤٤ـ الملل والنحل .

تأليف : أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى .

تحقيق محمد سيد كيلانى .

ط / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر . سنة ١٣٨٧هـ
١٩٦٧م .

٤٥ـ الاسلام فى حياة المسلم .

للدكتور محمد البهى

الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

ط / مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية بعابدين .

٤٦ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار .

للشيخ أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادى الدمشقى

الطبعة الثانية سنة ١٣٧٨هـ . ط / مطبعة الاسلام .

٤٧ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة الامام ابن القيم .

لأحمد بن ابراهيم بن عيسى . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ .

ط / المكتب الاسلامى ـ بيروت .

٤٨ ـ يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار .

للامام الشيخ صديق حسن حسان

تحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا .

الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧١م.

ط / مطبعة الامتياز ٥١ درب الأنسية ـ شارع الدرب الأحمر بمصر .

٤٩ ـ الرد على الجهمية .

لأبى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى .

ط / ليدن ، أ . ج . بريل سنة ١٩٦٠م.

(النص باللغتين الألمانية والعربية)

٥٠ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية .

للشيخ محمد بن أحمد السفارينى الأثرى.

تعليق الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين ، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما من أهل العلم.

ط / مطابع دار الأصفهانى وشركاه بجدة سنة ١٣٨٠هـ.

٥١ ـ المعتزلة .

لزهدى حسن جاد الله .

ط / مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .سنة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

٥٢ ـ حادى الأرواح الى بلاد الأفراح .

لابن قيم الجوزية .

ط / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

٥٣ ـ شرح القصيدة النونية لابن قيم الجوزية .

تأليف / الدكتور محمد خليل هراس .

ط / مطبعة الامام ١٣ شارع قرقول المنشية بالقلعة بمصر .

٥٤ـ مقارنة الأديان .
للدكتور أحمد شلبى .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢م.
ط / دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة .
٥٥ ـ مشاهد القيامة فى القرآن .
لسيد قطب
ط / دار الشروق ـ بيروت.
٥٦ـ فجر الاسلام .
لأحمد أمين .
الطبعة السابعة ط / مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م
٥٧ ـ دستور الأخلاق فى القرآن .
للدكتور محمد عبدالله دراز .
تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالصبور شاهين .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٥٨ ـ روح الدين الاسلامى .
لعفيف عبدالفتاح طبارة .
الطبعة الثانية عشر سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
ط / دار العلم للملايين ،بيروت ـ لبنان.
٥٩ ـ قصة الحضارة .
لول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٦١م.
ط / جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٦٠ ـ الأدب والدين عند قدماء المصريين .
لأنطون زكرى.
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣م.

٦١ ـ قصة الديانات .
لسليمان مظهر .
ط / الوطن العربى للطباعة والنشر .

٦٢ ـ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام.
للدكتور على عبد الواحد وافى .
ط / دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة .

٦٣ ـ محاضرات فى النصرانية .
للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
الطبعة الرابعة ط / دار الفكر العربى سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٦٤ ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم .
للامام جمال الدين أبى بكر الخوارزمى .
ط / المطبعة اليوسفية بشارع محمد على بمصر .

٦٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .
جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى .
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ . ط / مطابع الرياض .

٦٦ ـ يوم القيامة .
لعبد الرزاق نوفل .
ط / دار الشعب ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة .

٦٧ ـ مناهج الأدلة فى عقائد الملة .
لأبى الوليد محمد بن رشد .
بتحقيق الدكتور محمود قاسم .

٦٨ ـ النجاة .
لأبى على الحسين بن سينا .
ط / مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٣١ هـ .

٦٩ ـ فى الفلسفة الاسلامية .
للدكتور ابراهيم مدكور .
الطبعة الثالثة ط / دار المعارف بمصر .

٧٠ ـ التفكير الفلسفي فى الاسلام٠
للدكتور عبدالحليم محمود ٠
الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م٠
ط / دار النصر للطباعة ١٣ شارع سعد الله الدرب الأحمر ـ القاهرة٠

٧١ ـ الأديان فى القرآن ٠
للدكتور / محمود بن الشريف ٠
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٩م ٠ نشر دار عكاظ للطباعة والنشر جدة٠

٧٢ ـ الاشارات والتنبيهات ٠
لأبى على الحسين بن سينا ٠
مع شرح نصير الدين الطوسى ٠
بتحقيق الدكتور سليمان دنيا ٠
الطبعة الثانية ط / دار المعارف بمصر ٠

٧٣ ـ تهافت الفلاسفة ٠
للامام الغزالى ٠
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ٠
الطبعة الرابعة ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م٠

خامسا : كتب التاريخ :

٧٤ ـ البداية والنهاية فى التاريخ :
للامام الحافظ أبى الفداء اسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشى الدمشقى ٠
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ ٠ ط / مطبعة كردستان العلمية لنشر الكتب العالية الاسلامية بمصر المحمية٠

٧٥ ـ تاريخ الطبرى ٠
لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٠
الطبعة الثانية ط / دار المعارف بمصر ٠

٧٦ ـ مصر والشرق الأدنى القديم.
للدكتور نجيب ميخائيل ابراهيم.
الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦م. ط / دار المعارف بمصر.
٧٧ـ تهذيب سيرة ابن هشام.
تأليف / عبدالسلام هارون.
المجمع العلمي العربي الاسلامي ـ منشورات محمد الداية بيروت ـ لبنان.
٧٨ ـ موجز تاريخ الحضارة (حضارات العصور القديمة)
للدكاتره : نور الدين حاطوم وأحمد طربين ونبيه عاقل وصلاح مدنـــى.
ط / الكمال سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.
٧٩ ـ تاريخ العالم.
نشره السيرجون ا. هامرتن ـ ترجمة ادارة الترجمة. بوزارة المعارف العمومية بمصر.

سادسا : الكتاب المقدس :

٨٠ ـ التوراة.
٨١ ـ الأناجيل الأربعة المعتبرة عند المسيحيين.

سابعا : كتب اللغة :

٨٢ ـ لسان العرب المحيط.
لابن منظور
الناشر : دار صابر بيروت ـ لبنان.
٨٣ ـ فاكهة البستان.
للشيخ عبدالله البستاني اللبناني.
ط / المطبعة الأمريكانية بيروت ـ لبنان سنة ١٩٣٠م.
٨٤ ـ المنجد في اللغة والاعلام.
الطبعة الثانية والعشرون ط / دار المشرق ـ بيروت.

٨٥ ـ معجم متن اللغـة •

للشيخ أحمد رضا •

ط / دار مكتبة الحياة ـ بيروت • سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م•

٨٦ ـ ترتيب القاموس المحيط •

للاستاذ طاهر أحمد الزاوى•

الطبعة الثانية ط / مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر •

٨٧ ـ المنجـد فى اللغة والأدب والعلوم•

للويس معلوف اليسوعى •

الطبعة الخامسة ط / المطبعة الكاثوليكيـة ـ بيروت•

٨٨ ـ قطر المحيط •

للمعلم بطرس البستانى •

ط / مكتبـة لبنان ساحـة رياض الصلح ـ بيروت •

٨٩ ـ الصحاح فى اللغة والعلوم ـ تجديد صحاح العلامة الجوهرى•

اعداد وتصنيف نديم مرعشلى وأسامـة مرعشلى •

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م ط / دار الحضارة العربية ـ بيروت •

٩٠ ـ مختار الصحاح •

للشيخ الامام محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازى•

نشـر مكتبـة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر •

٩١ـ الرائد (معجم لغوى عصرى)

للجبران مسعود •

ط / دار الملايين ـ بيروت •

٩٢ ـ محيط المحيط •

لالياس ملوك •

ط / سنة ١٢٨٦ هـ ـ ١٨٧٠م • بيروت •

٩٣ ـ المعجم الوسيط •

لابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ، ومحمد على النجـار

ط / دار الشروق ـ بيروت لبنان•

٩٤ ـ دائرة معارف القرن العشرين.

لمحمد فريد وجـدى.

الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م ط / دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان

٩٥ ـ دائرة المعارف .

للمعلم بطرس البستانى .

ط / مؤسسة مطبوعاتى اسماعيليان.

تهران ـ ناصر خسرو ـ باشا مجيدى.

٩٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة .

الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م . ط / دار الشعب ـ القاهرة.

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الثالث

الجنة والنار في الاسلام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة